اللُّبَابُ

في تفسير الاستعاذة والبسملة وفاتحة الكتاب

تأليف

الدكتور سليمان بن إبراهيم اللاحم



الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

الصف والإخراج
مركز دار المسلم للصف والإخراج الفني



الرياض ١١٤٨٤ - ص.ب ١٧٣٥٦ - هاتف وفاكس ٤٩٣١١٤٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقـدمـــة

الحمد لله الذي أمر بالاستعاذة عند قراءة القرآن، فقال ـ عز وجل ـ ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[1]. والحمد لله الذي افتتح كتابه بالحمد فقال: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ وحمد نفسه على إنزاله، فقال: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴾[2]. وافتتح سوره سورة سورة بقوله ـ تعالى ـ ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ سوى سورة براءة، لما له في ذلك من الحكمة ﴿ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[3].

أحمده ـ تعالى ـ على أن هدانا للإسلام، وخصنا بالقرآن، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس.

فلك الحمد ربي بالإيمان، ولك الحمد بالقرآن، ولك الحمد بإرسال محمد ـ ﷺ ـ خير الأنام، ولك الحمد على نعمك التي لا تحصى على الدوام.

ولك الحمد على أن وفقت خلاصة من العباد، نذروا أنفسهم وأوقاتهم لخدمة هذا القرآن حفظاً وتجويداً، وتعلّماً وتعليماً، ودراسة

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٨.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٨٤.

وتفسيراً، واستخراجاً لما فيه من الهداية، وبيان العقائد والأحكام، والحلال والحرام، ولما اشتمل عليه من الأخلاق والآداب والمواعظ الجسام. ينفون عنه انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

كل ذلك تحقيقاً لوعدك، حيث قلت، وقولك الحق: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[1].

وصلى الله وسلم وبارك على المعلِّم الأول أفضل الحامدين، وخيرة الشاكرين، وسيد الخلق أجمعين، نبينا محمد الذي أنزل الله عليه هذا الكتاب ليخرج الناس به من الظلمات إلى النور. قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١﴾[2].

فقام به ـ ﷺ ـ حتى تفطرت قدماه[3]، وأقرأه أمته وبلغهم إياه، وعلمهم ما فيه من الهداية والأحكام، وأوصاهم قبل وفاته ـ ﷺ ـ بقوله: «**إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا**

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ١.

(٣) أخرج مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم ـ حديث ٢٨٢٠ عن عائشة قالت: كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه. قالت عائشة: يارسول الله أتصنع هذا، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «يا عائشة أفلا أكون عبدا شكورا»، وأخرج البخاري معلقا ـ في التهجد قول عائشة فقط بلفظ «كان يقوم حتى تفطر قدماه» وأخرجا نحوه من حديث المغيرة بن شعبة عند البخاري حديث ١١٣٠، وعند مسلم حديث ٢٨١٩.

به . . . ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي. . .» الحديث[١].

فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير ما يجزى نبياً عن أمته، فقد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين، فعليه من الله أزكى الصلاة، وأتم التسليم.

ورضي الله عن صحابته الكرام، الذين كانوا إذا تعلموا عشر آيات من القرآن لم يتجاوزها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، فتعلّموا القرآن والعلم والعمل جميعاً[٢]، تعلّموه، وعملوا بما فيه، وعلّموه من بعدهم، ونقلوه بحروفه ومعانيه وأحكامه إلى أقطار الدنيا كلها، فرضي الله عنهم، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيراً.

ورحم الله من جاء بعدهم، من سلف هذه الأمة من التابعين وتابعيهم، ومن تبعهم، الذين قاموا بخدمة هذا الكتاب، بما دونوا من مؤلفات فيها بيان معانيه وأحكامه، وحلاله وحرامه، وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وأسباب نزوله، ومكيِّهِ ومدنيِّهِ وسائر علومه فرحمهم الله، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيراً.

وعمّ بالرحمة كل من رفع بهذا الكتاب رأسا، أو قدم له خدمة، مبتغيا بذلك وجه الله والدار الآخرة. . . . وبعد

---

(١) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة ـ فضائل علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ حديث ٢٤٠٨.

(٢) أخرج هذا الطبري من حديث ابن مسعود، وأبي عبدالرحمن السلمي بإسنادين صحيحين ـ الأثرين ٨١، ٨٢.

فإن الاشتغال بعلم كتاب الله ـ تعالى ـ هو أجل عمل وأشرفه، وأرفعه منزلة، كما قال ـ ﷺ ـ في الحديث الصحيح الذي رواه عثمان ابن عفان ـ رضي الله عنه ـ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» رواه البخاري[1].

ولا شك أن الهمم قد قصرت، والموانع من اللحاق بأهل العزم قد كثرت. حتى أصبح ما نقرأه في سير علمائنا السابقين وما قاموا به من جهود في التعليم والتأليف أشبه شيء بالخيال ـ رحمهم الله ـ رحمة واسعة وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيراً، ونظمنا في سلكهم، ولو بالتشبه بأولئك الأماجد الأخيار، وكما قيل:

فتشبهــوا إن لــم تكــونــوا مثلهــم   إن التشبــه بــالكــرام فــلاح

«وما لا يدرك جله لا يترك كله».

ولقد كان من أهم الأسباب التي دعتني إلى الكتابة في هذا الموضوع ما يلي:

أولاً: أن الاستعاذة والبسملة هما المدخل لكتاب الله ـ تعالى ـ فقد أمر ـ تعالى ـ بالاستعاذة عند قراءة القرآن، وافتتح سوره كلها سوى براءة بـ(بسم الله الرحمن الرحيم)، فيشرع للمسلم أن يفتتح قراءته بهما، في الصلاة أو خارجها، وأن يعرف معناهما وأحكامهما.

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن ـ باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه. الحديث ٥٠٢٧.

ثانياً: أنني رأيت كلام أهل العلم ـ رحمهم الله ـ على الاستعاذة والبسملة والفاتحة مفرقاً في كتب التفسير والقراءات، وكتب الحديث والفقه والأحكام، لا يجمعه كتاب على وجه تتم به الفائدة، لا من كتب التفسير، ولا من غيرها.

ثالثا: أن سورة الفاتحة: افتتح الله بها كتابه العزيز، وهي أعظم وأفضل سورة في القرآن الكريم.

رابعاً: أن هذه السورة تحوي من المعاني والفوائد والأحكام الشيء الكثير، وقد جاء في الأثر أنها تتضمن جميع معاني القرآن الكريم، وبهذا قال بعض أهل العلم، كما سيأتي بيانه. ولهذا أفردها بعض أهل العلم بالتأليف كابن القيم في كتابه القيم «مدارج السالكين بيين منازل ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾» وناهيك به من كتاب، كما خصصها جمع من المفسرين بجزء كبير من تفسيره كالرازي مثلا فقد تكلم عليها في مجلد كبير من تفسيره، وكذا أطال الكلام في تفسيرها إمام المفسرين الطبري والحافظ ابن كثير وشيخنا عبدالرحمن الدوسري ـ رحمهم الله جميعاً ـ.

خامساً: أن هذه السورة مما يجب على كل مسلم تعلمها وفهم معانيها إذ عليها مدار صحة الصلاة وبطلانها.

فأردت بهذا العمل أن أجمع شتات كلام أهل العلم ـ على الاستعاذة والبسملة والفاتحة، وذلك حسب الإمكان راجياً أن يكون هذا البحث بمثابة مدخل لتفسير كتاب الله ـ تعالى.

وقد سميت هذا الكتاب: اللباب في تفسير الاستعاذة، والبسملة، وفاتحة الكتاب وبيان ما اشتمل عليه كل منها من المعاني والفوائد والأحكام.

وقد قسمت الكلام إلى بابين:

الباب الأول: الاستعاذة والبسملة ـ معناهما، وأحكامهما وفيه فصلان:

أـ الفصل الأول الاستعاذة ـ معناها ـ وأحكامها ـ وفيه ثمانية مباحث.

ب ـ الفصل الثاني البسملة معناها ـ وأحكامها ـ وفيه تسعة مباحث.

الباب الثاني: تفسير سورة الفاتحة، معناها، وأحكامها وفيه فصلان:

الفصل الأول: تفسير سورة الفاتحة وبيان ما فيها من المعاني والفوائد والأحكام.

الفصل الثاني: الأحكام التي تتعلق بسورة الفاتحة وفيه مبحثان.

وقد حرصت على أن أقدم للقارىء خلاصة لأصح ما جاء عن أهل العلم والتحقيق في تفسير الاستعاذة والبسملة[1] وهذه السورة العظيمة،

---

(١) ذكر ابن عبدالبر في «الاستذكار» ٢:١٥٣، أنه صنف كتاباً سماه «كتاب الانصاف فيما بين المختلفين في بسم الله الرحمن الرحيم من الخلاف». وممن أفرد البسملة بالتأليف ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني والخطيب وابن طاهر وابن عبدالهادي وأبو محمد عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي والرازي والقرطبي وابن كثير وغيرهم. انظر: =

سورة الفاتحة. وبذلت في ذلك جهدي وطاقتي، مع قلة البضاعة وكثرة المشاغل والعوائق.

وقد اعتمدت اعتمادا كبيرا على كتب المحققين من علمائنا ـ رحمهم الله ـ سواء في التفسير أو غيره، وخاصة كتاب «مدارج السالكين» للإمام العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى ـ فقد اعتمدت عليه اعتماداً كبيراً ـ خاصة في الكلام على سورة الفاتحة، ونقلت عنه في كثير من المواضع، لأنني لم أجد من تكلم عن هذه السورة بمثل كلامه ـ رحمه الله تعالى ـ، وقد أشفقت أن أختصر كلامه أحيانا فتجيء عبارتي قاصرة عن الوفاء بمضمون كلامه الذي هو في غاية الدقة والتحقيق وحسبي أني أحلتُ إليه.

والله أسأل أن يرزقني وجميع إخواني المسلمين الإخلاص في القول والعمل إنه جواد كريم بر رؤوف رحيم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

= «صحيح ابن خزيمة» ١: ٢٤٩ـ٢٥٠ «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي ١: ٩٥ «نصب الراية» ١: ٣٣٥.

«تفسير ابن كثير» ٣: ٣١٩ طبعة دار الشعب.

الباب الأول

الاستعاذة والبسملة، معناهما، وأحكامهما

وفيه فصلان:

الفصل الأول: الاستعاذة، معناها، وأحكامها وفيه ثمانية مباحث

الفصل الثاني: البسملة، معناها، وأحكامها وفيه تسعة مباحث

قال الله تعالى:

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾

سورة النحل، الآية: ٩٨

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

الفصل الأول
الاستعاذة، معناها، وأحكامها

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: صيغ الاستعاذة الصحيحة.

المبحث الثاني: أركان الاستعاذة.

المبحث الثالث: الاستعاذة ليست بآية من القرآن.

المبحث الرابع: إعراب الاستعاذة ومعناها.

أ ـ إعرابها.

ب ـ معناها.

المبحث الخامس: أحكام الاستعاذة.

أ ـ مكان الاستعاذة من القراءة.

ب ـ حكمها عند قراءة القرآن في الصلاة أو خارجها.

ج ـ هل يتعوذ في الصلاة في كل ركعة، أو في الركعة الأولى فقط.

د ـ حكم الجهر بها أو الإسرار.

المبحث السادس: المواضع التي تشرع فيها الاستعاذة.

المبحث السابع: بيان أن شيطان الجن أعظم ضررا من شيطان الإنس، ومن النفس «المذمومة».

المبحث الثامن: السبيل للخلاص من شر الشيطان ومكايده.

المبحث الأول
صيغ الاستعاذة الصحيحة

الصيغة الأولى: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

وعلى هذا اللفظ دل الكتاب والسنة.

قال الله - تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾[١].

وعن سليمان بن صرد - رضي الله عنه - قال: استب رجلان عند النبي - ﷺ - ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسب صاحبه، مغضبا، قد احمر وجهه، فقال النبي - ﷺ -: «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول النبي - ﷺ - فقال: إني لست بمجنون**» متفق عليه[٢].

وهذه الصيغة هي المختارة عند أكثر القراء[٣].

منهم: أبو عمرو البصري، وعاصم بن أبي النجود الكوفي، وعبدالله ابن كثير المكي[٤]. وبها كان يتعوذ جمهور السلف من الصحابة والتابعين

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٨. انظر «الكشف عن وجوه القراءات السبع» ١: ٨-٩.

(٢) أخرجه البخاري - في الأدب - باب الحذر من الغضب - حديث ٦١١٥، ومسلم - في البر - باب فضل من يملك نفسه عند الغضب - حديث ٢٦١٠.

(٣) انظر «النشر» ١: ٢٤٣.

(٤) انظر «المبسوط» ١: ١٣، «غرائب القرآن» للنيسابوري ١: ١٥، «مجمع البيان» ١: ١٨.

منهم: عمر بن الخطاب وابنه عبدالله بن عمر[١] ـ رضي الله عنهما ـ.

وهي اختيار: أبي حنيفة[٢]، والشافعي[٣]، وأحمد بن حنبل[٤] ـ رحمهم الله.

قال مكي بن أبي طالب القيسي في كتابه «الكشف عن وجوه القراءات السبع[٥]»: «الـذي عليـه العمـل وهـو الاختيـار أن يقـول القارىء: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. للآية».

وقال ابن عطية في «تفسيره»[٦]: «وأما لفظ الاستعاذة، فالذي عليه جمهور الناس، هو لفظ كتاب الله ـ تعالى: ﴿أعوذ بالله من الشيطان الرجيم﴾».

الصيغة الثانية: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم.

يدل على هذا اللفظ، ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ في دعاء الرسول ـ ﷺ ـ إذا قام إلى الصلاة في الليل، وفيه:

---

(١) أخرجها عن عمر ـ ابن أبي شيبة ـ في الصلاة ـ في التعوذ كيف هو قبل القراءة أو بعدها ١: ٢٣٧، والبيهقي في الصلاة، باب التعوذ بعد الافتتاح ٢: ٣٦. وأخرجها عن عبدالله ابن عمر ابن أبي شيبة في الموضع نفسه.

(٢) انظر «فتح القدير» لابن الهمام ١: ٢٩١، «النشر» ١: ٢٤٣.

(٣) انظر «الأم» ١: ١٠٧، «أحكام القرآن» للشافعي ١: ٦٢، «المهذب» للشيرازي ١: ٧٩، «التبيان» للنووي ص٦٤، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٢.

(٤) انظر «المغني» ٢: ١٤٦، «إغاثة اللهفان» ١: ١٥٣، «النشر» ١: ٢٤٣.

(٥) ١: ٨، وانظر أيضا «التبصرة» لمكي ص٢٤٦، «الإقناع في القراءات السبع» ١: ١٥١.

(٦) ١: ٤٨، وانظر«الجامع لأحكام القرآن» ١: ٨٦، «النشر» ١: ٢٤٣ـ٢٤٦، «المهذب في القراءات العشر» ١: ٣٠.

ثم يقول: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ـ الحديث وسيأتي بتمامه»[١].

كما استدل له بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[٢].

وبقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾[٣].

وهي اختيار طائفة من القراء[٤] منهم حمزة[٥]، وسهل بن أبي حاتم[٦]، وهي مروية عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه[٧] ـ وبها يقول الحسن البصري[٨] ومحمد بن سيرين[٩]، والحسن بن صالح[١٠]، والشافعي[١١]، وأحمد بن حنبل، في رواية النيسابوري[١٢].

---

(١) انظر: الصيغة الثالثة.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.
(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٦.
(٤) انظر «التبيان» للنووي ص٦٤.
(٥) انظر «الإقناع في القراءات» ١: ١٥٠ـ١٥١، «إغاثة اللهفان» ١: ١٥٣.
(٦) انظر «غرائب القرآن» ١: ١٥، «النشر» ١: ٢٤٩.
(٧) أخرجها عن عمر ابن أبي شيبة ـ في الصلاة ـ التعوذ كيف هو ١: ٢٣٧.
(٨) أخرجها عن الحسن عبدالرزاق ـ في الصلاة ـ متى يستعيذ، الأثر ٢٥٩١، وابن حزم في «المحلى» ٣: ٢٤٩.
(٩) انظر «إغاثة اللهفان» ١: ١٥٣.
(١٠) انظر «المجموع» ٣: ٣٢٥.
(١١) انظر «أحكام القرآن» للشافعي ١: ٦٢، «المجموع» ٣: ٣٢٣.
(١٢) انظر «مسائل الإمام أحمد» للنيسابوري ص٥٠ فقرة ٢٣٨، «المغني» ٢: ١٤٦، «إغاثة =

قال أبو عمرو الداني في جامعه: «إن على استعماله عامة أهل الأداء، من أهل الحرمين، والعراقين، والشام»[(١)].

ج ـ الصيغة الثالثة: أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه.

يدل على هذا اللفظ، ما رواه أبو سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا قام إلى الصلاة بالليل كبر، ثم يقول: «**سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك، ثم يقول: «أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه**»[(٢)].

وقد خصها بعض أهل العلم بقيام الليل لحديث أبي سعيد.

د ـ الصيغة الرابعة: اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم، وهمزه ونفخه ونفثه.

= اللهفان» ١: ١٥٣.

(١) «النشر» ١: ٢٤٩.

(٢) أخرجه أحمد ٣: ٥٠، وأبو داود ـ في الصلاة ـ باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك ـ حديث ٧٧٥، والترمذي ـ في أبواب الصلاة ـ باب ما يقول عند افتتاح الصلاة ـ حديث ٢٤٢ ـ قال الترمذي «وحديث أبي سعيد أشهر حديث في هذا الباب» والنسائي في الصلاة ـ باب نوع آخر من الذكر بعد افتتاح الصلاة ٢: ١٣٢، وابن ماجه في الإقامة الحديث ٨٠٤. وصححه أحمد شاكر في تحقيق سنن الترمذي ٢: ١١، والألباني في «صحيح سنن أبي داود» حديث ٧٠١، وحسنه الأرناؤوط في تحقيقه لزاد المعاد ١: ٢٠٥. وقد أخرج هذا الحديث من حديث عائشة أبو داود ـ الحديث ٧٧٦، والترمذي ـ الحديث ٢٤٣، وابن ماجه في الإقامة الحديث ٨٠٦، والدارقطني ١: ١١٢، والحاكم ١: ٢٣٥ ورجاله ثقات فالحديث صحيح.

يدل على هذا ما رواه عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «**اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم، وهمزه ونفخه ونفثه**»[١].

وهي مروية عن بعض أهل العلم، منهم الحسن البصري[٢]، وإسحاق بن راهويه[٣].

هـ ـ **الصيغة الخامسة**: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الله هو السميع العليم[٤].

جمعا بين أدلة الصيغة الأولى، وأدلة الصيغة الثانية والثالثة.

وبها قرأ نافع وابن عامر والكسائي[٥]، وهي مروية عن حمزة وعن أبي عمرو وقد رُويت عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ومحمد بن سيرين[٦].

---

(١) أخرجه ابن ماجه ـ في إقامة الصلاة ـ باب الاستعاذة في الصلاة ـ حديث ٨٠٨، وابن خزيمة ـ في الصلاة ـ باب الاستعاذة في الصلاة قبل القراءة حديث ٤٧٢. وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» حديث ٦٥٨. وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ـ في الصلاة ـ التعوذ كيف هو ١:٢٣٨.

(٢) أخرجها عن الحسن عبد الرزاق في الصلاة ـ باب الاستعاذة في الصلاة، الأثر ٢٥٨٠.

(٣) انظر «إغاثة اللهفان» ١:١٥٤.

وقد أخرج عبدالرزاق في الموضع السابق، الأثر ٢٥٧٧، وابن حزم في «المحلى» ٣:٢٤٩ عن ابن عمر أنه كان يقول: «اللهم أعوذ بك من الشيطان الرجيم».

(٤) انظر «غرائب القرآن» ١:١٥، «إغاثة اللهفان» ١:١٥٤.

(٥) انظر «الإقناع في القراءات السبع» ١:١٥٠، «المبسوط» ١:١٣، «مجمع البيان» ١:١٨، «النشر» ١:٢٥٠.

(٦) انظر «النشر» ١:١٠.

وهي اختيار سفيان الثوري[١] والأوزاعي[٢]، ومسلم بن يسار[٣]، وأحمد في رواية، اختارها القاضي أبو يعلى، وابن عقيل[٤].

و- الصيغة السادسة: أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم.

لما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال: «**أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم**»[٥].

وهناك صيغ أخرى رويت عن بعض القراء، وبعض أهل العلم.

منها: أعوذ بالله العظيم، من الشيطان الرجيم[٦].

ومنها: أعوذ بالله العظيم، السميع العليم، من الشيطان الرجيم[٧].

ومنها: أعوذ بالله العظيم، من الشيطان الرجيم، إن الله هو السميع

---

(١) انظر «التفسير الكبير» ١: ٦١، «المجموع» ٣: ٣٢٥، «إغاثة اللهفان» ١: ١٥٤، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٢، «النشر» ١: ٢٥٠.

(٢) انظر «التفسير الكبير» ١: ٦١، «لباب التأويل» ١: ١٠، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٢.

(٣) أخرجها عنه ابن أبي شيبة في المصنف في الصلاة - في التعوذ كيف هو ١: ٢٣٧، وانظر «إغاثة اللهفان» ١: ١٥٤، «النشر» ٢٥٠.

(٤) انظر «المغني» ٢: ١٤٦، «إغاثة اللهفان» ١: ١٥٢، ١٥٤.

(٥) أخرجه أبو داود في الصلاة - الحديث ٤٤١ وصححه الألباني. وانظر «النشر» ١: ٢٥١.

(٦) ذكرها ابن الباذش في «الإقناع في القراءات السبع» ١: ١٤٩، وقال: «هي رواية أهل مصر عن ورش فيما ذكر الأهوازي». وانظر «النشر» ١: ٢٤٩.

(٧) رواها هبيرة عن حفص فيما ذكر ابن الباذش في «الإقناع» ١: ١٥٠، وانظر «المبسوط» ١: ١٣.

العليم[١].

ومنها: أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم، إن الله هو السميع العليم[٢].

ومنها: أستعيذ بالله، أو نستعيذ بالله، من الشيطان الرجيم[٣].

ومنها: أعوذ بالله القوي، من الشيطان الغوي[٤].

ومنها: أعوذ بالله المجيد، من الشيطان المريد[٥].

ومنها أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وأستفتح الله وهو خير الفاتحين[٦].

ومنها: أعوذ بالله السميع، الرحمن الرحيم، من الشيطان الرجيم، وأعوذ بك رب أن يحضرون، أو يدخلوا بيتي الذي يؤويني[٧].

ومنها: رب أعوذ بك من همزات الشيطان، وأعوذ بك رب أن

---

(١) انظر «النشر» ١ : ٢٥٠.
(٢) انظر «المجموع» ٣ : ٣٢٥.
(٣) نسبت لحمزة الزيات ومحمد بن سيرين. انظر «المبسوط» ١ : ١٣، «مجمع البيان» ١ : ١٨، «غرائب القرآن» للنيسابوري ١ : ١٥، وقد نفى ابن الجزري صحتها عن حمزة. انظر «النشر» ١ : ٢٤٦.
(٤) قال ابن الباذش في «الإقناع» ١ : ١٥١ «اختارها بعضهم لجميع القراء».
(٥) انظر «تفسير ابن عطية» ١ : ٤٩.
(٦) انظر «النشر» ١ : ٢٥١.
(٧) أخرجها عبدالرزاق عن عطاء - في الصلاة - باب الاستعاذة في الصلاة - حديث ٢٥٧٤.

يحضرون، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الله هو السميع العليم[١].

ومنها: أعوذ بالله السميع العليم من همزات الشياطين، وأعوذ بالله أن يحضرون[٢].

وهذه الصيغ وإن رُويت عن بعض السلف، فإن أقل أحوالها الجواز، وما صح عن المصطفى - ﷺ - هو الأولى بالاتباع.

* * *

(١) أخرجها عبدالرزاق - في الصلاة - باب الاستعاذة في الصلاة - حديث ٢٥٧٨ عن طاووس.

(٢) أخرجها ابن أبي شيبة في الصلاة - في التعوذ كيف هو، ١: ٢٣٨ عن محمد بن سيرين.

المبحث الثاني

أركان الاستعاذة

تتكون الاستعاذة ـ كما يقول بعض أهل العلم[١] ـ من خمسة أركان هي:

أ ـ صيغة الاستعاذة ولفظها، وقد تقدم.

ب ـ المستعيذ، وهي المؤمن الذي رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ـ ﷺ ـ نبياً ورسولاً، ونطق بالاستعاذة، وواطأ عنده القلب اللسان، فأيقن أن هذه الاستعاذة تحميه، بإذن الله من الشيطان الرجيم.

ج ـ المستعاذ به وهو الله ـ جل وعلا ـ الذي من استعاذ به أعاذه، وأجاره وعصمه، وحفظه وحماه، كما أعاذ مريم ابنة عمران وذريتها وعصمها بسبب دعاء والدتها امرأة عمران وإعاذتها إياها بالله من الشيطان الرجيم، كما ذكر الله عنها أنها قالت:
﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾[٢].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ما

---

(١) انظر «التفسير الكبير» ١: ٧١، «غرائب القرآن» ١: ١٦.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٦ـ٣٧.

من مولود يولد إلا نخسه الشيطان، فيستهل صارخا إلا ابن مريم وأمه»[١].

فالاستعاذة إنما تكون بالله ـ جل وعلا ـ، وأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، وكلماته التامة، التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر.

وأكثر ما ورد في القرآن الاستعاذة باسمه ـ تعالى ـ «الله».

قال الله ـ تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾[٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾[٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾[٤].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾[٥].

وقال موسى ـ عليه السلام ـ فيما ذكر الله عنه: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ

---

(١) أخرجه ـ مسلم ـ في الفضائل ـ باب فضائل عيسى ـ عليه السلام ـ حديث ٢٣٦٦، وأحمد ٢: ٢٣٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.

(٤) سورة فصلت، الآية: ٣٦.

(٥) سورة غافر، الآية: ٥٦.

﴿مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[1]، وقال يوسف عليه السلام ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾[2]. أي عياذاً بالله.

كما وردت الاستعاذة كثيراً باسمه ـ تعالى ـ: «الرب».

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾.

وقال موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾[3].

وقال عليه السلام: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴾[4].

أو بمضمر يعود على الرب:

قال ـ تعالى ـ ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾[5].

وقال نوح ـ عليه السلام ـ ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾[6].

وقالت امرأة عمران ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦٧.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٢٣، ٧٩.
(٣) سورة غافر، الآية: ٢٧.
(٤) سورة الدخان، الآية: ٢٠.
(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٩٧ـ٩٨.
(٦) سورة هود، الآية: ٤٧.

﴿ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[١].

ووردت الاستعاذة باسمه الرحمن مرة واحدة. قال الله ـ تعالى ـ عن مريم ـ عليها السلام ـ ﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾[٢].

وفي الحديث «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»[٣].

«أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وبرأ وذرأ» الحديث[٤].

ولا تصح الاستعاذة بغير الله، فيما لا يقدر عليه إلا الله، لأن الاستعاذة بالمخلوق في أمر لا يقدر عليه إلا الله لا تدفع شراً، ولا تجلب خيراً، بل مما يزيد المستعيذ خوفاً ورهقاً. قال ـ تعالى ـ في سورة الجن ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾[٥].

د ـ الركن الرابع من أركان الاستعاذة: المستعاذ منه، وهو الشيطان الرجيم، أعاذنا الله منه.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.
(٢) سورة مريم، الآية: ١٨.
(٣) سيأتي تخريجه في المواضع التي تشرع فيها الاستعاذة في المبحث السادس من هذا الفصل.
(٤) أخرجه الإمام أحمد ٣: ٤١٩.
(٥) سورة الجن، الآية: ٦، انظر «التفسير القيم» ص٥٤٢.

هـ ـ الركن الخامس من أركانها: المطلب الذي من أجله يستعيذ المسلم، وهو السلامة في دينه ودنياه، من الشيطان ووسوسته ومكايده وجميع شروره.

قال الله تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾[(١)].

وقال تعالى ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ۝٩٨﴾[(٢)].

وقـال ـ ﷺ ـ «**اللهـم فـاطـر السمـوات والأرض، عـالـم الغيـب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه، وأن أقترف على نفسي سوءاً، أو أجره إلى مسلم**»[(٣)].

قال ابن القيم في «إغاثة اللهفان»[(٤)] بعد أن ذكر هذا الحديث: «فتضمن هذا الحديث الشريف، الاستعاذة من الشر وأسبابه، وغايته، فإن الشر كله، إما أن يصدر من النفس، أو من الشيطان، وغايته: إما أن يعود على العامل أو على أخيه المسلم...».

---

(١) سورة الناس، الآية: ١ـ٤.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٩٧ـ٩٨.

(٣) سيأتي تخريجه بتمامه في المواضع التي تشرع فيها الاستعاذة في المبحث السادس، من هذا الفصل.

(٤) ١: ١٤٦.

وقال الطبري[١] ـ رحمه الله ـ في كلامه على معنى الاستعاذة: «أستجير بالله ـ دون غيره، من سائر خلقه ـ من الشيطان، أن يضرني في ديني، أو يصدني عن حق يلزمني لربي».

وقال ابن كثير[٢] ـ رحمه الله ـ «أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم، أن يضرني في ديني أو دنياي أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه».

. . . .

---

(١) في «تفسيره» ١: ١١١.
(٢) في «تفسيره» ١: ٣٣.

المبحث الثالث
الاستعاذة ليست بآية من القرآن الكريم

أمر الله بالاستعاذة عند القراءة بقوله ـ تعالى ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾[١].

فهذه الآية هي الأصل في مشروعية الاستعاذة، عند القراءة، وهي مشتملة على جل ألفاظ صيغة الاستعاذة «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» التي هي أصح الصيغ.

وقد أجمع العلماء على أن الاستعاذة بهذا اللفظ ليست آية حكى ذلك ابن عطية[٢] وغيره[٣].

وقال ابن تيمية[٤]: «لكن الاستعاذة ليست بقرآن، ولم تكتب في المصاحف، وإنما فيه الأمر بالاستعاذة، وهذا قرآن».

* * *

---

(١) سورة النحل، الآية:٩٨.

(٢) في «تفسيره» ١:٤٨.

(٣) انظر «الجامع لأحكام القرآن» ١:٨٦، «البحر المحيط» ١:١٧.

(٤) في «مجموع الفتاوى» ٢٢:٣٥١.

المبحث الرابع
إعراب الاستعاذة، ومعناها

أ ـ إعرابها:

لعل من المناسب إعراب الآية التي هي الأصل في مشروعية الاستعاذة عند القراءة. وهي قوله ـ تعالى ـ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾[1]، لأنها مشتملة ـ كما أشرت سابقاً ـ على جل ألفاظ صيغة الاستعاذة المختارة وهي: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

فقوله ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ ﴾. فإذا: الفاء للاستئناف، وإذا: اسم شرط غير جازم مبني على السكون، في محل نصب مفعول فيه، ظرف زمان، متعلق بجوابه «استعذ».

قرأت: قرأ فعل ماضٍ مبني على السكون لا تصاله بالضمير، والتاء ضمير للمخاطب مبني على الفتح في محل رفع فاعل. القرآن: مفعول به منصوب.

فاستعذ: الفاء رابطة لجواب الشرط. استعذ: فعل أمر مبني على السكون الظاهر والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره: أنت.

بالله: الباء حرف جر، ولفظ الجلالة اسم مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، والجار والمجرور متعلقان بـ(استعذ).

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٨.

من الشيطان: من حرف جر، والشيطان اسم مجرور بمن، وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره. والجار والمجرور متعلقان بـ(استعذ).

الرجيم: صفة للشيطان مجرورة مثله، وعلامة جرها الكسرة الظاهرة على آخرها.

ب ـ معناها:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

أعوذ: فعل مضارع، يقال: عذت أعوذ، كما يقال: عاذ يعوذ عوذا وعياذا، ومعاذا[١]. قال يوسف عليه السلام ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾[٢] أي عياذا بالله.

أعوذ بالله بمعنى أعتصم به[٣]، كما جاء في حديث أبي هريرة في الدعاء عند دخول المسجد «**اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم**»[٤].

قال الحصين بن الحمام يخاطب قبيلته[٥]:

وعـــوذي بـــأفنـــاء العشيـــرة إنمـــا   يعـوذ الـذليـل بـالعـزيـز ليعصمـا

---

(١) انظر مادة «عوذ» في «النهاية»، «لسان العرب».

(٢) سورة يوسف، الآية: ٢٣ و٧٩.

(٣) انظر مادة «عوذ في «النهاية»، لسان العرب»، وانظر «اغاثة اللهفان» ١: ١٤٧، «التفسير القيم» ص٥٣٨.

(٤) سيأتي تخريجه في المواضع التي تشرع فيها الاستعاذة في المبحث السادس من هذا الفصل.

(٥) انظر «المفضليات» ص٦٨، المفضلية ١٢.

وقال الراجز[١]:

قـــالـــت وفيهـــا حيـــدة وذعـــر عَـــوذي بـــربـــي منكـــم وحجـــر

أي: اعتصامي بربي.

وبمعنى: ألتجىء إلى الله. قال ابن فارس[٢]: «العين والواو والذال أصل صحيح، يدل على معنى واحد، وهو الالتجاء إلى الشيء».

وبمعنى: أستجير بالله[٣]، وأتحرَّز به[٤]، واستعين به[٥].

وأمتنع به من المكروه[٦]، وأتعلق به[٧]، وأتحيز إليه[٨]، وألوذ به[٩].

---

(١) لم أقف على قائله، وانظره في «إصلاح المنطق» ص٨١ «مجالس ثعلب» ص١٨١، «المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة» ص٨٢، «اللسان» مادة «عوذ».

(٢) في «مقاييس اللغة»: مادة «عوذ»، وانظر «المفردات في غريب القرآن» «النهاية»، «لسان العرب» نفس المادة، وانظر أيضاً «إغاثة اللهفان» ١:١٤٧، «التفسير القيم» ص٥٣٨، «تفسير ابن كثير» ١:٣٣.

(٣) انظر «تفسير الطبري» ١:١١١، «الكشف عن وجوه القراءات السبع» ١:٧، «النكت والعيون» ١:٤٨، «المحرر الوجيز» ١:٤٨.

(٤) انظر «التفسير القيم» ص٥٣٨.

(٥) انظر «النكت والعيون» ١:٤٨.

(٦) انظر «الكشف عن وجوه القراءات السبع» ١:٧، «المحرر الوجيز» ١:٤٨، «إغاثة اللهفان» ١:١٤٧.

(٧) انظر «المفردات في غريب القرآن، مادة «عوذ».

(٨) انظر «المحرر الوجيز» ١:٤٨.

(٩) انظر مادة «عوذ» في «النهاية»، «لسان العرب» وانظر «زاد المسير» ١:٧.

ويقال: إن العياذة لدفع الشر، واللياذة لطلب الخير.

قال ابن كثير[١]: «والعياذة تكون لدفع الشر، واللياذ يكون لطلب الخير كما قال المتنبي[٢]:

يـا مـن ألـوذ بـه فيمـا أؤملـه ومـن أعـوذ بـه ممـن أحـاذره
لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ولا يهيضـون عظمـا أنـت جابـره

لكن بعض أهل اللغة ـ كما تقدم ـ على أنهما بمعنى واحد. قال ابن منظور[٣]: «الملاذ مثل المعاذ».

بالله: الباء للاستعانة[٤]، وقيل للإلصاق[٥].

الله: علم على ذات الرب ـ جل وعلا، وأصل أسمائه سبحانه وتعالى، ومعناه: المألوه المعبود محبة وتعظيماً. وسيأتي تفصيل الكلام فيه في البسملة ـ إن شاء الله.

وجملة أعوذ بالله خبرية تتضمن طلب الإعاذة[٦].

من الشيطان: من لابتداء الغاية.

---

(١) في «تفسيره» ١: ٣٣.
(٢) ديوانه ١: ١٦٠ـ١٦١، وبين البيتين المذكورين بيتان.
(٣) في «اللسان» مادة «عوذ».
(٤) انظر «النكت والعيون» ١: ٤٨.
(٥) قال ابن كثير ١: ٣٣: «الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله تعالى، والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر».
وانظر «غرائب القرآن» للنيسابوري ١: ١٧.
(٦) انظر «النكت والعيون» ١: ٤٨، «التفسير الكبير» ١: ٩٦، «التفسير القيم» ص٥٤٠ـ٥٤١.

الشيطان: مأخوذ عند جمهور أهل اللغة ومحققيهم من شطن بمعنى: بَعُدَ، يقال: بئر شطون، أي: بعيدة القعر والمدى[١].

قال النابغة الذبياني[٢]:

نـأت بسعـاد عنـك نـوى شطـون فبـانـت والفـؤاد بهـا رهيـن

والشَطَن الحبل، أو الحبل الطويل[٣]. قال عنترة[٤]:

يـدعـون عنتـر والـرمـاح كـأنهـا أشطـانُ بئـرٍ فـي لَبَـان الأدهـم

فأشطان جمع شَطَن وهو الحبل الطويل.

فالنون فيه أصلية. قال ابن فارس[٥]: «الشين والطاء والنون أصل مطرد ويدل على البعد».

والشيطان على وزن فيعال، للدلالة على أنه بلغ الغاية في البعد[٦].

وقيل: إنه مأخوذ من «شاط يشيط، إذا هاج واشتد غضباً، وهلك

---

(١) انظر «الكتاب» لسيبويه ص٢٦٠، ٢٨٦، ٣٢١، «تفسير الطبري» ١:١١٢. وانظر مادة «شطن» في «تهذيب اللغة» و «مقاييس اللغة». وانظر «الكشف عن وجوه القراءات السبع» ١:١٠، «المفردات في غريب القرآن» مادة «شطن». «المحرر الوجيز» ١:٤٩، «النهاية» لابن الأثير مادة «شطن» «تفسير ابن كثير» ١:٣٣.

(٢) ديوانه ص٣٦٢.

(٣) انظر «النهاية» مادة «شطن»، «المحرر الوجيز» ١:٤٩، «لسان العرب» مادة «شطن».

(٤) ديوانه ص٢١٦، «شرح القصائد» لابن الأنباري ص٣٥٩ ـ معلقة عنترة البيت الثامن والستون.

(٥) في «مقاييس اللغة» مادة «شطن» وانظر «النهاية» مادة «شطن».

(٦) انظر «تفسير الطبري» ١:١١٢، «المحرر الوجيز » ١:٤٩.

واحترق وبطل، وعلى هذا فالنون فيه زائدة[١].

والصحيح القول الأول.

قال سيبويه[٢]: «العرب تقول تشيطن».

وقال الطبري[٣]: بعدما ذكر القول بأنه مشتق من «شطن»: «ومما يدل على أن ذلك كذلك قول أمية بن أبي الصلت:[٤].

أيمـــا شـــاطــنٍ عَصـــاه عَكـــاه ... ثــم يلقـى فـي السجـن والأكبـال

قال الطبري: ولو كان فعلان من شاط يشيط لقال أيما شائطٍ، ولكنه قال: أيما شاطن، لأنه من شَطَن يَشْطُن فهو شاطن»[٥].

و«أل» في «الشيطان» للجنس[٦]، فهو يشمل كل متمرد، عات، خارج عن الطاعة، من الجن، والإنس، والدواب، وكل شيء[٧]،

---

(١) انظر «مقاييس اللغة» مادة «شطن»، «الكشف عن وجوه القراءات السبع»، ١:١٠، «المحرر الوجيز» ١:٤٩، مادة «شطن» في «المفردات في غريب القرآن»، «النهاية»، «لسان العرب». وانظر «الجامع لأحكام القرآن» ١:٩٠، «تفسير ابن كثير» ١:٣٣.

(٢) في «الكتاب» ٤:٢٨٦، ٣٢١، وانظر «المحرر الوجيز» ١:٥٠، «الدر المصون» ١:١٠.

(٣) في «تفسيره» ١:١١٢.

(٤) ديوانه ص٤٤٥ وانظر: «لسان العرب» مادة «شطن». ومعنى عكاه: شده، وأوثقه، والأكبال: القيود.

(٥) وانظر مادة «شطن» من «تهذيب اللغة»، «النهاية» «لسان العرب» وانظر «المحرر الوجيز» ١:٥٠، «تفسير ابن كثير» ١:٣٣.

(٦) انظر «الكشف عن وجوه القراءات السبع» ١:٧، «التفسير الكبير» ١:٩٥، ٢٠:١١٥، «غرائب القرآن» ١:٢٣.

(٧) انظر «تفسير الطبري» ١:١١١، «تفسير ابن كثير» ١:٣٣.

ولهـــذا جمـــع فـــي قـــولـــه ـ تعـــالـــى ـ ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ ﴾[١]. وقيل أل فيه للعهد[٢]. والصحيح الأول.

وهو يكون من الإنس والجن، كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[٣]. وقال ـ تعالى ـ ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ ﴾[٤]، أي: شياطين إنس يعوذون بشياطين جن. وقال ـ تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾[٥] أي شياطين جن وإنس يوسوسون في صدور الناس. وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾[٦] أي شياطين إنس بإنس.

قال جرير[٧]:

أيامَ يَدْعُونني الشيطانَ من غَزَلٍ ... وهـن يَهْـوَيْنَنـي إذْ كنـتُ شَيْطـانـا

ويكون من الحيوانات كما جاء في حديث عبدالله بن الصامت أبي

---

(١) سورة المؤمنون، آية: ٩٧.
(٢) انظر «التفسير الكبير» ١: ٩٥، «التسهيل لعلوم التنزيل» ١: ٣٠.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.
(٤) سورة الجن، الآية: ٦.
(٥) سورة الناس، الآية: ١ـ٦.
(٦) سورة البقرة، الآية: ١٤.
(٧) ديوانه ص١٦٥ «لسان العرب» مادة «شطن».

ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: **«إذا قام أحدكم يصلي، فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل آخرة الرحل، فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرحل، فإنه يقطع الصلاة الحمار والمرأة والكلب الأسود. قلت: ياأباذر، ما بال الكلب الأسود من الكلب الأحمر، من الكلب الأصفر؟! قال: ياابن أخي، سألت رسول الله ﷺ، كما سألتني، فقال: الكلب الأسود شيطان»**[١].

وعن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ركب برذونا فجعل يتبختر به، فجعل يضربه، فلا يزداد إلا تبخترا، فنزل عنه، وقال: ما حملتموني إلا على شيطان، ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي[٢].

وإنما سمي المتمرد من كل شيء شيطاناً لمفارقته لبني جنسه في أخلاقه، وأفعاله، وصفاته، وطباعه، ومباعدته لهم، وبسبب فسقه، وبعده عن الحق والهدى والخير، وعن رحمة الله ـ تعالى ـ[٣].

الرجيم: فعيل بمعنى مفعول أي: مرجوم[٤] كسعير بمعنى:

---

(١) أخرجه ـ مسلم ـ في الصلاة ـ باب قدر ما يستر المصلي ـ حديث ٥١٠، وأبو داود في الصلاة ـ باب ما يقطع الصلاة ـ حديث ٧٠٢.
وأخرجه أيضا مسلم في الموضع السابق برقم ٥١١ من حديث أبي هريرة بلفظ قال قال رسول الله ـ ﷺ ـ يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب، ويقي ذلك مثل مؤخرة الرحل».
ومعنى الكلب الأسود شيطان: أي أنه خبيث يتلون.

(٢) أخرجه الطبري الأثر ٣٦، وذكره ابن كثير في تفسيره ١: ٣٤، وقال: «إسناده صحيح».

(٣) انظر «تفسير الطبري» ١: ١١١، «المحرر الوجيز» ١: ٤٩، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٣.

(٤) انظر «تفسير الطبري» ١: ١١٢، «تهذيب اللغة» مادة «رجم»، «الكشف عن وجوه =

مسعور. مأخوذ من الرجم: وهو الرمي بفعل أو قول[١].

فمن الرجم بالفعل: الرجم والرمي بالحجارة. قال ابن فارس[٢]: الراء والجيم والميم، أصل واحد، يرجع إلى وجه واحد، وهو الرمي بالحجارة.

ومن الرجم بالقول قوله ـ تعالى ﴿ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ﴾[٣]، أي قولا بالظن. وقوله ـ تعالى ـ عن آزر أنه قال لإبراهيم ـ عليه السلام ـ ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾[٤] أي لأرمينك بسيء القول.

قال المرقش الأصغر[٥]:

وإنـي وإن كلـت قَلـوصـي لـراجـمٌ بهـا وبنفسـي يـا فُطَيْـمُ المـراجـمَ

ومنه القذف بالزنى، فإنه رجم ورمي بالقول.

والشيطان مرجوم بالفعل والقول: أي فعلا وقولا، حسا ومعنى.

فهو مرجوم فعلا وحسا بإخراجه من الجنة وطرده عنها، وعن الملأ الأعلى وبإهباطه من السموات إلى الأرض[٦].

= القراءات السبع» ١: ١٠، «المحرر الوجيز» ١: ٥٠، «لسان العرب» مادة «رجم»، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٤.

(١) انظر «تفسير الطبري» ١: ١١٢.

(٢) «مقاييس اللغة» مادة «رجم»، وانظر «لسان العرب» نفس المادة.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٢.

(٤) سورة مريم، الآية: ٤٦.

(٥) المفضليات ص٢٤٦، المفضلية (٥٦).

(٦) انظر «تفسير الطبري» ١: ١١٢، ومادة «رجم» في «المفردات في غريب القرآن»، «لسان العرب»، وانظر «تفسير ابن كثير» ١: ٣٤.

قال الله ـ تعالى: ﴿ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾[4].

وهو مرجوم حسا وفعلا بالشهب. قال الله ـ تعالى ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ ﴾[5].

وقال ـ تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ ﴾[6].

وقال ـ تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ﴾[8]. وقال ـ تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٣.
(٢) سورة الأعراف، آية: ١٨.
(٣) سورة الحجر، الآيتان: ٣٤ ـ ٣٥.
(٤) سورة ص، الآيتان: ٧٧ ـ ٧٨.
(٥) سورة الملك، آية: ٥.
(٦) سورة الصافات، الآيات: ٦ ـ ١٠.
(٧) سورة الحجر، الآيات: ١٦ ـ ١٨.
(٨) سورة فصلت، آية: ١٢.

مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا ﴿٩﴾ ﴾[1].

وهو مرجوم قولا ومعنى لأن الله بعد أن أبعده ورجمه بالفعل بإخراجه من الجنة، ومن بين الملأ الأعلى. وطرده من جواره، وسلط عليه الرمي بالشهب حكم عليه أيضا باللعنة فهو ملعون بلعنة الله إلى يوم القيامة مقضي عليه بالخيبة والخسران، ومطرود عن رحمة الله، وعن كل خير[2].

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾[5].

وقيل: فعيل بمعنى فاعل، لأنه يوسوس للناس، ويُزين لهم المعاصي، وطرق الشر، ويحثهم عليها، ويُبعدهم عن الخير، ويكيد لهم في ذلك كله، أنواع المكايد[6].

قال ابن كثير: «والأول أشهر وأصح»[7].

هذا هو معنى أصح صيغ الاستعاذة:

---

(١) سورة الجن، الآيتان: ٨ـ ٩.
(٢) انظر «تفسير الطبري» ١ :١١٢، «الكشف عن وجوه القراءات السبع» ١ :١٠، «النكت والعيون» ١ :٤٩، «المحرر الوجيز» ١ :٥٠، «تفسير ابن كثير» ١ :٣٤.
(٣) سورة الحجر، الآية: ٣٥.
(٤) سورة ص، الآية: ٧٨.
(٥) سورة النساء، الآية: ١١٧ـ١١٨.
(٦) انظر «النكت والعيون» ١ :٤٨، «لباب التأويل في معاني التنزيل» ١ :١٠.
(٧) في «تفسيره» ١ :٣٤.

«أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»

وقد جاء في الصيغ الأخرى بعض الزيادات

ففي الصيغة الثانية زيادة: السميع العليم.

وهما اسمان من أسماء الله ـ تعالى ـ فالسميع مشتق من صفة السمع وهو على وزن «فعيل» صفة مشبهة وصيغة مبالغة، يدل على أنه جل وعلا ذو السمع الذي وسع جميع الأصوات.

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾[2].

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ (الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ـ ﷺ ـ وأنا في ناحية البيت، تشكو زوجها، وما أسمع ما تقول. فأنزل الله ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾[3].

والعليم: اسم من أسماء الله مشتق من العلم. والعلم هو إدارك المعلوم على ماهو عليه[4] إدراكاً جازماً. وعليم على وزن «فعيل» صفة

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨١.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ١.

(٣) أخرجه ابن ماجه في المقدمة حديث ١٨٨. وصححه الألباني حديث ١٥٥ وأخرجه أحمد ٦: ٤٦.

(٤) انظر «شرح صحيح مسلم» ١٦: ٢١٣.

مشبهه وصيغة مبالغة يدل على أنه تعالى ذو العلم الواسع التام المحيط بالأشياء كلها جملة وتفصيلا، في أطوارها الثلاثة، قبل الوجود، وبعده، وبعد العدم، كما قال موسى ـ عليه السلام ـ حينما سئل عن القرون الأولى ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾[1].

فلا يعترى علمه جل وعلا جهل سابق، ولا نسيان لاحق.

وجاء في الصيغة الثالثة والرابعة زيادة: من همزه ونفخه ونفثه.

فهمز الشيطان: المُوتة ـ بضم الميم، وهي الخنق: نوع من الجنون والصرع[2].

---

(١) سورة طه، الآية: ٥٢.

(٢) انظر «النكت والعيون» ١: ٤٨، «النهاية» مادة «همز»، «إغاثة اللهفان» ١: ١٥٤ـ١٥٥.
وقد أنكر كثير من العقلانيين صرع الجن للإنس، وملابسة الجني للإنسي، ودخوله في بدنه، وقد دل الكتاب والسنة على ذلك. قال الله تعالى: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ آية (٢٧٥) البقرة. وقال ـ ﷺ ـ: «إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم» متفق عليه.
وقد ثبت عن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ أنه كان يقرأ على المصروع، فيتكلم الجني، ويعاهد، ويخرج، فيقوم المصروع ما به أذى. وقد حصل ذلك أيضا لغيره من العلماء، كشيخ الإسلام ابن تيمية، ووقائع ذلك وشواهده أكثر من أن تحصر. ولقد وصل الأمر ببعض المسلمين من الكتاب وغيرهم، بل ببعض المنتسبين إلى أهل السنة والجماعة، إلى إنكار وجودهم ـ شأن بعض أهل الكتاب، والمعتزلة وغيرهم ـ مع أن الله ذكرهم في كتابه في مواضع كثيرة، وأفرد لهم سورة كاملة تسمى سورة «الجن» وجاء ذكرهم في السنة في أحاديث كثيرة، منها ما جاء في الاستعاذة وغير ذلك، كحديث أبي سعيد قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إن بالمدينة نفراً من الجن قد أسلموا، فمن رأى شيئاً من هذه العوامر فليؤذنه ثلاثا، فإن بدا له بعد فليقتله، فإنه شيطان» رواه مسلم وغيره.
فالواجب الإيمان بوجودهم، وبكل ما ذكر الله عنهم في كتابه وفي سنة رسوله ـ ﷺ ـ مثل كونهم يتناسلون. قال الله تعالى ـ عن الشيطان ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من =

ونفخه: الكبر[1].

ونفثه: النفث: الشعر، لأنه ينفث من الفم[2]. وقيل: السحر[3] ولامانع من حمله عليهما معا فالشعر والسحر كلاهما من نفث الشيطان لكن المراد بالشعر هنا الشعر المذموم، في الأغراض السيئة كنصرة الباطل وأهله، والهجاء المقذع، والغزل الماجن، والمدح المفرط، ونحو ذلك.

أما الشعر المحمود، في الأغراض الشريفة السامية، كالانتصار للحق، والحث على الفضائل، ومكارم الأخلاق، والتحذير من الرذائل ومساوىء الأخلاق فهذا ليس من نفث الشيطان.

قال تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

= دوني﴾ آية (٥٠) الكهف. ومثل كونهم يرون الإنس. قال تعالى: ﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم﴾ آية (٢٧) الأعراف، وأن لهم رسلا من الإنس وقيل منهم قال تعالى ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم﴾ آية (١٣٠) الأنعام، وأن محمداً ـ ﷺ ـ رسول لهم وللإنس، قال تعالى ﴿قل أوحي إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا﴾ الآيات (١ـ٢)، الجن. انظر «مجموع فتاوى ابن تيمية» ١٩: ٩ـ٦٥، ٢٤: ٢٧٦، «زاد المعاد» ٤: ٦٦، «رسالة إيضاح الحق في دخول الجني في الإنسي» لابن باز، «الصحيح البرهان فيما يطرد الشيطان» ص٥١، «عالم الجن والشياطين» ص٥٤، ١٣٧، «المدرسة العقلية الحديثة» ص٢٤١.

(١) انظر «النكت والعيون» ١: ٤٨، «النهاية» مادة «نفخ».

(٢) انظر «النهاية» مادة «نفث».

(٣) انظر «النكت والعيون» ١: ٤٨.

﴿وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾[1] أي انتصروا للحق وأهله.

ولقد كان الشعر في صدر الإسلام من أقوى أسلحة الدعوة وأعظمها.

فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**اهجوا قريشاً، فإنه أشد عليهم من رشق بالنبل**»، فأرسل إلى ابن رواحة، فقال: «أهجهم»، فهجاهم، فلم يرض، فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فلما دخل عليه، قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذَنَبه، ثم أَدلعَ لسانهَ، فجعل يحركه، فقال: والذي بعثك بالحق، لأفرينهم بلساني، فري الأديم. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**لا تعجل، فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسبا، حتى يلخص لك نسبي**» فأتاه حسان، ثم رجع فقال: يارسول الله، قد لخص لي نسبك، والذي بعثك بالحق لأَسُلنَّك منهم، كما تسل الشعرة من العجين. قالت عائشة فسمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول لحسان: «**إن روح القدس، لايزال يؤيدك، ما نافحت عن الله ورسوله**» وقالت: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «**هجاهم حسان فشفى واشتفى**».

قال حسان:

هجــوت محمـــداً فــأجبــت عنـــه   وعنـــــد الله فـــــي ذاك الجـــــزاء

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٤ـ٢٢٧.

هجوت محمداً براً تقياً . . . الخ[١]

وعن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول لحسان بن ثابت: «**اهجهم، أو هاجهم، وجبريل معك**» متفق عليه[٢].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ «أن عمر مر بحسان، وهو ينشد الشعر في المسجد فلحظ إليه، فقال: قد كنتُ أنشد، وفيه من هو خير منك. ثم التفت إلى أبي هريرة، فقال: أنشدك الله! أسمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «**أجب عني، اللهم أيده بروح القدس**» قال: اللهم نعم. متفق عليه[٣].

وقد كان ـ ﷺ ـ ينشد مع أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ يوم الخندق:

والله لـــولا أنـــت مـــا اهتـــدينـــا ... ولا تصـــــدقنـــا ولا صلينـــا

فـــأنـــزلـــن سكينـــة علينـــا ... وثبـــت الأقـــدام إن لاقينـــا

إن الألـــى قـــد بغـــوا علينـــا ... وإن أرادوا فتنـــــة أبينـــــا[٤]

---

(١) أخرجه مسلم ـ في فضائل الصحابة ـ فضائل حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ حديث ٢٤٩٠، والبخاري في المغازي مختصرا جداً وليس فيه ذكر الشعر ـ حديث ٤١٤٥.

(٢) أخرجه البخاري ـ في بدء الخلق ـ باب ذكر الملائكة ـ حديث ٣٢١٣، ومسلم في فضائل الصحابة ـ فضائل حسان بن ثابت حديث ٢٤٨٦.

(٣) أخرجه البخاري ـ في بدء الخلق ـ باب ذكر الملائكة ـ حديث ٣٢١٢، ومسلم في فضائل الصحابة ـ فضائل حسان بن ثابت، حديث ٢٤٨٥.

(٤) أخرجه من حديث البراء ـ البخاري في الجهاد ـ باب حفر الخندق، حديث ٢٨٣٧، ومسلم ـ في الجهاد والسير ـ باب غزوة الأحزاب، حديث ١٨٠٣، وهذه الأبيات =

وكان يقول ـ أيضاً ـ يوم الخندق:

«اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر اللهم للأنصار والمهاجرة».

فقالوا مجيبين له:

نحـــن الـــذيـــن بـــايعـــوا محمـــدا علـــى الجهـــاد مـــا بقينـــا أبـــدا[1]

وكان عليه الصلاة والسلام ينشد يوم حنين:

أنــــــا النبـــــــي لا كـــــــذب أنــــــا ابــــن عبــــدالمطلــــب[2]

ومما يدل على أهمية الشعر في صدر الإسلام، وأنه كان من أقوى أسلحة الدعوة، ما جاء في قصة الأعشى، عندما جاء ليسلم، حاملا قصيدته المأثورة المشهورة:

ألـم تغتمـض عينـاك ليلـة أرمـدا وبـت كمـا بـات السليـم مسهـدا

والتي جاء فيها:

فـآليـت لا أرثـي لهـا مـن كـلالـة ولا من حفى حتى تلاقي محمدا

متى ما تناخي عند باب ابن هاشم تـراحـي وتلقـي مـن فـواضلـه نـدا

نبيــا يــرى مــا لايــرون وذكــره أغـار لعمـري فـي البـلاد وأنجـدا

لــه صــدقــات مــا تغــب ونــائــل وليـس عطـاء اليـوم مـانعـه غـدا

= لعامر ابن الأكوع. انظر «السيرة النبوية» لابن هشام ٢: ٣٢٨، «شرح أبيات مغني اللبيب» ٦: ٣٧ـ٣٩.

(١) أخرجه من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ البخاري ـ في الجهاد ـ باب الصبر عند القتال، حديث ٢٨٣٤، ومسلم ـ في الجهاد والسير، حديث ١٨٠٥.

(٢) أخرجه من حديث البراء ـ البخاري ـ باب من قاد دابة غيره في الحرب، حديث ٢٨٦٤، ومسلم في الجهاد والسير ـ باب غزوة حنين ـ حديث ١٧٧٦.

أجـدك لـم تسمـع وصـاة محمـد نبـي الإلـه حيـث أوصـى وأشهـدا
إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
نـدمـت علـى ألا تكـون كمثلـه وأنك لم ترصد لما كان أرصدا

. . . الخ.

فقد قابله المشركون، فعرضوا عليه أن يرجع تلك السنة وأعطوه مائة ناقة، وذلك اتقاء لسانه، وخوفا أن يكون في جانب الدعوة إلى الله، فقبل ذلك، على أن يعود من العام القابل فيسلم، وفي رجوعه، سقط من دابته على رقبته، فمات[(١)].

والخلاصة أن المعنى العام للاستعاذة بصيغها: ألجأ إلى الله وأعتصم به وبأسمائه الحسنى وصفاته العليا وكلماته التامة التي لايجاوزهن بر ولا فاجر من الشيطان الرجيم، ونزغاته ووساوسه، وأسأل الله العصمة منه، والحفظ والصيانة والسلامة من جميع شرور الشيطان.

. . . .

(١) انظر «ديوان الأعشى» ص١٨٥-١٨٧، «السيرة النبوية» ٢: ٢٦-٢٨، «الشعر والشعراء» ص٢٧٥.

المبحث الخامس
أحكام الاستعاذة

أ ـ مكان الاستعاذة من القراءة:

قال الله ـ تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾[1].

ظاهر الآية أن الاستعاذة محلها بعد القراءة.

وقد تمسك بهذا الظاهر بعض القراء، فنقل ذلك عن حمزة[2]، وأبي حاتم السجستاني[3]، ورُوِيَ ذلك ـ أيضاً ـ عن أبي هريرة[4] ـ رضي الله عنه ـ، ومحمد بن سيرين[5]، وإبراهيم النخعي[6]، وداود الظاهري[7] وحكاه

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٨.

(٢) انظر «غرائب القرآن» للنيسابوري ١: ١٦، «تفسير ابن كثير» ١: ٢٩.

(٣) انظر «تفسير ابن كثير» ١: ٢٩.

(٤) انظر «التفسير الكبير» ٢٠: ١١٤، «المجموع» ٣: ٣٢٥، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ٨٨، «تفسير ابن كثير» ١: ٢٩.

(٥) أخرج عبدالرزاق ـ في الصلاة ـ باب متى يستعيذ ـ الأثر ٢٥٩٠، وابن أبي شيبة ـ في الصلوات ـ في التعوذ كيف هو ١: ٢٣٨ عن ابن سيرين أنه كان يتعوذ قبل أن يقرأ أم القرآن وبعد قراءتها.

(٦) أخرجه عن النخعي عبد الرزاق ـ في الصلاة ـ متى يستعيذ حديث ٢٥٩٣ وانظر «المجموع» ٣: ٣٢٥، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٠.

(٧) انظر «التفسير الكبير» ١: ٥٩، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ٨٨، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٠.

القرطبي[١] وغيره عن مالك واستغرب ذلك ابن العربي[٢].

واحتج بعضهم لهذا القول بأن الاستعاذة بعد القراءة تدفع الاعجاب بعد فراغ القراءة[٣]، وتكون سببا للاستفادة من التلاوة، وحفظها وثباتها[٤].

وجمهور **أهل العلم والتحقيق** على أن الاستعاذة مشروعة قبل القراءة، وأن معنى قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ أي: فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله، كقوله ـ تعالى: ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ﴾[٥] أي: إذا أردتم القيام إلى الصلاة[٦]، وكقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ ﴾[٧] أي: إذا أردتم القول، وكقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾[٨] أي: إذا أردتم سؤالهن، فاسألوهن من وراء حجاب،

---

(١) في «تفسيره» ١ :٨٨، وانظر «التفسير الكبير» ٢٠ :١١٤.
(٢) انظر «أحكام القرآن» لابن العربي ٣ :١١٧٥ـ١١٧٦.
(٣) انظر «التفسير الكبير» ١ :٥٩، «تفسير ابن كثير» ١ :٢٩.
(٤) انظر «إغاثة اللهفان» ١ :١٤٨.
(٥) سورة المائدة، الآية :٦.
(٦) انظر «المصنف» لعبدالرزاق ـ الصلاة ـ باب متى يستعيذ ـ الآثار ٢٥٨٨ ـ ٢٥٩٣، «تفسير الطبري» ١٤ :١٧٣، «أحكام القرآن» للجصاص ٣ :١٩١، «الإقناع في القراءات السبع» ١ :١٥٤، «أحكام القرآن» لابن العربي ٣ :١٧٥، «المحرر الوجيز» ١ :٤٨، «زاد المسير» ١ :٧، «التفسير الكبير» ١ :٥٩ـ٦٠، «الجامع لأحكام القرآن» ١ :٨٦، «التبيان» للنووي ص٦٤، «تفسير ابن كثير» ١ :٣٠، ٣٢.
(٧) سورة الأنعام، الآية :١٥٢.
(٨) سورة الأحزاب، الآية :٥٣.

وكقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾[(١)] أي إذا أردتم مناجاة الرسول ـ ﷺ ـ[(٢)].

قال القرطبي[(٣)]: «فأوقع الماضي، مكان المستقبل، كقول الشاعر:

وإني لآتيكم لذكر الذي مضى … من الود واستئناف ما كان في غد[(٤)]

أي ما يكون في غد.

وعلى هذا المعنى دلت السنة، كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا قام إلى الصلاة بالليل كبر، ثم يقول: «**سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك، ثم يقول: الله أكبر كبيرا، ثم يقول: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه**»[(٥)].

وهذا القول هو الصحيح.

قال الجصاص[(٦)]: «وقول من قال: إن الاستعاذة بعد الفراغ من القراءة شاذ، وإنما الاستعاذة قبل القراءة، لنفي وساوس الشيطان عند القراءة، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ١٢.
(٢) انظر «أحكام القرآن» للجصاص ٣: ١٩١.
(٣) في «تفسيره» ١: ٨٦.
(٤) البيت للطرماح ـ انظر «ذيل ديوانه» ص٥٧٢.
(٥) سبق تخريجه في الكلام على صيغ الاستعاذة في المبحث الأول، من هذا الفصل.
(٦) في «أحكام القرآن» ٣: ١٩١.

ﭐلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾[١]، فإنما أمر الله بتقديم الاستعاذة قبل القراءة لهذه العلة».

بل حُكي الإجماع عليه.

قال مكي في كتابه «الكشف عن وجوه القراءات السبع»[٢]: «فإن قيل: فإن ظاهر النص أن يتعوذ القارىء بعد القراءة، لأنه قال ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ﴾ والفاء بعدما قبلها، تتبعه هو أصلها، فالجواب: أن المعنى على خلاف الظاهر، معناه: فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله، ودل على ذلك الإجماع أن الاستعاذة قبل القراءة، ودليل هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾[٣]، فوقع في ظاهر التلاوة أن مجيء البأس بعد الهلاك، وليس المعنى على ذلك، إنما معناه: وكم من قرية أردنا إهلاكها، فجاءها بأسنا. فمجيء البأس، بعد إرادة الهلاك، وقبل الهلاك، وكذلك التعوذ، المأمور به، يكون بعد إرادة القراءة، وقبل القراءة، على أصل الفاء».

وقد ضعف ابن الجزري[٤] صحة المروي في هذا، عن حمزة وأبي حاتم، وأبي هريرة وابن سيرين والنخعي، في أنها بعد القراءة، وقال: «محلها قبل القراءة إجماعا، ولا يصح قول بخلافه، عن أحد ممن

---

(١) سورة الحج، الآية: ٥٢.

(٢) ١: ٩.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٤.

(٤) في «النشر» ١: ٢٥٤، وانظر: «المحلى» ٣: ٥٠، «المبسوط» ١: ١٣، «أحكام القرآن» لابن العربي ٣: ١١٧٥-١١٧٦، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٠.

يعتبر قوله».

واتفق القراء، على مشروعية التعوذ، قبل البسملة، في ابتداء السور، واختلفوا فيما إذا ابتدأ القارىء بوسط السورة، هل يتعوذ، أو يبسمل، أو يجمع بينهما.

والصحيح أنه يتعوذ فقط. ويقف بعد الاستعاذة ثم يقرأ، ويجوز أن يصل الاستعاذة بالقراءة[١].

واستثنى بعض أهل العلم، مثل قوله ـ تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿۞وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿۞ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿۞إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[٥]، ونحوها من الآيات، نظرا لما في الاستعاذة قبلها من قبح اللفظ. قالوا: ففي مثل هذه المواضع يستعيذ ثم يبسمل[٦].

وهذا الاستثناء لا دليل عليه، بل الدليل على خلافه، لأن الأمر بالاستعاذة عام لكل قراءة للقرآن، من أي موضع منه كانت القراءة، والبسملة - على الصحيح - لاتشرع إلا في أول السورة. والتعليل بقبح

---

(١) انظر «التبصرة» ص٢٤٦ـ٢٥٠، «الإقناع» ١: ١٥٤، «البرهان» ١: ٤٦٠، «النشر» ١: ١٥٧: ٢٦٥، «التسهيل لعلوم التنزيل» ١: ٣٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٤١.
(٤) سورة الروم، الآية: ٥٤.
(٥) سورة فصلت، الآية: ٤٧.
(٦) انظر «البرهان» ١: ٤٦٠، «النشر» ١: ٢٦٦.

اللفظ لا يكفي مسوغا للبسملة وسط السورة بلا دليل، لكن كما يشرع الوقف على كثير من آي القرآن لمراعاة اللفظ والمعنى، فكذلك ينبغي أن يقف القارىء بعد الاستعاذة ويسكت قليلا في مثل هذه المواضع المذكورة، وبهذا يزول القبح.

❊ ❊ ❊

ب ـ حكمها عند قراءة القرآن، في الصلاة أو خارجها:

اختلف أهل العلم في حكم الاستعاذة عند القراءة.

فذهب بعض أهل العلم إلى أنها واجبة في الصلاة وخارجها[١].

منهم عطاء[٢]، واختاره ابن حزم في المحلى[٣]، وانتصر له.

وقد استدل من ذهب إلى هذا القول بظاهر الآية ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾[٤].

قالوا فالأمر يقتضي الوجوب، كما استدلوا بمواظبة الرسول ـ ﷺ ـ على التعوذ وتعليمه ذلك لأصحابه، وبأن شر الشيطان يجب دفعه بكل وسيلة، وأعظم وسيلة لدفعه هي اللجوء إلى الله، والاستعاذة به من شر الشيطان، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب[٥].

فعلى هذا إذا نسي القارىء أن يستعيذ قطع القراءة فتعوذ، وابتدأ من حيث وقف، وقيل من أول الحزب.

---

(١) انظر «المبسوط» ١: ١٣، «التفسير الكبير» ١: ٦٠، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ٨٧ـ٨٨، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٢، «النشر» ١: ٢٥٨، «المهذب في القراءات العشر» ١: ٣٠.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في الصلاة ـ باب الاستعاذة في الصلاة حديث ٢٥٧٤ وذكره الجصاص ٣: ١٩١، وابن حزم في «المحلى» ٣: ٢٥٠، وابن كثير في «تفسيره» ١: ٣٢.

(٣) ٣: ٢٤٧، ٢٥٠.

(٤) سورة النحل، الآية: ٩٨.

(٥) انظر «التفسير الكبير» ١: ٦٠، «غرائب القرآن» ١: ١٦، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٢.

وجمهور أهل العلم من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم، على أن الاستعاذة مستحبة، قبل كل قراءة للقرآن، سواء كان ذلك في الصلاة، أو خارجها.

وهذا مروي عن ابن عمر، وأبي هريرة[١]، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، وابن سيرين، وإبراهيم النخعي، والأوزاعي، والثوري[٢].

وهو قول أبي حنيفة، وأصحابه[٣]، وأحمد بن حنبل، وأصحابه[٤]، وإسحاق[٥]، وهو الذي اختاره أكثر الشافعية، وصححوه عن الشافعي[٦].

وحملوا الأمر في الآية: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ على الندب والاستحباب، كقوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[٧] وقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾[٨].

وقد استدلوا لهذا القول بأن الرسول ـ ﷺ ـ يذكر كثيراً من الآيات

---

(١) انظر «المجموع» ٣:٣٢٥.
(٢) انظر «المغني» ٢:١٤٥، «المجموع» ٣:٣٢٥.
(٣) انظر «المبسوط» ١:١٣، «فتح القدير» لابن الهمام ١:٢٩١.
(٤) انظر «التحقيق» ١:٢٩٠، «المغني» ٢:١٤٥، «إغاثة اللهفان» ١:١٥٢.
(٥) انظر «المغني» ٢:١٤٥، «المجموع» ٣:٣٢٥.
(٦) انظر «المجموع» ٣:٣٢٥، ٣٢٦.
(٧) سورة النساء، الآية:٣.
(٨) سورة النور، الآية:٣٢. انظر «أحكام القرآن» للجصاص ٣: ١٩١ «الكشف عن وجوه القراءات السبع» لمكي ١:٩.

ضمن الأحاديث التي صحت عنه ـ وما نقل عنه ـ ﷺ ـ أنه كان يستعيذ، فدل هذا على أن الأمر هنا ليس للوجوب.

وقال الطبري[١]: يستدل له بإجماع الجميع على عدم وجوبها[٢].

وقال السرخسي في «المبسوط»[٣] بعد أن ذكر قول عطاء بوجوبها: «وهو مخالف لإجماع السلف فقد كانوا مجمعين على أنها سنة».

وقال ابن عطية[٤]: «أجمعوا على استحسان ذلك والتزامه في كل قراءة في غير الصلاة».

وقال ابن هبيرة في «الافصاح»[٥]: «واتفقوا على أن التعوذ في الصلاة على الاطلاق قبل القراءة سنة إلا مالكا، فإنه قال: لا يتعوذ في المكتوبة».

وقال النووي في «التبيان»[٦]: «ثم إن التعوذ مستحب وليس بواجب، وهو مستحب لكل قارىء، سواء كان في الصلاة أو في غيرها».

وقال ابن كثير[٧]: «وجمهور العلماء على أن الاستعاذة مستحبة،

---

(١) انظر «تفسيره» ١٤: ١٧٣ طبعة عيسى الحلبي.
(٢) هذا فيه تسامح من الطبري رحمه الله في حكايته للإجماع كما هو معروف من منهجه.
(٣) ١: ١٣.
(٤) في «تفسيره» ١: ٤٨، وانظر «الجامع لأحكام القرآن» ١: ٨٧ـ٨٨.
(٥) ١: ١٢٥ وانظر «التفسير الكبير» ٢٠: ١١٥.
(٦) ص٦٤ـ٦٥. وانظر «المجموع» ٣: ٣٢٥، «لباب التأويل» ١: ١٠.
(٧) في «تفسيره» ١: ٣٢، وانظر «البرهان» ١: ٤٦٠، «النشر» ١: ٢٥٧ـ٢٥٨.

ليست بمتحتمة، يأثم تاركها».

ومعلوم أن التعوذ إنما شرع للتلاوة المجردة، وشرع في الصلاة لأجل التلاوة[١]، لا لأنه من واجبات الصلاة أو سننها، بل لأنه مستحب قبل قراءة القرآن مطلقا، لعموم قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ فذلك شامل للقراءة في الصلاة وفي غيرها.

وإذا قطع القراءة في غير الصلاة لعذر كعطاس أو كلام يتعلق بمصلحة القراءة فإنه لايعيد الاستعاذة، وأما لو قطعها إعراضا عن القراءة، أو لكلام لا يتعلق بالقراءة، فإنه يستأنف الاستعاذة استحبابا[٢].

ج ـ هل يتعوذ في الصلاة في كل ركعة، أو في الركعة الأولى فقط:

أكثر أهل العلم، على أن قراءة الصلاة كلها كقراءة واحدة، يكفي فيها الاستعاذة مرة واحدة، في الركعة الأولى.

منهم عطاء[٣] والحسن البصري[٤]

---

(١) انظر «تفسير ابن كثير» ١: ٣٢.

(٢) انظر «المجموع» ٣: ٣٢٥، «البرهان» ١: ٤٦٠، «النشر» ١: ٢٥٩.

(٣) أخرجه عن عطاء عبدالرزاق ـ في الصلاة ـ باب الاستعاذة في الصلاة ـ حديث ٢٥٧٦، ٢٥٨٤، ٢٥٨٥، وانظر «أحكام القرآن» للجصاص ٣: ١٩١، «المجموع» ٣: ٣٢٦.

(٤) أخرجه عن الحسن عبدالرزاق ـ في الموضع السابق ـ حديث ٢٥٨٧، وانظر «سنن البيهقي» ٢: ٣٦، «المحلى» ٣: ٢٤٩، «المجموع» ٣: ٣٢٦.

والنخعي[١] والثوري[٢] وابن سيرين[٣] وطاوس[٤]، وأبو حنيفة[٥]، والشافعي[٦]، وأحمد في رواية عنه[٧]

وإذا نسي أن يتعوذ في الركعة الأولى، تعوذ في الركعة الثانية عند الشافعي[٨]. وقال الإمام أحمد «إن نسي التعوذ حتى شرع في القراءة لم يعد إليه لذلك»[٩].

واستدلوا بعموم قوله تعالى: ﴿فاستعذ بالله﴾.

وبحديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «**كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا نهض من الركعة الثانية استفتح القراءة، ولم يسكت**»[١٠].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في «زاد المعاد»[١١] بعدما ذكر الرواية عن أحمد: «الاكتفاء باستعاذة واحدة أظهر ـ ثم استدل بحديث أبي

---

(١) أخرجه عن النخعي ـ عبدالرزاق ـ في الموضع السابق حديث ٢٥٨٦، وانظر أحكام القرآن للجصاص ٣: ١٩١، سنن البيهقي ٢: ٣٦ المجموع ٣: ٣٢٦.

(٢) ذكره عن سفيان الثوري ـ النووي في «المجموع» ٣: ٣٢٦.

(٣) ذكره عن ابن سيرين الجصاص ٣: ١٩١.

(٤) ذكره عن طاوس ابن حزم في «المحلى» ٣: ٢٤٩.

(٥) انظر «أحكام القرآن» للجصاص ٣: ١٩١، «فتح القدير» لابن الهمام ١: ٢٩٠.

(٦) انظر «الأم» ١: ١٠٧، «المهذب» ١: ٧٩، «المجموع» ٣: ٣٢٢، «البيان» ص٦٥، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٢.

(٧) انظر «المسائل الفقهية» ٣/ ١١٥ـ١١٦، «زاد المعاد» ١: ٢٤١ـ٢٤٢.

(٨) انظر «المجموع» ٣: ٣٢٤.

(٩) «المغني» ٢: ١٤٥.

(١٠) أخرجه مسلم ـ في المساجد ومواضع الصلاة ـ باب ما يقال عند تكبيرة الإحرام والقراءة ـ حديث ٥٩٩.

(١١) ١: ٢٤٢، وانظر «المبسوط» ١: ١٣ـ١٤.

هريرة ثم قال: «وإنما يكفي استعاذة واحدة، لأنه لم يتخلل القراءتين سكوت، بل تخللهما ذكر، فهي كالقراءة الواحدة، إذا تخللها حمد الله، أو تسبيح، أو تهليل، أو صلاة على النبي - ﷺ - ونحو ذلك».

وعلى هذا فيكتفي المصلي بالاستعاذة في الركعة الأولى، ثم يبسمل، ويقرأ الفاتحة، فإن قرأ بعدها من أول سورة بسمل فقط، وإن قرأ من وسط السورة تركهما معا، أما في بقية الركعات فيبسمل مع الفاتحة، وفي أول السورة فقط، ولا يستعيذ، لا مع الفاتحة ولا مع مايقرأ بعدها.

وذهب بعض العلماء إلى أن المصلي يتعوذ في كل ركعة، لأن كل ركعة لها قراءة مستقلة.

وهو مروي عن النخعي[١] وابن سيرين[٢].

وهو أحد الوجهين عند الشافعية[٣]، بل صححه بعضهم.

قال النووي في «التبيان»[٤]: «ويستحب التعوذ في الصلاة في كل ركعة على الصحيح من الوجهين عند أصحابنا». وهو رواية عن الإمام أحمد[٥]. واختاره ابن حزم في ....

(١) انظر «المحرر الوجيز» ١: ٤٨، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ٨٦.
(٢) أخرجه عن ابن سيرين عبدالرزاق في الصلاة - باب متى يستعيذ - حديث ٢٥٩١، وانظر «المحلى» ٣: ٢٤٩.
(٣) انظر «الأم» ١: ١٠٧، «المهذب» ١: ٧٩، «المجموع» ٣: ٣٢٢-٣٢٦.
(٤) ص٦٥
(٥) انظر «المسائل الفقهية» ص ٣/ ١١٥-١١٦، «زاد المعاد» ١: ٢٤١-٢٤٢.

«المحلى»[١].

وذهب الإمام مالك إلى أنه لا يتعوذ الرجل في المكتوبة، ولكن يتعوذ في قيام رمضان، وفي رواية في النافلة[٢].

د ـ حكم الجهر بها، أو الإسرار:

أما في غير الصلاة فذهب جمهور القراء إلى أن القارىء يجهر بالاستعاذة.

قال مكي في «التبصرة»[٣]: «المختار لجميع القراء، المعول عليه، أن يبدأ بأعوذ بالله من الشيطان الرجيم» يعني جهرا.

وذهب بعض القراء إلى أن القارىء يُسر بالاستعاذة.

وهو مروي عن حمزة[٤]، ونافع[٥]، وقيل: إن نافعا لا يتعوذ[٦].

قال مكي في «الكشف عن وجوه القراءات السبع»[٧] بعدما ذكر

---

(١) ٣: ٢٤٧.

(٢) انظر «المدونة» ١: ٦٤، «المحرر الوجيز» ١: ٤٨، «أحكام القرآن» لابن العربي ٣: ١١٧٦، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ٨٦.

(٣) ص٢٤٦، وانظر «الكشف عن وجوه القراءات السبع» ١: ١١، «الإقناع في القراءات السبع» ١: ١٥٣، «المحرر الوجيز» ١: ٥٠، «النشر» ١: ٢٥٢ـ٢٥٤، «التسهيل لعلوم التنزيل» ١: ٣٠.

(٤) انظر «التبصرة» ص٢٤٥، «الإقناع في القراءات السبع» ١: ١٥٢، «النشر» ١: ٢٥٢.

(٥) انظر «الإقناع في القراءات السبع» ١: ١٥٢.

(٦) انظر «التبصرة» ص٢٤٥، «الكشف عن وجوه القراءات السبع» ١: ١٢، «النشر» ١: ٢٥٢، ٢٥٣.

(٧) ١: ١١.

القول بالإسرار: «لئلا يظن ظان أو يتوهم متوهم أنه من القرآن، أو أنه فرض لازم».

أما الذين اختاروا الجهر بها فقالوا: قد عُلِمَ يقينا أنها ليست من القرآن، فلا محذور في الجهر بها، وهو أولى لإغاظة الشيطان، ودفع وساوسه، وتعليم الجاهل، وتذكير المستمع إلى غير ذلك من فوائد الجهر بها.

وأما حكم الجهر بها في الصلاة

فذهب جمهور العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من القراء والفقهاء إلى مشروعية الإسرار بالاستعاذة في الصلاة: منهم الخلفاء الأربعة(١)، وعبدالله بن عمر(٢)، وعبدالله بن مسعود(٣)، وإبراهيم النخعي(٤).

وبه قال أبو حنيفة(٥)، وأحمد بن حنبل(٦)، وهو وجه في مذهب

---

(١) انظر «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ٢٢:٤٠٥، وانظر «المحلى» ٣:٢٤٩.

(٢) أخرجه عن ابن عمر الشافعي في «الأم» ١:١٠٧، والبيهقي في الصلاة ـ باب الجهر بالتعوذ والإسرار به. من طريق الشافعي ٢:٣٦.

(٣) انظر «المحلى» ٣:٢٤٩.

(٤) أخرجه عن النخعي عبدالرزاق ـ في الصلاة ـ باب ما يخفي الإمام ـ الأثر ٢٥٩٦ـ٢٥٩٧، وانظر «المحلى» ٣:٢٤٩.

(٥) انظر «المبسوط» ١:١٣، «فتح القدير» لابن الهمام ١:٢٩١.

(٦) انظر «مسائل الإمام أحمد» رواية ابنه عبدالله ص٧٦، «المغني» ٣:١٤٦، «النشر» ١:٢٥٤.

الشافعي[١]، وقول مالك في قيام الليل[٢].

وذهب بعض أهل العلم إلى الجهر بالاستعاذة في الصلاة وهو مروي عن أبي هريرة[٣].

وهو اختيار الشافعي في «الإملاء»[٤] قال: «يجهر بالتعوذ، وإن أسر فلا يضر».

وقال بعضهم بالتخيير بين الجهر والإسرار. وهو وجه في مذهب الشافعي[٥].

قال ابن أبي ليلى: «الإسرار والجهر سواء، هما حسنان»[٦].

والصحيح من أقوال أهل العلم، الإسرار بها، وعدم الجهر، إلا لحاجة كتعليم ونحوه.

قال السرخسي[٧]: «لأن الجهر بالتعوذ لم ينقل عن رسول الله ـ ﷺ ـ، ولو كان يجهر به لنقل نقلا مستفيضا...».

---

(١) انظر «الأم» ١: ١٠٧، «المهذب» ١: ٧٩، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٢.

(٢) انظر «النشر» ١: ٢٥٤.

(٣) أخرجه عن أبي هريرة ـ الشافعي ـ في «الأم» ١: ١٠٧، والبيهقي في الصلاة ـ الجهر بالتعوذ والإسرار به من طريق الشافعي ٢: ٣٦، وانظر «المهذب» ١: ٧٩، «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٠٥.

(٤) انظر «المجموع» ٣: ٣٢٤، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٢، «النشر» ١: ٢٥٣ـ٢٥٤.

(٥) انظر «الأم» ١: ١٠٧، «المجموع» للنووي ٣: ٣٢٤، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٢، «النشر» ١: ٢٥٣.

(٦) انظر «المجموع» ٣: ٣٢٦.

(٧) في «المبسوط» ١: ١٣.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[١]: «الجهر بالتعوذ أحياناً للتعليم ونحوه لا بأس به، كما كان عمر بن الخطاب، يجهر بدعاء الاستفتاح مدة[٢]... وأما المداومة على الجهر بذلك، فبدعة، مخالفة لسنة رسول الله ـ ﷺ ـ وخلفائه الراشدين، فإنهم لم يكونوا يجهرون بذلك دائماً، بل لم ينقل أحد عن النبي ـ ﷺ ـ أنه جهر الاستعاذة والله أعلم».

وقال ابن الجزري[٣] «المختار في الصلاة الاخفاء».

ولكن إذا جهر الإمام ولم يسكت، فهل يستعيذ المأموم، أولا، فيه قولان لأهل العلم، وهما روايتان عن الإمام أحمد[٤]، القول الأول يستعيذ، والثاني لا يستعيذ. قال ابن تيمية[٥] «وهو أصح، وهو قول أكثر العلماء كذلك والشافعي، وكذا أبو حنيفة فيما أظن».

قلت وقد اختار القول الأول بأنه يستعيذ كما يبسمل ـ وإن لم يسكت الإمام ـ تبعاً لقراءة الفاتحة بعض أهل العلم[٦].

* * *

---

(١) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٠٥.

(٢) أخرج مسلم ـ في الصلاة ـ حديث ٢٩٩ ـ عن عبدة أن عمر بن الخطاب، كان يجهر بهؤلاء الكلمات يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك، تبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك». كما جهر ابن عباس في قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة، وقال «لتعلموا أنها سنة» أخرجه البخاري ـ في الجنائز حديث ٦٢٣٥.

(٣) في «النشر» ١: ٢٥٣، ٢٥٤. وانظر «غرائب القرآن» للنيسابوري ١: ١٦.

(٤) انظر «المسائل الفقهية» ١: ١١٦.

(٥) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٣٤١. وانظر ٢٣: ٢٨٠ـ٢٨٢.

(٦) انظر مايأتي ص١٣٦.

المبحث السادس

المواضع التي تشرع فيها الاستعاذة

تشرع الاستعاذة في مواضع كثيرة منها مايلي:

١ـ عند قراءة القرآن، قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ ﴾[(٢)].

٢ـ عند حصول نزغ من الشيطان، ووسوسة للإنسان، قال الله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[(٣)]. وقال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾[(٤)]. وقال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾[(٥)]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾[(٦)].

٣ـ عندما يوسوس الشيطان للمسلم في معتقده بربه. فعن أبي

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٨.
(٢) سورة الحج، الآية: ٥٢.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.
(٤) سورة فصلت، الآية: ٣٦.
(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٩٧ـ٩٨.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «**يأتي الشيطان أحدكم، فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول من خلق ربك، فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته**» متفق عليه(١).

٤ـ عندما يُلبس الشيطان، على الإنسان في صلاته.

فعن عثمان بن أبي العاص ـ رضي الله عنه ـ أنه أتى النبي ـ ﷺ ـ فقال: يارسول الله، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي، وقراءتي، يلبسها عليّ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**ذاك شيطان، يقال له خِنْزَب، فإذا أحسسته، فتعوذ بالله منه، واتفل على يسارك ثلاثا، قال: ففعلت ذلك، فأذهبه الله عني**» رواه مسلم(٢).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان، وله ضراط حتى لايسمع التأذين، فإذا قضي النداء، أقبل، حتى إذا ثُوب بالصلاة أدبر، حتى إذا قُضي التثويب أقبل، حتى يخطر بين المرء ونفسه، يقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر، حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى**» متفق عليه(٣).

٥ـ عند الغضب، فقد أخرج البخاري ومسلم عن سليمان بن صُرَد ـ رضي الله عنه ـ، قال: استب رجلان عند النبي ـ ﷺ ـ ونحن عنده

---

(١) أخرجه البخاري في ـ بدء الخلق ـ باب صفة إبليس وجنوده ـ حديث ٣٢٧٦ ومسلم في الإيمان ـ باب بيان الوسوسة في الإيمان ـ الحديث ١٣٤.

(٢) في السلام ـ باب التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة ـ حديث ٢٢٠٣.

(٣) أخرجه البخاري ـ في الأذان ـ باب فضل التأذين ـ حديث ٦٠٨، ومسلم في الصلاة ـ فضل الأذان حديث ٣٨٩.

جلوس، وأحدهما يسب صاحبه، مغضباً قد احمر وجهه، فقال النبي - ﷺ - **«إني لأعلم كلمة لو قالها، لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول النبي - ﷺ - فقال: إني لست بمجنون»**[١].

٦- عندما يرى الإنسان رؤيا يكرهها، فعن أبي قتادة - رضي الله عنه -، قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: **«الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان، فإذا رأى أحدكم شيئاً يكرهه، فلينفث عن يساره ثلاثا، ويتعوذ بالله من شرها، فإنها لن تضره»**، وفي رواية: **«وليتعوذ بالله من شر الشيطان وشرها. . . ، فإنها لن تضره»** متفق عليه[٢].

وعن جابر بن عبدالله - رضي الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: **«إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها، فليبصق عن يساره، وليتعوذ بالله من الشيطان، ويتحول عن جنبه الذي كان عليه»** رواه مسلم[٣].

٧- عند دخول المسجد. فعن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي - ﷺ - أنه كان إذا دخل المسجد قال: **«أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم»**[٤].

---

(١) سبق تخريجه في الكلام على صيغ الاستعاذة في المبحث الأول، من هذا الفصل.

(٢) أخرجه البخاري - في بدء الخلق - باب صفة إبليس وجنوده - حديث ٣٢٩٢، ومسلم - في أول كتاب الرؤيا - حديث ٢٢٦١.

(٣) في الرؤيا - حديث ٢٢٦٢، وكذا رواه أبو داود - في الأدب - باب ما جاء في الرؤيا - حديث ٥٠٢٢، وابن ماجه - في تعبير الرؤيا - من رأى رؤيا يكرهها - حديث ٣٩٠٨.

(٤) أخرجه أبو داود - في الصلاة - باب فيما يقوله الرجل عند دخول المسجد حديث ٤٦٦ وصححه الألباني حديث ٤٤١.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**إذا دخل أحدكم المسجد، فليسلم على النبي ـ ﷺ ـ، ثم ليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليسلم على النبي، وليقل اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم**»(١).

٨ـ عند سماع نهيق الحمار، ونُباح الكلاب. فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي قال: «**إذا سمعتم صياح الديكة فسلوا الله من فضله، فإنها رأت ملكا، وإذا سمعتم نهيق الحمار، فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنه رأى شيطاناً**» متفق عليه(٢).

وعن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «**إذا سمعتم نُباح الكلاب، ونهيق الحمر بالليل فتعوذوا بالله فإنهن يرين مالا ترون**» رواه أبو داود(٣).

٩ـ عند نزول منزل. فعن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «**من نزلا منزلا، ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات، من شر ما خلق، لم يضره شيء، حتى يرتحل من منزله ذلك**» رواه

---

(١) أخرجه ابن ماجه في الصلاة ـ باب الدعاء عند دخول المسجد حديث ٧٧٣ وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري في بدء الخلق ـ باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال حديث ـ ٣٣٠٣، ومسلم ـ في الذكر ـ باب استحباب الدعاء عند صياح الديكة ـ حديث ٢٧٢٩.

(٣) في الأدب ـ باب نهيق الحمير ونُباح الكلاب ـ حديث ٥١٠٣، وصححه الألباني، حديث ٤٢٥٦.

مسلم[١].

١٠ـ عند دخول الخلاء ـ فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: كان النبي ـ ﷺ ـ إذا دخل الخلاء قال: «**اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**»[٢].

١١ـ عندما يجد الإنسان وجعاً في جسده.

فعن عثمان بن أبي العاص أنه شكا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ: «**ضع يدك على الذي يألم من جسدك، وقل: بسم الله ثلاثا، وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**» رواه مسلم[٣].

١٢ـ عند الصباح والمساء وعند النوم.

عن أبي هريرة أن أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ قال يارسول الله مُرني بكلمات أقولهن، إذا أصبحت، وإذا أمسيت، قال «**قل اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بالله من شر نفسي، وشر الشيطان وشركه. قال: قلها إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك**»[٤].

---

(١) في ـ الذكر والدعاء ـ باب التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء ـ حديث ٢٧٠٨.

(٢) أخرجه البخاري ـ في الوضوء ـ باب ما يقول عند الخلاء ـ حديث ١٤٢، ومسلم في الحيض، باب ما يقول إذا أراد دخول الخلاء ـ حديث ٣٧٥.

(٣) في السلام ـ باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء، حديث ٢٢٠٢.

(٤) أخرجه أبو داود ـ في الأدب ـ باب ما يقول إذا أصبح حديث ٥٠٦٧، والترمذي في الدعوات حديث ٣٣٩٢، وأحمد ٢:٢٩٧، وصححه الألباني.

١٣ـ عند الفزع من النوم.

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**إذا فزع أحدكم من النوم، فليقل: أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون**»[١].

١٤ـ كما يشرع للمسلم أن يعوّذ أولاده.

فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كان النبي ـ ﷺ ـ يعوذ الحسن والحسين، ويقول: «**ان أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة**» رواه البخاري[٢].

إلى غير ذلك من المواضع والأوقات، التي تتأكد فيها مشروعية الاستعاذة. قال الله ـ تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾[٣].

قال ابن زيد: «في كل شيء من أمري»[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود ـ في الطب ـ حديث ٣٨٩٣، والترمذي ـ في الدعوات حديث ٣٥٢٨ وصححه الألباني.

(٢) في الأنبياء ـ باب (١٠) ـ حديث ٣٣٧١، وأخرجه أبو داود ـ في السنة ـ باب في القرآن حديث ٤٧٣٧، والترمذي ـ في الطب ـ حديث ٢٠٦٠، وابن ماجه ـ في الطب، حديث ٣٥٢٥، وأحمد ١: ٢٣٦، ٢٧٠.

(٣) سورة المؤمنون، الآية ٩٧ـ٩٨.

(٤) أخرجه الطبري ١٨: ٥١ ـ الطبعة الثالثة.

المبحث السابع

بيان أن شيطان الجن أعظم ضرراً من شيطان الإنس ومن النفس «المذمومة»

أـ شيطان الجن أعظم ضرراً من شيطان الإنس

قال ابن كثير[١] في كلامه على الاستعاذة: «وهي استعانة بالله، واعتراف له بالقدرة، وللعبد بالضعف والعجز، عن مقاومة هذا العدو المبين الباطني، الذي لا يقدر على منعه، ودفعه إلا الله، الذي خلقه، ولا يقبل مصانعة، ولا يدارى بالإحسان، بخلاف العدو من نوع الإنسان، كما دلت على ذلك آيات من القرآن، في ثلاث من المثاني، وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ۝٦٥﴾[٢].

وقد نزلت الملائكة لمقاتلة العدو البشري، فمن قتله العدو الظاهر البشري كان شهيداً، ومن قتله العدو الباطني كان طريداً، ومن غلبه العدو الظاهري كان مأجوراً، ومن قهره العدو الباطني، كان مفتوناً، أو موزورا، ولما كان الشيطان، يرى الإنسان من حيث لايراه، استعاذ منه بالذي يراه، ولا يراه الشيطان»[٣].

---

(١) في «تفسيره» ١ : ٣٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٦٥.

(٣) انظر «غرائب القرآن» ١ : ٢٢ـ٢٣.

وقال ابن كثير ـ أيضاً[(١)] ـ: «فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله، ولهذا أمر ـ تعالى ـ بمصانعة شيطان الإنس، ومداراته بإسداء الجميل إليه، ليرده طبعه عما هو فيه من الأذى، وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن، لأنه لايقبل رشوة، ولا يؤثر فيه جميل، لأنه شرير بالطبع، ولا يكفه عنك إلا الذي خلقه، وهذا المعنى في ثلاث آيات من القرآن، لا أعلم لهن رابعة: قوله: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[(٢)] فهذا مما يتعلق بمعاملة الأعداء من البشر، ثم قال: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[(٣)]، وقال تعالى في سورة: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾[(٤)]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾[(٥)].

قال ابن الجزري[(٦)]:

---

(١) في «تفسيره» ١ : ٣٣، وانظر «إغاثة اللهفان» ١ : ١٥٥.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.
(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٩٦ـ٩٨.
(٥) سورة فصلت، الآية: ٣٤ـ٣٦. انظر أيضا ١ : ٢٩ من تفسير ابن كثير، وانظر أيضا كلامه في تفسير الآيات المذكورة من سورة الأعراف. وانظر «النشر» ١ : ٢٥٦.
(٦) في «النشر» ١ : ٢٥٧

شيطـاننـا المغـوي عـدو فـاعتصـم بـــالله منـــه والتجـــي وتعـــوذ
وعـــــدوك الإنســــــان دارِ وِدَاده تملكـه وادفـع بـالتـي فـإذا الـذي

فشيطان الإنس، قد ينفع فيه العفو، أو الأمر بالمعروف، أو الإعراض، أو الإحسان. أما شيطان الجن، فلا يعصم منه إلا الاستعاذة بالله منه، لأن شيطان الجن متسلط، لايريد إلا إغواء الإنسان، وإهلاكه، وهو خفي لا يرى كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾[1]. ولأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، كما قال ـ ﷺ ـ «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**»[2].

فأمره خطير، وكيده عجيب[3]، فهو يتدرج بالإنسان ـ إن وجد سبيلا إليه ـ حتى يوقعه بالكفر ويكبه في النار. قال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾[5].

وإن لم يستطيع إيصاله إلى الكفر، بل إلى أعظم دركاته، فإنه

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.
(٢) أخرجه البخاري في الاعتكاف، وفي بدء الخلق حديث ٢٠٣٥، ٢٠٣٨، ٢٠٣٩، ٣٢٨١، ومسلم ـ في السلام ـ حديث ٢١٧٥ من حديث صفية في قصة مجيئها إلى النبي ﷺ، وهو معتكف وخروجه معها ليوصلها إلى البيت، وأخرجه ـ أيضا ـ مسلم من حديث أنس حديث ٢١٧٤.
(٣) من أجود ما ألف في مكايد الشيطان ما كتبه ابن القيم في كتابه «إغاثة اللهفان» ١: ١٦٣ وما بعدها. وانظر «التفسير القيم» ص٦٠٩ـ٦١٤. وانظر «تلبيس إبليس» لابن الجوزي.
(٤) سورة الحشر، الآية: ١٦.
(٥) سورة مريم، الآية: ٨٣.

لايكف حتى يوصله إلى أقصى حد يمكنه إيصاله إليه، ولو كان دون الكفر، فيوقعه في البدعة، فإن لم يستطع أوقعه في الكبائر، فإن لم يستطع أوقعه في الصغائر، فإن لم يستطع ثبطه عن الطاعات وشغله بالمباحات، فإن لم يستطع شغله بالمفضول عن الفاضل، فإن لم يستطع ذلك أتاه من باب الإعجاب والكبر والرياء، وهذا ـ في الغالب ـ مدخله على كثير من العباد والعلماء وذوي الجاه والسلطان والكرم والشجاعة ونحوهم، فليحذر العاقل اللبيب، من ذلك فإن الشيطان عندما يعجز عن حمله على ترك واجب أو انتهاك محرم ظاهر، فإنه يأتيه من هذا المدخل الخفي فيحبط عمله، وهو لا يدري. فإن لم يدرك منه شيئاً من هذه المراتب وأعيته فيه الحيل سلط عليه حزبه من شياطين الإنس والجن يبدعونه ويفسقونه ليشوش عليه قلبه ويمنع الناس من الانتفاع به فيبقى في مدافعة وتسلط هؤلاء الشياطين لايفتر حتى يأتيه من ربه اليقين[١].

ب ـ الشيطان أعظم ضررا على الإنسان من النفس «المذمومة»[٢]، بل إن النفس المذمومة كل ما يحصل منها من شر وفساد، إنما هو بسبب تزيين الشيطان، ووسوسته، لأنها مركب الشيطان، والأداة لتنفيذ شره، ولهذا أكثر الله في القرآن الكريم من ذكر الشيطان، وذمه، والتحذير منه، في مواضع كثيرة جدا. وأمر بالاستعاذة منه عند قراءة القرآن. بينما ذكر النفس المذمومة في ثلاثة مواضع فقط، في قوله ـ

---

(١) انظر «بدائع الفوائد» ١ : ٢٦٠ـ٢٦٢.

(٢) انظر «إغاثة اللهفان» ١ : ١٤٥.

تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[١]، وقوله: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾[٢]، وقوله: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠﴾[٣].

ولم يأمر بالاستعاذة منها في موضع واحد من القرآن، وإنما جاءت الاستعاذة من شرها بالسنة، كما في حديث أبي هريرة، في تعليم النبي ـ ﷺ ـ لأبي بكر كلمات يقولهن إذا أصبح، وإذا أمسى، وإذا أخذ مضجعه، وفيهن أمره ـ ﷺ ـ له أن يقول «**أعوذ بالله من شر نفسي**»[٤].

وفي خطبة الحاجة كما في حديث ابن مسعود قال: علمنا رسول الله ـ ﷺ ـ خطبة الحاجة: «**إن الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا. . . الحديث**»[٥].

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٥٣.
(٢) سورة القيامة، الآية: ٢.
(٣) سورة النازعات، الآية: ٤٠.
(٤) سبق تخريجه في المواضع التي تشرع فيها الاستعاذة المبحث السادس.
(٥) رواه أبو داود ـ في النكاح ـ خطبة النكاح ـ حديث ٢١١٨ وصححه الألباني حديث ١٨٦٠.

المبحث الثامن

السبيل للخلاص من شر الشيطان ومكايده

ابتلى الله آدم وذريته، بعداوة إبليس لهم، عداوة متأصلة، قديمة منذ أن تكبر عن السجود لآدم وحسده، وتسبب في إخراجه من الجنة، قال الله ـ تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴿٥٣﴾ ﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴾[٤].

وقد أقسم ـ لعنه الله ـ على أنه سيعمل جاهدا على إغواء بني آدم، فقال: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[٥]، وقال ـ أيضاً: ـ ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾[٦]، وقال: ﴿ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾[٧].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.
(٢) سورة فاطر، الآية: ٦.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٥٠.
(٥) سورة ص، الآية: ٨٢ـ٨٣.
(٦) سورة الحجر، الآية: ٣٩.
(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٦.

وقد جعل الله له سلطانا على الذين يتولونه، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ۝١٠٠ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ﴾[2].

وقد طَلب أن يُنظر إلى يوم القيامة، فأعطاه الله ذلك، ابتلاء واختبارا للعباد، فقال تعالى: ﴿ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٣٧ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ۝٣٨ ﴾[3].

وهو ساع بكل الوسائل والحيل، إلى إغواء بني آدم، وإهلاكهم، فعلى المسلم أن يحذر من هذا العدو، وأن يعلم أن أسباب الخلاص منه، وأسباب حفظ الله للعبد من شر الشيطان ومكايده تتلخص فيما يلي:ـ

أولاً: بالإيمان والعمل الصالح، ولزوم الكتاب والسنة، وطاعة الله ـ تعالى ـ والتوكل عليه، قال الله ـ تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَـٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾[5].

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٠.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٦٤.
(٣) سورة الحجر، الآية: ٣٨، وسورة ص، الآية: ٨١.
(٤) سورة النحل، الآية: ٩٩.
(٥) سورة الحجر، الآية: ٦٥.

وعن جندب بن عبدالله قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**من صلى الصبح فهو في ذمة الله...**» الحديث رواه مسلم[١] ومفهوم هذا الحديث، وأمثاله أن من لم يصل الصبح فليس في ذمة الله، بل هو عرضة لتخبط الشيطان. وهكذا ـ بلا شك ـ كل تقصير في أداء ما أوجب الله ـ تعالى، فهو سبب لفقدان الأمان، الذي وعد الله به أهل الإيمان[٢]، ومقرب من المخاوف ومصائد الشيطان.

ثانياً: البعد عن معاصي الله لأن ما يصيب الإنسان من مصائب، ومنها تسلط الشيطان، فهو بسبب الذنوب والمعاصي. قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠ ﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٤١ ﴾[٤].

فينبغي تطهير القلب والنفس والجوارح عن كل ما نهى الله عنه، من الاعتقادات والأعمال التي تكون مجلبة للشيطان وسببا لبعد الملائكة عن الإنسان.

كالتعلق بالغناء والمزامير، قال تعالى مخاطباً الشيطان: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ

---

(١) في المساجد ومواضع الصلاة ـ باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة حديث ٦٥٧.

(٢) كما في الحديث السابق، وكما في قوله ـ تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢ ﴾ سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

(٤) سورة الروم، الآية: ٤١.

﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾[١].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «**الجرس مزامير الشيطان**» رواه مسلم[٢].

وكاقتناء الصور والتماثيل والكلاب. فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن جبريل قال للنبي ـ ﷺ ـ: «**إنا لا ندخل بيتاً فيه صور ولا كلب**» رواه البخاري[٣].

عن أبي طلحة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**لاتدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة تماثيل**» متفق عليه[٤].

وكاقتناء الصليب، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ «**أن النبي ـ ﷺ ـ لم يكن يترك في بيته شيئاً فيه تصاليب إلا نقضه**»[٥].

إلى غير ذلك من المعاصي الظاهرة والباطنة التي ينبغي البعد عنها والحذر منها.

ثالثاً: الاستعاذة بالله من الشيطان وهمزاته ووساوسه، وجميع شروره، والحذر منه، والاعتصام بالله ـ تعالى ـ والالتجاء إليه،

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٦٤.

(٢) أخرجه مسلم ـ في اللباس ـ باب كراهة الكلب والجرس في السفر ـ حديث ٢١١٣ـ٢١١٤. وأخرج أبو داود ـ في الخاتم ـ باب في الجلاجل ـ حديث ٤٢٣١ عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «لا تدخل الملائكة بيتا فيه جرس» وحسنه الألباني.

(٣) في بدء الخلق حديث ٣٢٢٧.

(٤) أخرجه البخاري في بدء الخلق حديث ٣٢٢٥، ومسلم في اللباس حديث ٢١٠٦.

(٥) أخرجه البخاري ـ في اللباس ـ باب نقض الصور، حديث ٥٩٥٢.

بالألفاظ التي صحت في الاستعاذة، وبالمعوذتين، فإنه ما تعوذ متعوذ بمثلهما. وملازمة ذلك في جميع المواضع والأوقات التي شرع فيها التعوذ ـ مع الاعتقاد الجازم بأن النفع والضر بيد الله، وأنه ـ جل وعلا ـ هو القادر على دفع شر الشيطان، مع قوة الاعتماد على الله والثقة به، وتيقن أن كيد الشيطان ضعيف، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ۝٧٦﴾[1]، فغاية ما عنده الوسوسة كما قال ـ ﷺ ـ «**الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة**»[2].

ومع أن له تسلطا على بني آدم، فهو لا يعلم الغيب، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ۝١٤﴾[3]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ۝٢١٢﴾[6]، وأيضا ـ وكما تقدم ـ فليس له سلطان

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٦.

(٢) أخرجه أبو داود ـ في الأدب ـ باب في رد الوسوسة حديث ٥١١٢ ـ من حديث ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال: يارسول الله، إن أحدنا يجد في نفسه، يعرض بالشيء، لأن يكون حممة أحب إليه من أن يتكلم به فقال: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة». وصححه الألباني، صحيح سنن أبي داود، حديث ٤٢٦٤، وأخرجه الإمام أحمد ١: ٣٤٠.

(٣) سورة سبأ، الآية: ١٤.

(٤) سورة النمل، الآية: ٦٥.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٦) سورة الشعراء، الآية: ٢١٢.

على الذين آمنوا. قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾[1].

وتسلطه على كثير من المسلمين، وتزيينه لهم المعاصي، إنما هو بسبب ضعف إيمانهم ووقوعهم في المعصية، المؤدية بهم إلى ماهو أعظم منها، كما قال تعالى عن الكفار: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[3] وقال ـ ﷺ ـ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[4]: أي أن إيمانه يضعف فيتسلط عليه الشيطان فيوقعه في الزنا والمعاصي المذكورة في الحديث، وغيرها.

رابعاً: ملازمة قراءة القرآن فذلك مما يحصن المسلم ويحفظه بإذن الله من الشياطين. قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾[5]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾[6]. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورا، فإن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**» رواه مسلم[7]. وإذا نفر الشيطان حفت

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٦٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٠.

(٣) سورة الصف، الآية: ٥.

(٤) أخرجه ابن ماجه في الفتن ـ باب حرمة دم المؤمن وماله ـ حديث ٣٩٣٦، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ وصححه الألباني.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٤٦.

(٦) سورة الزخرف، الآية: ٣٦.

(٧) في صلاة المسافرين ـ حديث ٧٨٠.

الملائكة بالإنسان، كما في حديث أبي سعيد الخدري في قصة أسيد بن حضير حين قام يقرأ القرآن، فجالت فرسه، وفيه ذكر شهود الملائكة لقراءته[١].

خامساً: ملازمة الأذكار والأدعية والأوراد الموظفة اليومية كأدعية الصباح والمساء والنوم وغيرها. قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾[٢]. فإن ملازمة هذه الأذكار، مما يحفظ الله به المسلم من الشيطان. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾[٣].

وفي حديث أبي هريرة في قصة مجيء الشيطان إليه عندما كان يحرس الطعام وفيه «**إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي، لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان، حتى تصبح**» رواه البخاري[٤].

وفي حديث أبي مسعود الأنصاري، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**من قرأ الآيتين، من آخر سورة البقرة كفتاه**» متفق عليه[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن ـ حديث ٥٠١٨، ومسلم في صلاة المسافرين حديث ٧٩٦.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.
(٤) أخرجه البخاري في بدء الخلق ـ باب صفة إبليس وجنوده حديث ٣٢٧٥.
(٥) أخرجه البخاري ـ في المغازي ـ حديث ٤٠٠٨، ومسلم في صلاة المسافرين حديث ٨٠٨.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك، حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر من ذلك**» متفق عليه(١).

وكما في حديث أبي هريرة من أن الشيطان إذا سمع الأذان أدبر وله ضراط(٢).

سادساً: أن يجعل المسلم شيئاً من صلاة النوافل في بيته، بل الأولى أن تكون النوافل كلها في البيت لقوله ـ ﷺ ـ: «**أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة**» متفق عليه(٣).

وذلك أن صلاة النوافل في البيت مما يطرد الشيطان، ولهذا قال: ـ ﷺ ـ: «**اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبوراً**» متفق عليه(٤).

وذلك لأن المقابر، والأماكن الخربة، والمستقذرة، مساكن

---

(١) أخرجه البخاري ـ في بدء الخلق ـ باب صفة إبليس وجنوده حديث ٣٢٩٣، ومسلم ـ باب الذكر ـ باب فضل التهليل، حديث ٢٦٩١.

(٢) سبق تخريجه في المواضع التي تشرع فيها الاستعاذة في المبحث السادس.

(٣) أخرجه من حديث زيد بن ثابت البخاري ـ في الأذان ـ باب صلاة الليل حديث ٧٣١، ومسلم في صلاة المسافرين ـ باب استحباب صلاة النافلة في بيته حديث ٧٨١.

(٤) أخرجه من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ البخاري في التهجد ـ باب التطوع في البيت حديث ١١٨٧، ومسلم في صلاة المسافرين حديث ٧٧٧.

الشياطين، حيث تخلو هذه الأماكن من ذكر الله.

سابعاً: الإمساك عن فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الأنام فإن الشيطان إنما يتسلط على ابن آدم وينال منه غرضه من هذه الأبواب[١].

فهذا مجمل الأسباب التي بها يخلِّص الله الإنسان، ويحفظه من شر الشيطان ومكائده، والتي تبين بها ضعف كيد الشيطان أمام قوة الإيمان والاعتصام بالملك الديان.

وبهذا يرد على الذين يُسهوِّلون من أمر الشيطان سواءً كان ذلك منهم عن جهل مع حسن النية والمعتقد أو كانوا ممن ابتلوا بخدمة هؤلاء الشيطاطين لأغراض مادية ونحو ذلك ولو كان ذلك على حساب دينهم، حتى صار فئام من الناس يتخوفون من الشيطاطين ويصدقونهم ويعتقدون فيهم ما لا يجوز اعتقاده من أنهم يعلمون الغيب. ويستطيعون أن يفعلوا، وأن يفعلوا، وهذا باطل، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾[٥].

---

(١) انظر «بدائع الفوائد» ٢: ٢٦٧ وما بعدها.
(٢) سورة سبأ، آية: ٢٢.
(٣) سورة النمل، آية: ١٧٩.
(٤) سورة آل عمران، آية: ١٧٥.
(٥) سورة الإسراء، آية: ٦٥.

الفصل الثاني

البسملة: معناها، وأحكامها.

وفيه تسعة مباحث.

المبحث الأول: لفظ البسملة، وإعرابها.

أـ لفظها.

ب ـ إعرابها.

المبحث الثاني: معنى البسملة.

المبحث الثالث: هل البسملة آية مستقلة من القرآن الكريم، أو من سورة الفاتحة، أو من كل سورة سوى «براءة»، أو ليست بآية؟.

المبحث الرابع: السبب في عدم كتابة البسملة في مطلع سورة براءة.

المبحث الخامس: حكم قراءة البسملة في غير الصلاة.

المبحث السادس: حكم قراءة البسملة في الصلاة.

المبحث السابع: حكم البسملة من حيث الجهر بها والإسرار في الصلاة، أو خارجها.

المبحث الثامن: المواضع التي تشرع فيها البسملة.

المبحث التاسع: فوائد البسملة، والأحكام التي تضمنتها.

المبحث الأول

لفظ البسملة، وإعرابها

أ ـ لفظها.

لفظ البسملة المشروع هو: بسم الله الرحمن الرحيم عند جميع القراء[١]، وباتفاق أهل العلم. فلا يصح أن يقال عند القراءة: باسمك اللهم اقرأ، ولا عند الذبح: باسمك اللهم أذبح...، ولا يصح استبدال لفظ الجلالة «الله» ولا اسمي «الرحمن»، «الرحيم» بغيرها من أسمائه ـ جل وعلا.

ب ـ إعرابها

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

بسم الله: الباء حرف جر.

اسم: اسم مجرور بالباء، وعلامة جره الكسرة، وحذفت منه الألف لفظا وخطا، تخفيفا لكثرة الاستعمال[٢]، ولا تحذف إلا مع لفظ الجلالة، ولهذا أثبتت في قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾[٣].

---

(١) انظر «الإقناع» ١: ١٦٣.

(٢) قالوا: وطولت الباء في البسملة في القرآن الكريم تعظيماً لكتاب الله عز وجل، وقيل لما أسقطوا الألف ردوا طولها على الباء، ليدل على السقوط، وقيل طولت تقليداً لكتاب نبي الله سليمان عليه السلام إلى بلقيس. والله أعلم.

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للفراء ١: ١ـ٢، «مشكل إعراب القرآن» لمكي =

وهو نائب عن المصدر «تسمية» كقول القطامي[١]:

أكفــرا بعــد رد المــوت عنــي وبعـد عطـائـك المـائـة الـرتـاعـا

أي بعد إعطائك، فأناب «عطاء» عن المصدر «إعطاء»[٢] وهذا كثير في اللغة.

والجار والمجرور في محل نصب متعلقان بفعل محذوف[٣]. قدّره الكوفيون متقدما، نحو: أبتَدِىءُ باسم الله، أو ابتدِأْ باسم الله، على الأمر، كقوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾. وقدّره بعضهم متأخراً نحو: باسم الله أبْتَدِىءُ، باسم الله أقرأ.

أو متعلق باسم محذوف وقع خبراً، قدّره البصريون وأكثر النحويين متقدماً نحو ابتدائي كائن، أو مستقر باسم الله، أو ابتدائي باسم الله.

وقدّره بعضهم اسما متأخراً، ومنه قوله تعالى: ﴿ ۞وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٤١ ﴾[٤] فـ(بسم الله) متعلق

= ١: ٦٥ـ٦٦، «معالم التنزيل» للبغوي ١: ٣٧، «المحرر الوجيز» لابن عطية ١: ٥٤، «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي ١: ٩٩، «شرح البسملة والحمدلة» لابن عبدالحق ١٥/أ.

(١) ديوانه «٤١»، «الشعر والشعراء» ص٧٢٣، «العيني» ٣: ٥٠٥ـ٥٠٨، «الخزانة» ٨: ١٣٦ـ١٣٨، (الشاهد ٥٩٩).
وهو بغير نسبة في «الأمالي الشجرية» ٢: ١٤٢، «شرح شذور الذهب» ص٤١٢.

(٢) انظر «تفسير الطبري» ١: ١١٦.

(٣) ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ في «بدائع الفوائد» ١: ٢٥ عدة فوائد لحذف العامل في بسم الله. فلتراجع.

(٤) سورة هود، آية: ٤١.

بـ(مجريها). وكل هذه التقادير صحيحة[١].

لكن الأولى ـ كما اختاره بعض المحققين ـ أن يكون المقدر فعلا متأخراً خاصاً: أي مناسباً لما يسمى عليه.

فكونه فعلا لأن الأصل في العمل هو الأفعال، فهي تعمل بدون شروط، أما الأسماء فما يعمل منها كاسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، إنما يعمل بشروط.

وكونه متأخراً تيمناً وتبركاً بالبداءة باسم الله، ولإفادة الحصر[٢]، لأن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر، كقوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾[٣]. فالمعنى: لا أقرأ إلا باسم الله، ولا أتوضأ إلا باسم الله، ولا أذبح إلا باسم الله، وهكذا وكونه خاصاً مناسباً لما يسمى عليه ليكون أدل على المقصود، وأبين للمراد[٤].

فعند القراءة يكون التقدير: باسم الله أقرأ، وعند الوضوء: باسم

---

(١) أنظر «أحكام القرآن» للجصاص ١:٦، «مشكل إعراب القرآن» ١:٦٦، «المحرر الوجيز» ١:٥٤، «التفسير الكبير» ١:١٠١، «الجامع لأحكام القرآن» ١:٩٩، «مجموع الفتاوى» ١٠:٢٣١، «تفسير ابن كثير» ١:٣٨ـ٣٩، «شرح البسملة والحمدلة» لابن عبدالحق ٦ـ٩.

(٢) الحصر: هو إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه، أي أبتدئ بسم الله وحده دون سواه.

(٣) انظر «الكشاف» ١:٤ـ٥، «التفسير الكبير» ١:١٠١ـ١٠٢ «تفسير ابن كثير» ١:٣٩، «أنوار التنزيل» ١:٥، «شرح البسملة» لأبي زكريا الأنصاري ١/أ، «شرح البسملة والحمدلة» لابن عبدالحق ٨/ب.

(٤) انظر «الكشاف» ١: ٤ـ٥، «مجموع الفتاوى» ١٠:٢٣١، «أنوار التنزيل» للبيضاوي ١:٥.

الله أتوضأ، وعند الذبح: باسم الله أذبح، وهكذا[١].

ويدل على التخصيص قوله تعالى في الآيتين السابقتين: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾[٢]، وقوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ وقوله ﷺ: «ومن لم يذبح فليذبح باسم الله»[٣] فقدّر في الآية الأولى اسما خاصاً، وهو مجريها، وفي الآية الثانية فعلاً خاصاً وهو اقرأ وفي الحديث فعلاً خاصاً وهو «يذبح».

الله: لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

الرحمن الرحيم: صفتان للفظ الجلالة، كل منهما مجرورة، وعلامة جرها الكسرة الظاهرة على آخرها.

* * *

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١: ١١٥-١١٦ «مجموع الفتاوى» ١٠: ٢٣١، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٩ «أنوار التنزيل» ١: ٥، «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» ص٢٦-٢٧.

(٢) سورة هود، الآية: ٤١.

(٣) أخرجه من حديث جندب بن عبدالله ـ البخاري في العيدين ـ الحديث ٩٨٥، ومسلم في الأضاحي ـ باب وقتها ـ الحديث ١٩٦٠.

المبحث الثاني

معنـى البسملـــة

بسم الله: الباء للاستعانة: أي باسم الله أقرأ، أو أتوضأ، مستعيناً به، ومتيمناً، ومتبركاً[١].

واسم: الاسم مأخوذ من الوَسم، وهو العلامة، لأن الاسم علامة على من وضع له، وهذا اختيار الكوفيين وطائفة من النحويين.

وذهب البصريون وأكثر النحويين إلى أنه مأخوذ من السمو، وهو العلو والارتفاع، لأن الاسم يسمو بالمسمى، فيرفعه عن غيره، وقيل لأن الاسم علا بقوته على الفعل والحرف، لأنه الأصل.

وقول الكوفيين أظهر من حيث المعنى، وهو أن الاسم علامة على من وضع له، لكن تصريف اسم وجمعه يقوي قول البصريين: إنه من السمو، وهو العلو والارتفاع فهو يجمع على أسماء وأسامي، ويصغر على سُمَيّ، ولو كان من السمة، لكان أصله «وسم»، وجمع على «أوسام»، وصغر على «وسُيَمْ» لأن الجمع والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها[٢].

---

(١) انظر «البحر المحيط» ١:١٤، «تفسير ابن كثير» ١:٣٩، «أنوار التنزيل» ١:٦، «شرح البسملة» لأبي زكريا الأنصاري ١/أ، «شرح البسملة والحمدلة» لأحمد بن عبدالحق ٦/أ، «رسالة إسماعيل بن غنيم الجوهري في البسملة» ٦/أ، «رسالة الصبان الكبرى في البسملة» ٨/ب.

(٢) انظر «مشكل إعراب القرآن» لمكي ١:٦٦، «معالم التنزيل» ١:٣٨، «الكشاف» ١:٥، «المحرر الوجيز» ١:٥٥، «التفسير الكبير» ١:١٠٨، «الجامع لأحكام القرآن» =

وقد لا يمتنع أن يكون الاسم مأخوذا من المعنيين معاً، لأن الاسم يظهر المسمى، فيكون فيه معنى العلو والارتفاع، ويميزه عن غيره فيكون فيه معنى العلامة.

واسم: اسم مفرد أضيف إلى لفظ الجلالة ـ كما تقدم ـ وهو معرفة، فاستفاد العموم، فيعم جميع أسماء الله الحسنى، فالمعنى بكل اسم من أسماء الله[١].

و«الله» علم على «الرب» تبارك وتعالى خاص به سبحانه ولا يجوز أن يسمى به غيره. قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ۝﴾[٢]. قال سيبويه «وهو أعرف المعارف» وهو أصل أسمائه الحسنى، ودال عليها جميعاً، وعلى صفاته العليا[٣]. بل قيل إنه الاسم الأعظم[٤].

وتأتي أسماء الله ـ تعالى ـ تابعة لهذا الاسم، وأوصافا له، ومضافة إليه[٥] قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ

= ١٠١:١، «غرائب القرآن» للنيسابوري ٦٠:١، «لباب التأويل» للخازن ١٣:١، «الدر المصون» ١٩:١ـ٢١، «أنوار التنزيل» ٦:١.

(١) انظر «تفسير ابن كثير» ٤٠:١.

(٢) سورة مريم، الآية: ٦٥.

(٣) انظر «مدارج السالكين» ٥٦:١.

(٤) انظر «التفسير الكبير» ١١٥:١، «الجامع لأحكام القرآن» ١٠٢:١، «غرائب القرآن» ٦٢:١، «تفسير ابن كثير» ٤٠:١، «روح البيان» ٢:١. وانظر الأحاديث الواردة في الاسم الأعظم ضمن الفائدة الرابعة والثلاثين من هذه السورة فيما يأتي.

(٥) انظر «مدارج السالكين» ٥٦:١.

ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[4].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه عن النبي ـ ﷺ ـ: قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة**» متفق عليه[5].

ولهذا يقال: الرحمن والرحيم والحكيم من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، أو من أسماء الرحيم أو من أسماء الحكيم.

وقد يأتي لفظ الجلالة «الله» تابعاً لغيره من الأسماء، كما في قوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٢٢ـ٢٤.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.
(٤) سورة طه، آية: ٨.
(٥) أخرجه البخاري ـ في الدعوات ـ باب لله مائة اسم غير واحد ـ حديث ٦٤١٠، ومسلم ـ في الذكر ـ باب في أسماء الله ـ تعالى، وفضل من أحصاها ـ حديث ٢٦٧٧، وانظر: «تفسير ابن كثير» ١: ٤٠.

ٱلْأَرْضِۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ﴾[١]. فلفظ الجلالة «الله» على قراءة الجر عطف بيان، تابع للاسم الذي قبله.

واختلف هل لفظ الجلالة (الله) مرتجل أو مشتق. فقيل إنه مرتجل غير مشتق، والألف واللام لازمة له، لا لتعريف، ولا لغيره، بدليل دخول حرف النداء عليه، وبدليل أنه لايثنى، ولا يجمع. وهو اختيار الخليل وسيبويه والزجاج وأكثر الأصوليين والفقهاء[٢].

والصحيح أنه مشتق من «أله» إذا عبد، فهو مصدر في موضع المفعول، من أله الرجل يأله إلـهة إذا تعبد وتأله وتنسك[٣]. قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌۚ ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ ﴾[٦].

قال رؤبة بن العجاج[٧].

---

(١) سورة إبراهيم، الآيتان: ١ ـ ٢.

(٢) انظر «تفسير أسماء الله الحسنى» للزجاجي ص٢٥، «معالم التنزيل» ١: ٣٨، «المحرر الوجيز» ١: ٥٧، «زاد المسير» ١: ٩، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٠٢ـ١٠٣، «لباب التأويل» ١: ١٣، «تفسير ابن كثير» ١: ٤٠ـ٤١.

(٣) انظر «تفسير الطبري» ١: ١٢٣، «معالم التنزيل» ١: ٣٨، «المحرر الوجيز» ١: ٥٧، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٠٣، «لسان العرب» مادة «أله»، «لباب التأويل» ١: ١٣، «بدائع الفوائد» ١: ٢٢ـ٢٣، «تفسير ابن كثير» ١: ٤٠، «أنوار التنزيل» ١: ٦

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٣.

(٥) سورة الزخرف، الآية: ٨٤.

(٦) سورة النمل، آية: ٦٠ ـ ٦٤.

(٧) «ديوانه» ص١٦٥.

لله در الغـــــانيــــات المُـــدّهِ   سَبَّحـن واسترجَعْـن مـن تـألُّهـي

أي من تعبدي وطلبي لله بعملي[١].

وأصله «إله» حذفت منه الهمزة، وعوض منها حرف التعريف[٢].

ونظيره «الناس»، أصله «أناس». قال الشاعر:

إن المنـــــــايـــــــا يطلعـ   ـــن علــى الأُنــاس الآمنينــا[٣]

واختار سيبويه أن أصله «لاه»، فدخلت الألف واللام للتعظيم[٤].

وأنشدوا قول ذي الإصبع العدواني[٥]:

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب   عني ولا أنـت دياني فَتَخـزونـي

قال الزمخشري[٦]: «الإله من أسماء الأجناس، اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بحق، أما «الله» بحذف الهمزة، فيختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره».

---

(١) انظر «تفسير الطبري» ١: ١٢٣، «المحرر الوجيز» ١: ٥٧، «تفسير ابن كثير» ١: ٥٧.

(٢) انظر «اشتقاق أسماء الله الحسنى» للزجاجي ص٢٦-٤٢، «الناسخ والمنسوخ» لأبي جعفر النحاس ٢: ٤٣٣، «مشكل إعراب القرآن» ١: ٦٦-٦٧، «الكشاف» ١: ٦، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٠٢، «الدر المصون» ١: ٢٣-٢٩، «أنوار التنزيل» ١: ٦، «تفسير ابن كثير» ١: ٤٠، «تيسير العزيز الحميد» ص٢٨-٢٩.

(٣) البيت لذي جرن الحميري، انظر «اشتقاق أسماء الله الحسنى» ص٣٢، وانظر «الكشاف» ١: ٦.

(٤) انظر «الكتاب» ٢: ١٩٥، ٣: ٤٩٨.

(٥) انظر «اشتقاق أسماء الله الحسنى» ص٣٤، «المفضليات» ١٦٠، «مجالس العلماء» ٧١، «أمالي القالي» ١: ٢٥٥، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٠٢، «تفسير ابن كثير» ١: ٤٠.

(٦) في «تفسيره» ١: ٦.

ومعنى «الله»:

أي المألوه المعبود الذي تعبده الخلائق، وتتأله له محبة وتعظيماً وخضوعاً له، وفزعاً إليه في الحوائج والنوائب[١]، لما له من صفات الألوهية، وهي صفات الكمال[٢]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٣]: «فإن الله سبحانه هو المستحق للعبادة لذاته لأنه المألوه المعبود الذي تألهه القلوب وترغب إليه، وتفزع إليه عند الشدائد».

وقال رحمه الله[٤]: «الله وهو الإله المعبود، فهذا الاسم أحق بالعبادة يتضمن غاية العبد ومصيره ومنتهاه، وما خلق له، وما فيه صلاحه وكماله، وهو عبادة الله، ولهذا يقال: الله أكبر، الحمد لله، سبحان الله، لا إله إلا الله».

الرحمن الرحيم: اسمان من أسماء الله ـ تعالى ـ مشتقان من الرحمة.

عن عبدالرحمن بن عوف، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله: أنا الرحمن، وهي الرحم، شققت لها اسما من اسمي، من وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته**»[٥]. فالرحمن والرحيم مشتقان من

---

(١) انظر «مدارج السالكين» ١:٥٦.
(٢) انظر «تيسير الكريم الرحمن» ١:٣٣.
(٣) في «مجموع الفتاوى» ١:٨٨.
(٤) في «مجموع الفتاوى» ١٤:١٢.
(٥) أخرجه أبو داود ـ في الزكاة ـ باب صلة الرحم ـ حديث ١٦٩٤، والترمذي في البر والصلة ـ ما جاء في قطيعة الرحم ـ حديث ١٩٠٧ وقال «حديث حسن صحيح»، =

الرحمة، والرحم مشتقة من اسمه تعالى «الرحمن».

و«الرحمن» على وزن «فعلان»، و«الرحيم» على وزن «فعيل» كل منهما صفة مشبهة، ومن صيغ المبالغة. لكن «فعلان» أبلغ من «فعيل»، لأن صيغة «فعلان» تدل على الامتلاء، يقال: رجل غضبان أي ممتلىء غضبا. ولهذا قُدِّم «الرحمن» على «الرحيم»[١].

وكل منهما دال على إثبات صفة الرحمة الواسعة الكثيرة المستمرة العظيمة لله ـ تعالى، كما قال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ[٥] كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[٦].

= وأحمد ١: ١٩١، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» وأخرجه أحمد ٢: ٤٩٨ من حديث أبي هريرة.

(١) انظر «المحرر الوجيز» ١: ٥٨، «زاد المسير» ١: ٩، «البحر المحيط» ١: ١٦ـ١٧، «لسان العرب» مادة «رحم»، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٠٤، ١٠٥، «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير ١: ٤٣، «أضواء البيان» ١: ٣٩ـ٤٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤٧.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٢.

(٥) قد يكون المراد بالرحمة في الآية التي هي صفة ذاتية من صفات الله ـ تعالى ـ غير مخلوقة، وقد يراد بها الرحمة التي هي المطر فهذه رحمة مخلوقة هي من آثار رحمة الله التي هي من صفاته كما في حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال قال النبي ـ ﷺ ـ تحاجت الجنة والنار. . . وفيه قوله تعالى للجنة «أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي. . . الحديث» أخرجه البخاري ـ في التفسير حديث ٤٨٥٠، ومسلم ـ في الجنة ونعيمها وأهلها ـ حديث ٢٨٤٦. فالجنة من الرحمة المخلوقة.

(٦) سورة الروم، الآية: ٥٠.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «**جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها، خشية أن تصيبه**» متفق عليه[١].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**لما قضى الله الخلق، كتب في كتاب، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي**» متفق عليه[٢].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قنط من جنته أحد**» رواه مسلم[٣].

وإذا اجتمع «الرحمن» مع «الرحيم» في مثل البسملة، والفاتحة، وقوله تعالى ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾[٤] دلّ «الرحمن» على إثبات صفة الرحمة الذاتية القائمة به سبحانه، كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو

---

(١) أخرجه البخاري ـ في الأدب ـ باب جعل الله الرحمة في مائة جزء ـ حديث ٦٠٠٠، ومسلم ـ في التوبة ـ باب سعة رحمة الله ـ تعالى، وأنها سبقت غضبه ـ حديث ٢٧٥٢. وأخرجه أيضاً من حديث سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ حديث ٢٧٥٣.

(٢) أخرجه البخاري ـ في بدء الخلق ـ باب ما جاء في قوله ـ تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ حديث ٣١٩٤، ومسلم ـ في التوبة ـ باب سعة رحمة الله ـ تعالى، وأنها سبقت غضبه حديث ٢٧٥١.

(٣) في الباب السابق حديث ٢٧٥٥. وانظر «تيسير الكريم الرحمن» ١: ٣٣.

(٤) سورة الحشر، الآية: ٢٢.

﴿ٱلرَّحْمَةِۚ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾[٣].

ودل «الرحيم» على إثبات صفة الرحمة الفعلية لله عز وجل ـ المتعلقة بالمرحوم ـ فهو تعالى فاعل الرحمة وموصلها إلى من شاء من عباده، كما قال تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُۖ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْۚ﴾[٥].

قال ابن القيم رحمه الله[٦] بعد ما ذكر قول السهيلي: «وفائدة الجمع بين الصفتين «الرحمن» و «الرحيم» الإنباء عن رحمة عاجلة وآجلة وخاصة وعامة... قال وهو أن «الرحمن» دال على الصفة القائمة به سبحانه، و«الرحيم» دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف، والثاني للفعل، فالأول دال على أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته، وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ ﴿إنه بهم رؤوف رحيم﴾ ولم يجيء قط «رحمن بهم» فعلم أن «الرحمن» هو الموصوف بالرحمة، و«رحيم» هو الراحم برحمته...»أهـ.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٣٣.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٨.
(٣) سورة الأنعام، آية: ١٤٧.
(٤) سورة العنكبوت، آية: ٢١.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ٥٤.
(٦) في «بدائع الفوائد» ١: ٢٤، وانظر «مدارج السالكين» ١: ٧٥.

أما إذا جاء كل منهما منفردا عن الآخر، كما في قوله ـ تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾[1] وكما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾[2]، فإن كلا منهما ـ بمفرده ـ يدل على إثبات الرحمة لله، باعتبارها صفة ذاتية لله، وباعتبارها صفة فعلية له ـ تعالى[3].

والفرق بين «الرحمن» و «الرحيم» من وجوه ثلاثة:

الوجه الأول: أن بينهما عموما وخصوصا، من حيث اللفظ، فالرحمن اسم خاص بالله ـ تعالى ـ لا يسمى به غيره[4]، كاسم «الله»، و «الرزاق».

بل إن «الرحمن» يُعَدّ عند طائفة من أهل العلم، ثاني اسم من أسماء الله ـ تعالى، لقوله ـ تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤٣.

(٣) وقد أخطأ من فسر الرحمة بالإحسان، أو بإرادة الإحسان، لأن هذا كله من آثار الرحمة.

(٤) ذكر الطبري في «تفسيره» ١: ١٣٤: إجماع الأمة على منع التسمي بالرحمن وانظر «معالم التنزيل» للبغوي ١: ٣٨، «أحكام القرآن» للقرطبي ١: ١٠٥ـ١٠٦. قال ابن القيم ـ رحمه الله: «ولما كان هذا الاسم مختصاً به تعالى» حسن مجيئه مفرداً غير تابع كمجيء اسم الله كذلك ـ يعني في نحو قوله تعالى ﴿الرحمن علم القرآن﴾ سورة الرحمن الآية ١، وقوله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ سورة طه الآية: ٥، وقوله: ﴿أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن﴾ سورة الملك الآية: ٢٠ وغير ذلك. انظر «بدائع الفوائد» ١: ٢٣ـ٢٤.

تَدْعُوا۟ تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[١] وقوله ـ تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[٢]. وإنما تسمى مسيلمة بذلك من باب التعنت والكفر[٣]، فأذله الله.

قال ابن كثير[٤] ـ رحمه الله ـ تعالى: «ولما تَجَهْرَمَ مسيلمة الكذاب، وتسمى برحمن اليمامة، كساه الله جلباب الكذب، وشَهَّرَ به، فلا يقال إلا مسيلمة الكذاب، فصار يضرب به المثل في الكذب، بين أهل الحضر من أهل المدر، وأهل الوبر من أهل البادية والأعراب».

و «الرحيم» اسم عام يجوز أن يوصف به غير الله، كاسم الرؤوف، والسميع، والبصير، قال ـ تعالى ـ عن نبيه محمد ـ ﷺ ـ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾[٦].

الوجه الثاني: أن بينهما عموماً وخصوصاً من حيث المعنى[٧]،

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٤٥.

(٣) انظر «الكشاف» ١: ٦

(٤) في «تفسيره» ١: ٤٣.

(٥) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٦) سورة الإنسان، الآية: ٢.

(٧) انظر «تفسير الطبري» ١: ١٢٧ـ١٢٩، «تفسير أسماء الله الحسنى» للزجاج ص٢٨، «مقاييس اللغة» مادة «رحم»، «معالم التنزيل» ١: ٢٨، «المحرر الوجيز» ١: ٥٨ـ٥٩، «زاد المسير» ١: ٩، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٠٥، «لباب التأويل» للخازن ١: ١٣، «أضواء البيان» ١: ٤٠

فالرحمن رحمة عامة لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم، وناطقهم وبهيمهم، في الدنيا والآخرة.

فرحمته للمؤمنين في الدنيا، هدايتهم للحق، وإلى الطريق المستقيم، إلى غير ذلك من نعم الله عليهم، مما هو دون ذلك، ورحمته لهم في الآخرة، وإدخالهم جنات النعيم، ووقايتهم عذاب الجحيم.

ورحمته للكافرين، والبهائم في الدنيا، ما يتمتعون به من نعم الله، من الصحة والمآكل والمشارب ونحوها. ورحمته لهم في الآخرة العدل في حسابهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾[٢] حتى إنه ليقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»[٣].

قال ابن كثير[٤] ـ رحمه الله تعالى ـ بعد أن ذكر القول بأن «الرحمن» لجميع الخلق و «الرحيم» بالمؤمنين ـ قال: «ولهذا قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَٰنُ﴾[٥]، وقال: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾[٦]. قال ابن

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤، وسورة الإسراء، الآية: ١٥، وسورة فاطر، الآية: ١٨، وسورة الزمر، الآية: ٧.

(٢) سورة الطور، آية: ٢١.

(٣) أخرج مسلم ـ في البر والصلة والأدب ـ باب تحريم الظلم ـ حديث ٢٥٨٢ ـ عن أبي هريرة أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء».

(٤) في «تفسيره» ١: ٤٣.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٥٩.

(٦) سورة طه، الآية: ٥.

كثير: «فذكر الاستواء باسمه الرحمن ليعم جميع خلقه برحمته».

وقال الشنقيطي[١] ـ رحمه الله تعالى ـ بعد أن ذكر كلام ابن كثير السابق قال: «ومثله قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ﴾[٢]. قال: أي ومن رحمانيته لطفه بالطير، وإمساكه إياها صافات وقابضات في جو السماء، ومن أظهر الأدلة في ذلك قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝﴾ إلى قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝﴾[٣]».

والرحيم رحمة خاصة بالمؤمنين في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝﴾[٥].

الوجه الثالث: أن «الرحمن» أبلغ من «الرحيم»[٦]، ولهذا، ولكونه أي: «الرحمن» أخص من «الرحيم» قُدِّم عليه «في البسملة والفاتحة، وقُدِّم عليهما لفظ الجلالة لأنه أخص منهما وأعرف، وهما وغيرهما من

---

(١) في «أضواء البيان» ١: ٤٠.

(٢) سورة الملك، الآية: ١٩.

(٣) سورة الرحمن، الآية: ١-١٣.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٤٣. انظر «زاد المسير» ١: ٩، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٠٥، «أنوار التنزيل» ١: ٧، «تفسير ابن كثير» ١: ٤٣، «أضواء البيان» ١: ٤٠-٤١.

(٥) سورة التوبة، الآية: ١١٧. هكذا قدره كثير من أهل العلم وقد يشكل على هذا قوله تعالى ﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ سورة البقرة الآية: ١٤٣، وسورة الحج الآية: ٦٥. انظر «تيسير العزيز الحميد» ص٣١.

(٦) انظر «تفسير الطبري» ١: ١٣٣، «الكشاف» ١: ٦، «أنوار التنزيل» ١: ٧، «شرح البسملة والحمدلة» لابن عبدالحق ٢٠/ب، ٢١/أ.

أسمائه تعالى تبع له.

قال ابن كثير[١] ـ رحمه الله تعالى ـ: «بدأ باسم الله، ووصفه بالرحمن، لأنه أخص وأعرف من الرحيم، لأن التسمية أولا إنما تكون بأشرف الأسماء، فلهذا ابتدأ بالأخص فالأخص».

وقد كان اسم «الرحمن» معروفا ـ والله أعلم ـ عند العرب قبل الإسلام، وقد ورد ذلك في أشعارهم.

كقول سلامة الجعدي[٢]:

عَجِلْتُم علينا عَجْلَتَيْنا عليكم وما يشأ الرحمنُ يَعْقِدْ ويُطْلِقِ

وقول الآخر:

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها ألا قضب الرحمن ربي يمينها[٣]

أما قوله ـ تعالى عن المشركين ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ ﴾[٤].

وكذا قولهم في صلح الحديبية لما قال الرسول ـ ﷺ ـ لعلي:

---

(١) في «تفسيره» ١ : ٤٣.

(٢) انظر «ديوانه» ص١٩، وانظر «تفسير الطبري» ١ : ١٣١.

(٣) انظر «تفسير الطبري» ١ : ١٣١، «تفسير ابن كثير» ١ : ٤٤.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٦٠.

«اكتب **بسم الله الرحمن الرحيم**» قالوا: «ما ندري ما الرحمن اكتب باسمك اللهم»[١].

فذلك منهم محمول ـ والله أعلم ـ على الجحود والعناد، والتعنت في الكفر، كما قال كثير من المفسرين[٢].

---

(١) أخرجه من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ـ مطولا ـ البخاري في الشروط ـ باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ـ حديث ٢٧٣١ـ٢٧٣٢.

(٢) انظر «تفسير الطبري» ١: ١٣١، «الكشاف» ١: ٦، «المحرر الوجيز» ١: ٥٩ «تفسير ابن كثير» ١: ٤٤.

المبحث الثالث

هل البسملة آية مستقلة من القرآن الكريم أو من سورة الفاتحة، أو من كل سورة سوى براءة، أو ليست بآية؟

اختلف أهل العلم في هذه المسألة على أقوال عدة، بعد إجماعهم على أنها بعض آية من سورة النمل، في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠﴾[(١)].

وفيما يلي ذكر خلاصة لأقوالهم، وأدلتهم في هذه المسألة[(٢)].

القول الأول:

أن البسملة ليست آية من القرآن الكريم مطلقاً[(٣)]، إلا في سورة النمل فهي بعض آية منها. وإنما كتبت البسملة في أوائل السور للاستفتاح بها، والابتداء والتبرك بها، والتيمن، والفصل بين السور.

وهذا القول يُروى عن قراء المدينة والبصرة والشام[(٤)]، وهو قول

---

(١) سورة النمل، الآية: ٣٠. انظر: «أحكام القرآن» للجصاص ١: ٨، ١٢، «أحكام القرآن» لابن العربي ١: ٢، «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ٢٢: ٤٣٨، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٤، «النشر» ١: ٢٧١.

(٢) هناك أقوال تركتها لضعفها، أوصلها بعضهم إلى أكثر من عشرة أقوال.

(٣) انظر «الإقناع في القراءات السبع» لابن الباذش ١: ١٦٣.

(٤) انظر «معالم التنزيل» ١: ٣٨، «الكشاف» ١: ٤، «تفسير النسفي» ١: ١.

الإمام مالك[١] وعبدالله بن معبد[٢]، ونُسب لأبي حنيفة، وبعض أصحابه[٣]، والأوزاعي[٤]، وحُكي رواية عن الإمام أحمد[٥]، لكن قال ابن تيمية[٦]: «لايصح هذا عنه، وإن كان قولا في مذهبه».

واختاره الباقلاني[٧].

ولم أقف على دليل صحيح صريح لهذا القول، ولا على تعليل مقبول إلا التمسك بأدلة وأحاديث لاتدل عليه، كحديث أنس بن مالك وعائشة ـ رضي الله عنهما[٨] ـ وما في معناهما من الأدلة، التي فيها: أن الرسول ـ ﷺ ـ وخلفاءه كانوا يستفتحون القراءة، أو الصلاة بالحمد لله رب العالمين. . .، وسيأتي ذكر هذه الأحاديث ـ إن شاء الله ـ في القول الرابع من هذه الأقوال، وبيان أن غاية ما تدل عليه هذه الأحاديث أنهم كانوا لا يجهرون بالبسملة، لا أنهم يتركونها، وليس عدم الجهر بها، مما يخرجها من القرآن، كما زعم بعض من ذهب إلى

---

(١) انظر «الاستذكار» ٢: ١٧٥، «أحكام القرآن» لابن العربي ١: ٢، «المحرر الوجيز» ١: ٥٢، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ٩٣.

(٢) انظر «المغني» ٢: ١٥٢.

(٣) انظر «شرح معاني الآثار» ١: ٢٠٤ـ٢٠٥، «نصب الراية» ١: ٣٢٧، وانظر «الكشاف» ١: ٤، «المحرر الوجيز» ١: ٥٢، «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ٢٢: ٣٤، ٤٣٨، «تفسير النسفي» ١: ١.

(٤) انظر «المغني» ٢: ١٥٢.

(٥) انظر «المغني» ٢: ١٥١ـ١٥٢.

(٦) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٣٤، ٤٣٨.

(٧) انظر «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٢٢: ٤٣٢.

(٨) انظر «الاستذكار» ٢: ١٧٤ـ١٧٥، ١٨٢، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ٩٥.

هذا القول[١].

وقد احتج ابن العربي[٢] لهذا القول بأن مسجد الرسول ﷺ بالمدينة من لدن رسول الله ﷺ إلى زمان الإمام مالك لم يقرأ فيه أحد قط (بسم الله الرحمن الرحيم) اتباعاً للسنة. وهذا إن أراد به أنهم لايجهرون بها فصحيح، وأما إن أراد أنهم لايقرؤونها أبداً لا سراً ولا جهراً فالجواب عنه هو الجواب عن احتجاجهم بحديث عائشة وأنس المشار إليهما وأن ذلك محمول على أنهم يسرون بها لا أنهم يتركونها.

كما احتج الباقلاني[٣] والقرطبي[٤] لهذا القول بأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، ولا تواتر هنا فيجب القطع بنفي كونها من القرآن. وقد أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية[٥] عن هذا بقوله:

«والتحقيق أن هذه الحجة مقابلة بمثلها، فيقال لهم: بل يقطع بكونها من القرآن حيث كتبت كما قطعتم بنفي كونها ليست منه ـ ومثل هذا النقل المتواتر عن الصحابة بأن ما بين اللوحين قرآن، فإن التفريق بين آية وآية يرفع الثقة بكون القرآن المكتوب بين لوحي المصحف كلام الله، ونحن نعلم بالاضطرار أن الصحابة الذين كتبوا المصاحف نقلوا إلينا أن ماكتبوه بين لوحي المصحف كلام الله الذي أنزله على نبيه ﷺ

---

(١) انظر مثلا «شرح معاني الآثار» ١: ٢٠٤ـ٢٠٥.
(٢) انظر «أحكام القرآن» ١: ٣.
(٣) انظر «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ٢٢: ٤٣٢.
(٤) في «الجامع لأحكام القرآن» ١: ٩٣.
(٥) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٣٢ـ٤٣٣.

لم يكتبوا فيه ما ليس من كلام الله. . . » ويكفي في ضعف هذا القول: أن فيه القول على الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أنهم أودعوا المصحف ما ليس من كلام الله، على سبيل التبرك[١].

قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على «سنن الترمذي»[٢]، بعد أن ذكر الخلاف في هذه المسألة: «القول الذي زعموا نسبته إلى مالك، ومن معه في أنها ليست آية أصلا قول لا يوافق قاعدة أصولية ثابتة، ولا قراءة صحيحة».

القول الثاني:

أنها آية من سورة الفاتحة فقط.

وهذا القول مروي عن طائفة من السلف، منهم سعيد بن جبير[٣]، وأكثر القراء والفقهاء من أهل مكة[٤] والكوفة[٥]، وهو قول الشافعي[٦]، ورواية عن الإمام . . . .

---

(١) انظر «مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية» ٢٢: ٤٠٦، وانظر ٤٣٢ـ٤٣٣.
(٢) ٢: ٢٢.
(٣) أخرجه عنه عبدالرزاق ـ في الصلاة ـ باب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم ـ الأثر ٢٦٠٩.
(٤) انظر «الاستذكار» ٢: ١٧٣، «أحكام القرآن» لابن العربي ١: ٢، «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٤١، «النشر» ١: ٢٧٠.
(٥) انظر «تفسير الطبري» ١: ١٠٩، «البحر المحيط» ١: ٣١، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ٩٤، «النشر» ١: ٢٧٠.
(٦) انظر «الأم» ١: ١٠٧، «المجموع» ٣: ٣٣٢ـ٣٣٣، «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير ١: ٣٥، «كتاب البسملة الصغير» لأبي شامة ٢/أ، «رسالة الصبان الكبرى في البسملة» ٢٧/أ.

أحمد[١]، ورُوي عن إسحاق[٢]، وأبي عبيد[٣]، وأبي ثور[٤]، ومحمد ابن كعب القرظي، والزهري[٥] وعطاء[٦]، وغيرهم[٧].

واستدلوا لهذا القول بأدلة منها:

١ـ اثباتها في المصاحف مع الفاتحة، وعدها من آياتها.

٢ـ ما جَاء عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ أنها سُئلت عن قراءة النبي ـ ﷺ ـ فقالت: «**كان يقطع قراءته آية آية، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم**»[٨].

ووجه استدلالهم من هذا الحديث: أن الرسول ـ ﷺ ـ قرأ البسملة مع الفاتحة، قالوا: فدل هذا على أنها آية منها. والجواب من هذا: أنه لا يلزم من قراءتها مع الفاتحة أن تكون منها، إذ لو لزم هذا للزم أن

---

(١) انظر «التحقيق» ١:٢٩٢، «زاد المسير» ١:٧، «المغني» ٢:١٥١، «مجموع الفتاوى» ٢٢:٤٣٥، ٤٤٢.

(٢) انظر «الاستذكار» ٢:١٧٦، «المغني» ٢:١٥١.

(٣) انظر «الاستذكار» ٢:١٧٦، «المغني» ٢:١٥١، «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ٢٢:٤٣٤، ٤٤٠.

(٤) أخرجه ابن عبدالبر في «الاستذكار» ٢:١٧٦.

(٥) أخرجه عنهما ـ أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص١١٤ـ١١٥.

(٦) انظر «الاستذكار» ٢:١٧٦.

(٧) انظر «مجموع الفتاوى» ٢٢:٣٥١.

(٨) أخرجه أبو داود ـ في الحروف ـ الباب الأول ـ حديث ٤٠٠١، وأحمد ٦:٣٠٢، والدارقطني في الصلاة ـ وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم، والجهر بها ١: حديث ٣٧ وقال: «إسناده صحيح وكلهم ثقات»، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» حديث ٢٩٢٧.

تكون آية من كل سورة، لأنها تقرأ مع كل سورة، كما هو مثبت معلوم.

٣ـ وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنه سئل عن قراءة النبي ـ ﷺ ـ فقال: «**كانت مدا، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، يمد بسم الله، ويمد بالرحمن، ويمد بالرحيم**». رواه البخاري[1].

قالوا: فقراءة النبي ـ ﷺ ـ للبسملة بالمدّ تدل على أنها آية من القرآن إذ لو لم تكون آية من القرآن لما قرأها الرسول ـ ﷺ ـ بالمد كما يقرأ القرآن. وهذا الاستدلال صحيح في الرد على الذين ينفون أن تكون البسملة آية من القرآن مطلقا ـ لكن لا يلزم من قراءة الرسول ـ ﷺ ـ لها بالمد، كما يقرأ القرآن أن تكون آية من سورة الفاتحة[2]، ولا من غيرها، فالحديث يدل على أنها آية تقرأ ـ وهذا صحيح ـ لا أنها آية من سورة الفاتحة، أو من غيرها من السور.

٤ـ حديث نعيم بن المجمر قال: «**صليت وراء أبي هريرة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قرأ بأم القرآن حتى بلغ (ولا الضالين) فقال: «آمين»، فقال الناس: «آمين»، ويقول كلما سجد: الله أكبر، وإذا قام من الجلوس في الاثنتين قال: الله أكبر، وإذا سلم قال: والذي نفسي بيده، إني لأشبهكم صلاة برسول الله ـ ﷺ ـ**».

---

(١) في فضائل القرآن ـ باب مد القراءة ـ حديث ٥٠٤٦. وقد أخرجه مختصرا دون ذكر «ثم قرأ إلى آخره» أبو داود ـ حديث ١٤٦٥، والنسائي حديث ٩٧٠، وابن ماجه حديث ١٣٥٣، وأحمد ٣: ١١٩، ١٩٢.

(٢) انظر «فتح الباري» ٩: ٩١.

ووجه استدلالهم من هذا الحديث أن أبا هريرة قرأ البسملة مع أم القرآن، ورفع ذلك إلى النبي - ﷺ - حيث قال في آخر الحديث: «والذي نفسي بيده إني لأشبهكم صلاة برسول الله - ﷺ». وهذا الحديث ضعفه جمع من أهل العلم[١].

وأيضاً لو صح هذا الحديث فليس فيه ما ينص صراحة على أن البسملة من الفاتحة، وغاية ما فيه أن يكون أبو هريرة قرأ البسملة مع الفاتحة سواء كان ذلك جهراً أم سراً، ولا يلزم من قراءتها مع الفاتحة على أي حال أن تكون منها - كما تقدم في الجواب عن استدلالهم بحديث أم سلمة.

٥- ما رواه أبو هريرة عن النبي - ﷺ - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**إذا قرأتم الحمد، فاقرؤوا بسم الله الرحمن الرحيم، إنها أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني، وبسم الله الرحمن الرحيم، أحد آياتها**»[٢].

والصواب أن هذا الحديث موقوف من كلام أبي هريرة، كما ذكر

---

(١) سياتي تخريج هذا الحديث، وذكر كلام أهل العلم في تضعيفه في المبحث السابع من هذا الفصل.

(٢) هذا الحديث أخرجه الدارقطني - في الصلاة - باب وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم - حديث ٣٦، والبيهقي - في الصلاة - ٢: ٤٥ - كلاهما من طريق أبي بكر الحنفي، عن عبدالحميد بن جعفر، عن نوح بن أبي بلال، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري قال أبو بكر الحنفي: «ثم لقيت نوحا، فحدثني عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة ولم يرفعه» وقد ذكر الزيلعي كلام الأئمة عليه وصوب وقفه «نصب الراية» ١: ٣٤٣.

أهل العلم[١] قال الزيلعي[٢] بعد ما صوب وقف الحديث على أبي هريرة «فإن قيل إن هذا موقوف في حكم المرفوع إذ لا يقول الصحابي إن البسملة إحدى آيات الفاتحة إلا عن توقيف أو دليل قوي ظهر له... قلت: لعل أبا هريرة سمع النبي ﷺ يقرأها فظنها من الفاتحة... وأبو هريرة لم يخبر عن النبي ﷺ أن قال: هي إحدى آياتها وقراءتها قبل الفاتحة لا يدل على ذلك»

وقال أيضاً: فالمحفوظ الثابت عن سعيد المقبري عن أبي هريرة في هذا الحديث عدم ذكر البسملة كما رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: **«الحمد لله هي أم القرآن، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم»**[٣].

القول الثالث:

أنها آية أو بعض آية من كل سورة سوى سورة براءة، وقد نُسب هذا القول لقراء مكة والكوفة وفقهائهما[٤].

وحُكي هذا القول عن ابن عباس وابن عمر، وابن الزبير، وأبي هريرة، من الصحابة، ومن التابعين: عطاء وطاوس وسعيد ابن

---

(١) انظر «التحقيق» ١: ٢٩٣ـ٢٩٨.
(٢) في «نصب الراية» ١: ٣٤٣ـ٣٤٤.
(٣) سيأتي تخريجه في المبحث الأول من الفصل الأول من الباب الثاني.
(٤) انظر «الكشاف» ١: ٤، «تفسير النسفي» ١: ١.

جبير ومكحول والزهري[١].

وهو المشهور من مذهب الشافعي[٢]، ورواية عن الإمام أحمد[٣]، ونُسب لأبي حنيفة[٤]، وسفيان الثوري[٥]، وعبدالله بن المبارك[٦]، وإسحاق بن راهويه[٧]، وأبي عبيد[٨]، والأوزاعي[٩].

واستدل أصحاب هذا القول بأدلة منها مايلي:

١ـ ثبوت البسملة في المصاحف، بخط المصحف، مع كل سورة، سوى براءة، مما يدل على أنها آية، أو بعض آية، من كل سورة[١٠].

والجواب: أنه لايلزم من ثبوتها في المصاحف مع كل سورة، بل لا يلزم من قراءتها مع كل سورة أن تكون آية منها، فهناك سور ثبت

---

(١) انظر «تفسير ابن كثير» ١: ٣٥.

(٢) انظر «المجموع» ٣: ٣٣٢ـ٣٣٣، «الكشاف» ١: ٤، «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٣٤، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٥، «كتاب البسملة الصغير» لأبي شامة ٢/أ، «رسالة الصبان الكبرى في البسملة» ٢٧/أ.

(٣) انظر «المسائل الفقهية» ١: ١١٨، «النشر» ١: ٢٧٠.

(٤) انظر «النشر» ١: ٢٧٠.

(٥) انظر «معالم التنزيل للبغوي» ١: ٣٩.

(٦) انظر «المبسوط» ١: ١٥، «معالم التنزيل» ١: ٣٩، «المحرر الوجيز» ١: ٥٣، «المغني» ٢: ١٥١، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ٩٣، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٥، «كتاب البسملة الصغير» لأبي شامة ٣/ب.

(٧) انظر «تفسير ابن كثير» ١: ٣٥، «كتاب البسملة الصغير» لأبي شامة ٢/أ.

(٨) انظر «تفسير ابن كثير» ١: ٣٥.

(٩) انظر «البسملة الصغير» لأبي شامة ٢/ب.

(١٠) انظر «الاستذكار» ٢: ١٧٩، «لباب التأويل» ١: ١٥، «كتاب البسملة الصغير» لأبي شامة ٣/ب.

بالسنة وباتفاق العادين عدد آياتها، من غير احتساب البسملة منها كما سيأتي في ذكر أدلة القول الرابع.

٢ـ ما رواه أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: «أغفى النبي ـ ﷺ ـ إعفاءة ـ ثم تبسم ضاحكاً، فقال: «**أنزل علي آنفا سورة ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم** ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾إلى آخر السورة. رواه مسلم[١].

ووجه استدلالهم من هذا الحديث: أن البسملة آية أنزلت مع سورة الكوثر، فهي كذلك آية، أو بعض آية من كل سورة، تنزل معها، وتعد منها.

والجواب عن هذا أن يقال: صحيح أن البسملة تنزل مع كل سورة، لكن لا يلزم من نزولها مع السورة أن تكون آية منها، ولهذا اتفق العادون على أن سورة الكوثر ثلاث آيات، بدون البسملة. فالذين قالوا: البسملة آية مستقلة أسعد بهذا الدليل، من أصحاب هذا القول، كما سيأتي بيان ذلك.

استدلوا ـ أيضاً ـ بحديث أم سلمة السابق[٢]، الذي فيه أن النبي ـ ﷺ ـ كان يقطع قراءته آية آية: «**بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب**

---

(١) سيأتي هذا الحديث بتمامه وتخريجه ضمن أدلة القول الرابع. وانظر «الاستذكار» ٢: ١٧٩.

(٢) انظر «أحكام القرآن» للجصاص ١: ١١، «المبسوط» للسرخسي ١: ١٦، «المغني» ٢: ١٥٣.

العالمين، الرحمن الرحيم».

ووجه استدلالهم به أن النبي ـ ﷺ ـ قرأ البسملة مع الفاتحة، مما يدل على أنها آية منها، وكذلك ينبغي أن تكون آية من سائر السور سوى براءة، لأنها مثبتة مع سائر السور، كما أثبتت في الفاتحة فهي آية من كل سورة، ينبغي أن تقرأ معها سواء الفاتحة وغيرها.

والجواب: أن هذا الحديث إنما يدل على أنه ـ ﷺ ـ يقرأ البسملة مع الفاتحة، ولا يدل على أنها آية منها ـ كما تقدم بيانه ـ فكيف تكون آية من غيرها!!

٤ـ كما استدلوا ـ أيضا ـ بحديث أنس ـ السابق[١] ـ أنه سئل عن قراءة النبي ـ ﷺ ـ فقال: «**كانت مدا، يمد بسم الله، ويمد بالرحمن، ويمد بالرحيم**».

ووجه استدلالهم بهذا الحديث أن النبي ـ ﷺ ـ قرأ البسملة مدا، كما تمد آيات القرآن، مما يدل على أنها آية، أو بعض آية من كل سورة سوى براءة.

والجواب: أن يقال: صحيح أن البسملة آية، وأن الرسول ـ ﷺ ـ قرأها بالمد ـ كما تقرأ آيات القرآن، لهذا الحديث ولغيره، لكن لا يلزم من ذلك أن تكون آية أو بعض آية من كل سورة. وقد يحتمل أن أنساً رضي الله عنه ذكر هذا من باب التمثيل للسائل لكيفية قراءة النبي

---

(١) ضمن أدلة القول الثاني.

ﷺ[١].

٥ـ كما استدلوا بحديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «**كان النبي ـ ﷺ ـ لا يعرف فصل السورة حتى تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم**»[٢].

وكأنهم أخذوا من نزول البسملة مع السورة أن تكون آية منها، وهذا ليس بلازم، كما سيأتي بيان هذا في القول الرابع.

القول الرابع:

أن البسملة آية مستقلة من القرآن، وليست من السور، وإنما هي آية تنزل مع كل سورة، للفصل بينها وبين التي قبلها.

وهذا قول طائفة من أهل العلم، منهم الإمام أحمد، في المنصوص الصريح عنه[٣]، وعبدالله بن المبارك[٤]، ومحمد بن الحسن الشيباني[٥]، وأبو الحسن الكرخي[٦]، وأبو بكر الرازي[٧]، وداود

---

(١) انظر «فتح الباري» ٩: ٩١.
(٢) سيأتي تخريجه ضمن أدلة القول الرابع وانظر «الاستذكار» ٢: ١٧٩.
(٣) انظر «مسائل الإمام أحمد» رواية النيسابوري ١: ٥٢، «المسائل الفقهية» ١: ١١٨، «المغني» ٢: ١٥٢، ١٥٣، «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ٢٢: ٣٥٣، ٤٠٦، ٤٣٤، ٤٣٨ـ٤٣٩، وانظر ١٣: ٤١٨.
(٤) انظر «مجموع فتاوى ابن تيمية» المواضع السابقة.
(٥) انظر «المبسوط» ١: ١٦.
(٦) انظر «أحكام القرآن» للجصاص ١: ٩٠٨، «نصب الراية» ١: ٣٢٧.
(٧) انظر «المبسوط» ١: ١٥ـ١٦، «الاستذكار» ٢: ١٧٦.

الظاهري[(١)] وغيرهم. واختاره الطبري فيما يظهر من كلامه[(٢)] واختاره ابن خزيمة[(٣)]، والجصاص[(٤)]، وابن قدامة[(٥)] وشيخ الإسلام ابن تيمية[(٦)]، والزيلعي[(٧)].

وهذا القول هو أصح الأقوال، وهو الذي تدل عليه الأدلة الصحيحة الصريحة ومنها مايلي:

١ـ إجماع الصحابة ـ رضوان لله عليهم ـ على إثباتها في المصحف، وكتابتهم لها بخطه، وقلمه، فنقلت نقله، كما نقلت في سورة النمل، فلا يجوز الخروج عن إجماعهم، وذلك لأنهم جردوا المصحف عن غير الآيات القرآنية، كالتفسير ونحوه[(٨)].

٢ـ ما رواه أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: **بينا رسول الله ـ ﷺ ـ ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يارسول الله؟ قال: «أنزلت عليّ آنفا سورة. فقرأ:**

---

(١) انظر «المحلى» ١٣: ٢٥١، «الاستذكار» ٢: ١٧٦، «نصب الراية» ١: ٣٢٧، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٥، «النشر» ١: ٢٧٠، «كتاب البسملة الصغير» ٢/ب، «رسالة الصبان الكبرى في البسملة» ٢٧/أ.

(٢) في «تفسيره» ١: ١٠٩، ١٤٦ـ١٤٧.

(٣) في «صحيحه» ١: ٢٤٩، ٢٥١.

(٤) في «أحكام القرآن» ١: ٨ـ١٢.

(٥) في «المغني» ٢: ١٥٣.

(٦) في «الفتاوى» ٢٢: ٢٧٦، ٣٥٠، ٤٠٦.

(٧) في «نصب الراية» ١: ٣٤٣.

(٨) انظر «الكشاف» ١: ٢١، «تفسير النسفي» ١: ١، «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٣٣.

(بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ رواه مسلم[(١)]».

ووجه الدلالة في هذا الحديث على أن البسملة آية مستقلة من القرآن، أن الرسول ـ ﷺ ـ قرأ بها وأخبر أنها أنزلت مع هذه السورة. ولم تعد آية منها، فقد أجمع الناس على أن سورة الكوثر ثلاث آيات، بدون بسم الله الرحمن الرحيم[(٢)]، كما أجمعوا على أن سورة الإخلاص أربع آيات بدون البسملة[(٣)].

٣ـ ما رواه عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «**كان النبي ـ ﷺ ـ لا يعرف فصل السورة، حتى تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم**» رواه أبو داود[(٤)]. فكونها تنزل يدل على أنها آية من القرآن، وكونها للفصل بين السور يدل على أنها ليست من السور، وإنما هي آية مستقلة[(٥)].

٤ـ ما رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «**إن سورة من القرآن ثلاثون آية، شفعت لرجل حتى غفر له، وهي سورة**

---

(١) في الصلاة ـ باب حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة حديث ٤٠٠، وأبو داود ـ في الصلاة ـ من لم ير الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ـ حديث ٧٨٤، والنسائي ـ في الافتتاح ـ باب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم حديث ٨٦٩.

(٢) انظر «أحكام القرآن» للجصاص ١: ١١، المبسوط ١/ ١٦ المغني ٢/ ١٥٣.

(٣) انظر أحكام القرآن للجصاص ١/ ١١.

(٤) في الصلاة ـ من جهر بالبسملة ـ حديث ٧٨٨، قال ابن كثير ١: ٣٤، «إسناده صحيح». قلت: وصححه الألباني.

(٥) انظر «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٢٢: ٢٧٦، ٣٥٠، ٣٥١، ٤٠٦، ٤٣٩.

تبارك الذي بيده الملك»[١].

قال: فهذا الحديث يدل على أن البسملة ليست آية من السور من وجهين:

الوجه الأول: أنه ﷺ ابتدأ سورة الملك، بقوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ دون البسملة، مما يدل على أن البسملة ليست من السورة.

الوجه الثاني: أن أهل العلم، والعادين لآيات القرآن اتفقوا على أن سورة ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾[٢]، ثلاثون آية بدون البسملة[٣].

٥ـ ما رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «**من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ـ ثلاثا، غير تمام**» فقيل لأبي هريرة: إنا نكون وراء الإمام، فقال اقرأ بها في نفسك، فإني سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «**قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ قال الله ـ تعالى ـ: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ قال الله ـ تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال:**

---

(١) أخرجه الترمذي ـ في فضائل القرآن ـ ما جاء في فضل سورة الملك ـ حديث ٢٨٩١، وقال: «حديث حسن»، وابن ماجه. ـ في الأدب ـ باب ثواب القرآن ـ حديث ٣٧٨٦، وأحمد ٢:٢٩٩، ٣٢١، وصححه الألباني.

(٢) سورة الملك، الآية:١.

(٣) انظر «أحكام القرآن» للجصاص ١:١١، «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٢٢:٢٧٧، ٤٣٩، وانظر «التحقيق» لابن الجوزي ١:٢٩٣.

﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، قال: مجدني عبدي، وقال مرة: فوّض إليّ عبدي، فإذا قال ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل» رواه مسلم[1].

قالوا: فهذا الحديث كسابقه، يدل على أن البسملة ليست آية من الفاتحة من وجهين:

الوجه الأول: أن الله ـ تعالى ـ بدأ الفاتحة بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، ولو كانت البسملة آية من الفاتحة، لابتدأ بها، وعدها آية منها[2].

الوجه الثاني: أن الله جعل الفاتحة بينه وبين عبده نصفين، وهي سبع آيات، باتفاق أهل العلم المعتد بقولهم، كما جعل تعالى ـ الآية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ بينه وبين العبد، وهي منتصف السورة، فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وما قبله ثلاثة آيات ونصف، حمد وثناء وتمجيد وعبادة للرب، وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ وما

---

(١) في الصلاة ـ باب وجوب قراءة الفاتحة ـ حديث ٣٩٥، وأبو داود ـ في الصلاة ـ باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب: حديث ٨٢١، والنسائي ـ في الافتتاح ـ باب ترك قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب ـ حديث ٨٧٢، والترمذي ـ في التفسير ـ باب ومن سورة فاتحة الكتاب ـ حديث ٢٩٥٤، وابن ماجه ـ في إقامة الصلاة ـ باب القراءة خلف الإمام ـ مختصرا دون قوله: «سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ إلى آخره ـ حديث ٨٣٨، وأخرجه البيهقي برواياته في «جزء القراءة خلف الإمام» حديث ٤٩ـ٨٦.

(٢) انظر «المبسوط» ١: ١٦، «الاستذكار» ٢: ١٧٢، «التحقيق» ١: ٢٩٣، «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٢٢: ٤٤٠.

بعده ثلاث آيات ونصف للعبد دعاء ومسألة، ويكون قوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ هو الآية السادسة، وقوله: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ هو الآية السابعة، وبهذا يتحقق التنصيف للفاتحة بين الرب، وبين العبد، ولو كانت البسملة آية من الفاتحة لم يتحقق التنصيف، ولكان قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ وما قبله أربع آيات ونصف آية. وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ وما بعده اثنتين ونصفاً، فلا يتحقق التنصيف بل يكون ما للرب في هذه القسمة أكثر مما للعبد، وهذا خلاف نص قوله ـ تعالى ـ في الحديث «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين**»[1].

قال ابن عبدالبر في «الاستذكار»[2]: «وأما قوله في هذا الحديث: «قال الله ـ تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين: فنصفها لي، ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل «قال رسول الله ـ ﷺ ـ: **اقرؤوا، يقول العبد**: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، فبدأ بالحمد لله رب العالمين، ولم يقل ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فهذا أوضح شيء وأبينه أن ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ليست آية من الفاتحة لأن رسول الله ـ ﷺ ـ بدأ بـ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فجعلها آية، ثم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ثم ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾. فهذه ثلاث آيات لم يختلف فيها المسلمون.

---

(١) انظر «تفسير الطبري» ١: ١٠٩، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ٩٤.

(٢) ٢: ١٧٢ـ١٧٤، وانظر «أحكام القرآن» للجصاص ١: ٩ـ١٠، «المبسوط» ١: ١٦، «المغني» ٢: ١٥٢.

وجاء في هذا الحديث أنها له تبارك اسمه، ثم الآية الرابعة جعلها بينه وبين عبده، ثم ثلاث آيات لعبده تتمة سبع آيات. فهذا يدل على أن ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آية، ثم الآية السابعة إلى آخر السورة. وهكذا تكون نصفين بين العبد، وبين ربه، لأنه قال في قوله ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخر السورة: فهؤلاء لعبدي، ولعبدي ما سأل. وهؤلاء إشارة إلى جماعة من يعقل، وما لايعقل، وأقل الجماعة ثلاثة، فعلمنا بقوله (هؤلاء) أنه أراد هؤلاء الآيات، والآيات أقلها ثلاث، لأنه لو أراد اثنتين لقال: هاتان، ولو أراد واحدة لقال: هذه بيني وبين عبدي، وإذا كان من قوله: ﴿اهدنا﴾ إلى آخر السورة ثلاث آيات كانت السبع آيات، من قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلى قوله ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ وصحت قسمة السبع على السواء، ثلاث وثلاث، وآية بينهما...

وأجمع القراء والفقهاء على أنها سبع آيات إلا أنهم اختلفوا فمن جعل ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ آية من فاتحة الكتاب لم يعد ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آية، ومن لم يجعل ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ آية عد ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آية، وهو عدد أهل المدينة وأهل الشام، وأهل البصرة، وأما أهل مكة، وأهل الكوفة من القراء والفقهاء فإنهم عدوا فيها ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ آية، ولم يعدوا ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وهذا الحديث أبين مايُروى عن النبي - ﷺ - في سقوط ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ من آي فاتحة الكتاب، وهو قاطع لموضع الخلاف...»

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[١]: «فهذا الحديث صحيح صريح في أنها ليست من الفاتحة، ولم يعارضه حديث صحيح صريح».

قلت: وإذا كانت البسملة ليست من الفاتحة، فليست من غيرها من السور من باب أولى.

٦ـ حديث ـ عائشة ـ رضي الله عنها ـ الطويل في قصة بدء الوحي، وفيه أن أول ما جاءه الملك قال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾، الحديث متفق عليه[٢].

قال ابن تيمية[٣] ـ بعد ما أشار إلى هذا الحديث: «فهذا أول مانزل ولم ينزل قبل ذلك ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾. وقال في موضع آخر:[٤] «فالذين قالوا ليست من السورة قالوا: إن جبريل ما أتى النبي ﷺ يأمره بقراءتها بل أمره أن يقرأ: ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾ ولو كانت هي أول السورة لأمره بها».

٧ـ حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: **«صليت خلف النبي ـ ﷺ ـ، وخلف أبي بكر وعمر وعثمان، فكانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين، لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم، لا في**

---

(١) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٢٧٧ـ٢٧٨ وانظر ٤٤١.
(٢) أخرجه البخاري ـ بدء الوحي ـ حديث ٣، ومسلم ـ في الإيمان حديث ١٦٠.
(٣) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٢٧٧.
(٤) ٢٢: ٣٤٩.

أول قراءة ولا في آخرها». رواه مسلم[١].

٨ـ حديث عائشة ـ قالت: «**كان رسول الله ـ ﷺ ـ يفتتح الصلاة بالتكبير، والقراءة بالحمد لله رب العالمين. .**»[٢]

٩ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «**كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا نهض من الركعة الثانية استفتح القراءة بالحمد لله رب العالمين، ولم يسكت**». رواه مسلم[٣].

وهذه الأحاديث الثلاثة، حديث أنس برواياته، وحديث عائشة، وحديث أبي هريرة كلها تدل ـ كما سيأتي بيان ذلك ـ على أن الرسول ـ ﷺ ـ وخلفاءه، كانوا لا يجهرون بالبسملة، لا أنهم يتركونها ـ كما زعم بعضهم.

أما ما وجه الدلالة فيها على أن البسملة آية مستقلة؟ فهو كونهم لم يجهروا بها، كبقية آيات الفاتحة إذ لو كانت آية منها لما فرقوا بينها وبين بقية آيات هذه السورة[٤]، وإذا لم تكن آية من الفاتحة فالأولى أن لا تكون آية من غيرها من السور.

---

(١) سيأتي تخريجه برواياته في الكلام على حكم الجهر بالبسملة، في المبحث السابع ضمن أدلة القول الثاني وانظر «التحقيق» لابن الجوزي ١: ٢٩٢.

(٢) في الصلاة ـ باب ما يجمع صفة الصلاة ـ حديث ٤٩٨، وأبو داود ـ في الصلاة، ـ باب من لم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ـ حديث ٧٨٣.

(٣) في المساجد ومواضع الصلاة ـ حديث ٥٩٩، وانظر «أحكام القرآن» للجصاص ١: ١٦.

(٤) انظر «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٢٧٩، ٤٤١.

١٠ـ قوله ـ تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يدل على أن البسملة ليست من الفاتحة، إذ لو كانت منها لكان فيها تكرار قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، والأصل عدم التكرار(١)، غالباً(٢).

١١ـ أن جعل قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ آية واحدة بهذا الطول لا يناسب بقية الآيات، إذ إن غالب السور تكون آياتها متناسبة من حيث الطول والقصر. مما يقوي القول بأن هذه الآية آيتان، وأن البسملة ليست من آيات الفاتحة خلافا للعدد الموجود في المصاحف.

وإذا لم تكن آية من الفاتحة فالأولى أن لا تكون آية من غيرها من السور.

١٢ـ كما يقال أيضا لمن يقول: إنها آية من الفاتحة فقط.

إن الفاتحة سورة من سور القرآن، والبسملة مكتوبة في أولها كلها، فلا فرق بينها وبين غيرها من السور في مثل ذلك. قال ابن تيمية(٣) «وهذا أظهر وجوه الاعتبار».

---

(١) انظر «تفسير الطبري» ١:١٤٦-١٤٧.

(٢) لأن بعض السور جاء فيها تكرار بعض الآيات لحكم منها ما هو معلوم، ومنها مالا يعلمه إلا الله من ذلك قوله تعالى في سورة الرحمن ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ فقد جاءت في واحد وثلاثين موضعاً في هذه السورة، ومن ذلك قوله تعالى «ويل يومئذ للمكذبين» فقد جاءت في عشرة مواضع من سورة المرسلات.

(٣) انظر «مجموع الفتاوى» ٢٢:٤٤١.

قال القاضي أبو يعلى[١]: «إن أكثر أهل العلم وجمهورهم على أن قراءتها مستحبة فقط، وهذا يدل على أنها ليست من الفاتحة».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[٢]: «وهو قول سائر من حقق القول في هذه المسألة، وتوسط فيها، وجمع بين مقتضى الأدلة وكتابتها سطرا مفصولا عن هذه السورة».

وقال أيضاً: «وهذا أعدل الأقوال»[٣].

* * *

(١) في المسائل الفقهية» ١: ١١٨.
(٢) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٣٥.
(٣) «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٣٩. وانظر أيضاً ٢٧٦، ٢٧٨، ٣٥٠، ٣٥١، ٤٠٦، ٤٢١، ٤٣٨-٤٣٩.

المبحث الرابع

السبب في عدم كتابة البسملة في مطلع سورة براءة

أجمع المسلمون على ترك الفصل بالبسملة بين سورة الأنفال وسورة براءة لإجماع المصاحف على ترك التسمية بينهما[١].

وإذا ابتدأ القارىء بسورة براءة، فإنه يتعوذ فقط، كما لو قرأ من وسطها[٢].

وقد اختلف في السبب الذي من أجله تركت البسملة في مطلع سورة براءة.

فذهب قوم إلى أن السبب هو كما جاء في حديث ابن عباس[٣] عن عثمان، رضي الله عنهم - من أن النبي - ﷺ - لم يبين لهم في شأنها شيئاً، وكانت قصتها تشبه قصة الأنفال، فقرنوا بينهما، ولم يكتبوا:

---

(١) انظر «التبصرة» لمكي ص٢٤٨، «العنوان في القراءات السبع» ص٦٥، «الإقناع في القراءات السبع» ١ : ١٥٧، «النشر» ١ : ٢٦٤.

(٢) في حال الوصل: الأولى الوقف بين الأنفال وبراءة، لأن أواخر السور من أتم التمام، ويجوز الوصل بينهما، ويجوز السكت. وكذا لو وصل براءة بالفاتحة، أو بالأعراف أو بغيرهما من السور، انظر «النشر» ١ : ٢٦٩-٢٧٠.

(٣) حديث ابن عباس أخرجه - أبو داود - في الصلاة - باب من جهر بالبسملة حديث ٧٨٦-٧٨٧، والترمذي - في تفسير سورة التوبة حديث ٣٠٨٦، وقال: «حديث حسن صحيح»، وأحمد ١ : ٥٧، والحاكم ٢ : ٣٣١-٣٣٠ وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، وقد ضعف أحمد شاكر هذا الحديث في شرحه للمسند حديث ٣٩٩، كما ضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» حديث ١٦٨-١٦٩، وفي «ضعيف سنن الترمذي». حديث ٥٩٩.

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وقد اختار هذا الطحاوي[١]، وصححه ابن العربي[٢].

وقيل: إن ذلك من شأن العرب إذا كان بينهم وبين قوم عهد، فإذا أرادوا نقضه كتبوا لهم كتابا، فلم يكتبوا فيه: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، فلما نزلت براءة بنقض العهد الذي كان بين رسول الله ـ ﷺ ـ وبين المشركين ـ بعث النبي ـ ﷺ ـ علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فقرأها عليهم في الموسم، ولم يبسمل على ما جرت به عادتهم.

وقيل: لأن ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أمان، وبراءة نزلت بالسيف، ليس فيها أمان، روي هذا عن علي بن أبي طالب[٣] ورُوِيَ عن المبرد نحوه.

وقيل: لأن ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ رحمة، وبراءة سخط.

وقيل: تركت التسمية، إعظاما لبسم الله الرحمن الرحيم، من خطاب المشركين[٤].

وقيل: لأنهم اختلفوا هل هما سورتان، أو سورة واحدة، فتركت بينهما فرجة لقول من قال: إنهما سورتان، وتركت ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ لقول من قال: إنهما سورة واحدة، فرضي الفريقان، وثبتت

---

(١) في «مشكل الآثار» ٢: ١٥٥.
(٢) في «أحكام القرآن» ٢: ٨٩١ـ٨٩٢.
(٣) أخرجه الحاكم ٢: ٣٣٠.
(٤) هذا فيه نظر لأنه ورد في القرآن سور فيها خطاب المشركين ومع هذا بدئت بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) منها سورة النبأ وسورة الكافرون وسورة المسد وغير ذلك.

حجتاهما في المصحف[١].

قال القرطبي[٢]: «والصحيح أن التسمية لم تكتب لأن جبريل ـ عليه السلام ـ لم ينزل بها في هذه السورة، قاله القشيري».

قلت: وما ذكره القرطبي عن القشيري، هو الذي تطمئن إليه النفس، بل يجب الجزم به، وهو أن جبريل لم ينزل بالبسملة مع هذه السورة، ولو نزلت مع هذه السورة لحفظت مع ما حفظ، ونقلت إلينا، تحقيقاً لوعد الله ـ تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[٣].

ولما لم تنقل، علمنا يقينا، لا يخالجه شك، أنها لم تنزل مع هذه السورة، لأن الله تكفل بحفظ القرآن، وقد وصل إلينا بحمد الله كاملا محفوظاً بحفظ الله، وهذا الذي يجب أن يعتقده كل مسلم.

أما ما رُويَ عن ابن عباس عن عثمان ـ رضي الله عنهم ـ أن النبي ـ ﷺ ـ لم يبين لهم في شأن البسملة مع سورة براءة شيئا، وكانت قصتها تشبه قصة الأنفال، فقرنوا بينهما، ولم يكتبوا ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ـ فالحديث في هذا ضعيف ـ كما تقدم بيان ذلك.

أما القول بأن الصحابة اختلفوا، هل الأنفال وبراءة سورة واحدة، أو سورتان. . . الخ فإن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ إنما أشكل

---

(١) انظر «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢: ٤٧٢، «مشكل الآثار» ٢: ١٥٥، «أحكام القرآن» لابن العربي ٢: ٨٩١ـ٨٩٢، «زاد المسير» ١: ٣٨٩، «الجامع لأحكام القرآن» ٨: ٦١ـ٦٣، «البرهان» للزركشي ١: ٢٦٢ـ٢٦٣.

(٢) في «تفسيره» ٨: ٦٣.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٩.

عليهم ـ فيما رُويَ عنهم ، هل براءة سورة مستقلة أو هي من سورة الأنفال، ولهذا فصلوا بينهما. أما أن هناك شكاً في نزول البسملة مع هذه السورة أم لا فلا شك بل يجب القطع بأن ما وصل إلينا بين دفتي المصحف، هو القرآن بكامله، من غير زيادة أو نقصان.

أما بقية الأقوال، التي قيلت في عدم ذكر البسملة، والتي سبق ذكر جملة منها، فكلها يمكن حملها على البحث عن العلة، والسبب في عدم نزول البسملة مع هذه السورة، فهي مجرد تعليلات، تقبل حينا وترد أحيانا، وهي مجرد التماس للحكمة، وللعلة في عدم نزولها، مع هذه السورة، والتعليل قد يكون عليلا، فالأولى ـ والله أعلم ـ التوقف في هذا.

* * *

المبحث الخامس

حكم قراءة البسملة في غير الصلاة

أجمع أهل العلم على مشروعية التسمية، واستحبابها، بعد الاستعاذة، تقديما للتخلية على التحلية، عند قراءة أول السورة في غير الصلاة، سواء في ذلك سورة الفاتحة، أو غيرها من السور، سوى سورة براءة[١]، لأنها آية من القرآن الكريم، نزلت مع كل سورة، سوى سورة براءة.

لكن اختلف القراء في قراءتها في حال الوصل بين السور، فقرأ ابن كثير، وقالون، وعاصم، والكسائي بالفصل بالتسمية بين السور، سوى الأنفال وبراءة[٢].

ورُوِيَ عن بعض القراء تركها في الوصل منهم حمزة، وروى عن ورش الفصل وعدمه، واختلف عن الباقين، وهم: خلف وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب ونافع، بين الفصل بالبسملة والوصل بين السورتين، أو السكت بينهما[٣].

والأولى الفصل بالتسمية بين جميع السور سوى سورة براءة، فلا

---

(١) انظر «التبصرة» لمكي ص٢٤٩-٢٥٠، «الإقناع في القراءات السبع» ١: ١٥٥، «النشر» ١: ٢٦٣-٢٦٤.

(٢) انظر «التبصرة» لمكي ص٢٤٦، «العنوان في القراءات السبع» ص٦٥، «الإقناع في القراءات السبع» ١: ١٥٨، «النشر» ١: ٢٥٩.

(٣) انظر «التبصرة» لمكي ص٢٤٧-٢٤٨، «العنوان في القراءات السبع» ص٦٥، «الإقناع في القراءات السبع» ١: ١٥٨-١٦٢، «النشر» ١: ٢٥٩-٢٦٠.

يفصل بالتسمية بينها وبين ما يقرأ قبلها من السور سواء سورة الأنفال أو غيرها ـ لأن الله أنزل التسمية مع كل سورة سوى سورة براءة، وكذا لو كرر السورة فوصل بين آخرها وأولها فالأولى الفصل بالبسملة[١] ـ وإن كانت ليست آية من كل سورة ـ كما قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «**كان النبي ـ ﷺ ـ لا يعرف فصل السورة، حتى تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم**»[٢]، ولأن ذلك هو الموافق لرسم المصحف، ومن شرط صحة القراءة موافقتها لرسم المصحف[٣]، باتفاق أهل العلم، ولهذا أكثر القراء على الفصل بها بين السور، وكل من رُوِيَ عنه الوصل، فقد رُوِيَ عنه خلافه.

والأولى: في حال الابتداء بأول السورة أن يَستعيذ ثم يقف، ثم يُسمي ويقف، ثم يشرع في أول السورة، لأن الوقف على الاستعاذة تام، وكذا الوقف على البسملة، ولأن الثابت أن الرسول ـ ﷺ ـ كما في حديث أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ أنه كان يقطع قراءته آية آية[٤].

ويجوز أن يصل الاستعاذة بالبسملة، ثم يقف، ثم يشرع بأول السورة ويجوز أن يستعيذ ثم يقف، ثم يسمي ويصل البسملة بالسورة، ويجوز وصل الجميع، وصل الاستعاذة بالبسملة، ووصل البسملة

---

(١) انظر «النشر» ١: ٢٧٠.
(٢) سبق تخريجه في المبحث الثالث من هذا الفصل ضمن أدلة القول الرابع.
(٣) انظر «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٢٢: ٣٥٢.
(٤) سبق تخريجه في المبحث الرابع من هذا الفصل ضمن أدلة القول الثاني.

بالسورة[١].

وفي حال الوصل بين سورة وأخرى الأولى الوقف على نهاية السورة الأولى، لأن أواخر السور من أتم التمام، ثم يسمى ويقف، ثم يبتدأ بأول السورة الأخرى، سواء كانت السورتان متواليتين في ترتيب المصحف أم غير متواليتين.

ويجوز أن يقف على آخر السورة، ثم يبسمل، ويصل البسملة بأول السورة الأخرى، ويجوز وصل آخر السورة بالبسملة، ووصل البسملة بأول السورة الأخرى، وهو دون الثاني.

ويمتنع وصل البسملة بآخر السورة، ثم الوقف عليها، لأن البسملة إنما شرعت في الابتداء، لا في الانتهاء[٢].

أما في أوساط السور فيتعوذ فقط، ولا يبسمل عند أكثر أهل العلم، وهو الصحيح، وقيل يستعيذ ويبسمل، وقيل يبسمل فقط[٣].

وقد تقدم هذا في الكلام على الاستعاذة.

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر «الإقناع في القراءات السبع» ١ : ١٥٤، «النشر» ١ : ٢٦٥ـ٢٦٨.

(٢) انظر «التبصرة» لمكي ص٢٤٨ـ٢٤٩، «الإقناع في القراءات السبع» ١ : ١٥٨، «النشر» ١ : ٢٦٧ـ٢٧٠.

(٣) انظر «التبصرة» ص٢٤٩، «الإقناع في القراءات السبع» ١ : ١٦٢ـ١٦٣، «النشر» ١ : ٢٦٥.

المبحث السادس

حكم قراءة البسملة في الصلاة

اختلف العلماء في حكم قراءة البسملة في الصلاة على أقوال:

القول الأول:

أنها تجب قراءتها في الصلاة، وجوب الفاتحة، لأنها آية منها.

وهو مروي عن ابن عباس وابن عمر، والزهري، ومجاهد، ويحيى ابن جعدة[١] وإسحاق[٢]، وأبي ثور، وأبي عبيد[٣]، وهو المشهور من مذهب الشافعي[٤]، ورواية عن الإمام أحمد[٥]. وهذا على أن البسملة آية من الفاتحة[٦]، فتجب قراءتها عندهم كما تجب قراءة بقية آيات الفاتحة، كما يشرع الجهر بها عندهم، كما يجهر ببقية آيات الفاتحة. وسيأتي ذكر أدلتهم ومناقشتها عند ذكر قول من قال بالجهر بالبسملة في المبحث السابع إن شاء الله تعالى.

القول الثاني:

أن قراءتها في الصلاة مستحبة مع الفاتحة، ومع كل سورة، سوى

---

(١) انظر «الاستذكار» ٢: ١٨١.
(٢) أخرجه عن إسحاق ابن عبدالبر في «الاستذكار» ٢: ١٧٦.
(٣) انظر «الجامع لأحكام القرآن» ١: ٩٦.
(٤) انظر «الأم» ١: ١٠٧، ١٠٨، «المهذب» ١: ٧٩، «المجموع» ٣: ٣٣٢-٣٣٣.
(٥) انظر «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٣٥٣، ٤٣٥، ٤٣٩.
(٦) انظر «المصدر السابق» ٢٢: ٣٥٣، ٤٣٤، ٤٤٠.

سورة براءة، كما في المصحف، وهو قول جمهور أهل العلم[١]، منهـم: أبـو حنيفـة[٢]، وأحمـد فـي المشهـور عنـه[٣]، وأكثـر أهـل الحديث[٤]، لأنها آية مستقلة من القرآن، وليست آية من السورة، لا من سورة الفاتحة، ولا من غيرها من السور، فلا تجب قراءتها، لا مع الفاتحة، ولا مع غيرها، لكن تستحب قراءتها معها، ومع كل سورة سوى براءة، لإثباتها في المصحف معها، ومع بقية السور، سوى براءة. وأيضاً فقد ثبت في حديث أنس وعائشة وأبي هريرة ـ رضي الله عنهم ـ أن الرسول ـ ﷺ ـ وخلفاءه، لا يجهرون بها[٥]، فلو كانت قراءتها واجبة، وجوب الفاتحة لجهروا بها، كما يجهرون ببقية آيات الفاتحة.

القول الثالث:

أنه لاتشرع قراءتها في المكتوبة، لا سراً ولا جهراً.

وهذا هو المشهور من مذهب الإمام مالك، إلا أنه قال بقراءة البسملة في النفل وقيام الليل، ولمن يعرض القرآن عرضا[٦].

---

(١) انظر «المغني» ٢:١٤٧، «مجموع الفتاوى» ٢٢:٢٧٦، ٤٣٦.

(٢) انظر «المبسوط» ١:١٥، «أحكام القرآن» للجصاص ١:١٣ـ١٤، «فتح القدير» لابن الهمام ١:٢٩١، ٢٩٣.

(٣) انظر «مسائل الإمام أحمد» رواية النيسابوري ١:٥٢ـ٥٣، «المسائل الفقهية» ١:١١٨، «الافصاح» ١:١٢٥ـ١٢٦، «المغني» ٢:١٤٧، ١٥١، «مجموع الفتاوى» ٢٢:٤٣٦.

(٤) انظر «مجموع الفتاوى» ٢٢:٤٣٦.

(٥) سيأتي تخريجها في المبحث السادس من هذا الفصل ضمن أدلة القول الثاني.

(٦) انظر «المدونة» ١:٦٤، «الكافي» لابن عبدالبر ١:١٧٠، «الاستذكار» ٢:١٥٤، ١٧٥، ١٨٢، «أحكام القرآن» لابن العربي ١:٣، «بداية المجتهد» ١:٨٩، «الجامع لإحكام =

ونُقل القول بعدم مشروعية قراءتها أيضا عن الأوزاعي[1].

وهذا القول مبني على أن البسملة ليست آية من القرآن، لا في أول الفاتحة ولا في أوائل السور، وليست آية مستقلة من القرآن ـ وقد تقدم بيان ضعف هذا القول[2].

وقد استدل من ذهب إلى هذا القول بأحاديث أنس وعائشة، وعبدالله بن مغفل ـ رضي الله عنهم ـ والتي فيها أن الرسول ـ ﷺ ـ وخلفاءه كانوا يستفتحون القراءة والصلاة بالحمد لله رب العالمين[3]. وحديث أبي هريرة الذي فيه قوله تعالى: **«قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين...»**[4].

لكن هذه الأحاديث ليس فيها نفي قراءتها مطلقاً، وإنما فيها نفي قراءتها جهراً ـ كما جاء في بعض روايات حديث أنس قوله: **«فكانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم»**. وفي بعض الروايات **«فكانوا يسرون ببسم الله الرحمن الرحيم»**. وسيأتي ذكر رواياته وتخريجها، هو وحديث عائشة، وعبدالله بن مغفل، في الكلام على حكم الجهر

= القرآن» للقرطبي ١: ٩٥-٩٦.

(١) انظر «الاستذكار» ٢: ١٧٧، «الاعتبار» للحازمي ص٨١، «المغني» ٢: ١٤٧، «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٠٧.

(٢) راجع ص١٠٤.

(٣) انظر «أحكام القرآن» لابن العربي ١: ٣، «المغني» ٢: ١٤٧، «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤١٣، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٦.

(٤) انظر «الاستذكار» لابن عبدالبر ٢: ١٥٤.

بالبسملة والإسرار بها[١].

قال أبو بكر بن خزيمة ـ بعد أن أخرج روايات حديث أنس، والتي في بعضها التصريح بأن الرسول ـ ﷺ ـ وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا يسرون ببسم الله الرحمن الرحيم، ولا يجهرون بها.

قال ابن خزيمة: «هذا الخبر يصرح بخلاف ما توهم من لم يتبحر العلم، وادعى أن أنس بن مالك أراد بقوله: «كان النبي ـ ﷺ ـ وأبو بكر وعمر يستفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين، وبقوله: «لم أسمع أحداً منهم يقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أنهم لم يكونوا يقرؤون ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ جهرا، ولا خفيا. وهذا الخبر يصرح أنه أراد أنهم كانوا يسرون به ولا يجهرون به عند أنس»[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[٣]، بعد أن نفى دلالة حديث أنس على ترك قراءة البسملة، وبين أنه إنما يدل على ترك الجهر بها قال: «وأما كون الإمام لم يقرأها، فهذا لا يمكن إدراكه، إلا إذا لم يكن له بين التكبير والقراءة سكتة، يمكن فيها القراءة سراً، ولهذا استدل بحديث أنس على عدم القراءة، من لم ير هناك سكوتا كمالك وغيره، لكن ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه قال: يارسول الله. **«أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة ماذا تقول؟ قال: أقول: كذا وكذا**

---

(١) ص١٣٤ـ١٤٠.

(٢) في «صحيحه» ١: ٢٥٠، وانظر «المغني» ٢: ١٤٩ـ١٥١.

(٣) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤١٣ـ٤١٥.

إلى آخره»، وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عمران وأُبي وغيرهما أنه كان يسكت قبل القراءة، وفيها أنه كان يستعيذ، وإذا كان له سكوت، لم يمكن أنسا أن ينفي قراءتها في ذلك السكوت، فيكون نفيه للذكر، وإخباره بافتتاح القراءة بها، إنما هو في الجهر، وكما أن الإمساك عن الجهر مع الذكر يسمى سكوتا، كما في حديث أبي هريرة فيصلح أن يقال: لم يقرأها، ولم يذكرها، أي جهرا، فإن لفظ السكوت، ولفظ نفي الذكر والقراءة مدلولهما هنا واحد».

وقد اختلف العلماء فيما إذا جهر الإمام ولم يسكت هل يبسمل المأموم أو لا: على قولين منهم: من قال: لا يبسمل ولا يقرأ بل يجب عليه الإنصات، وقال بعض أهل العلم: بأنه يستعيذ ثم يبسمل ويقرأ الفاتحة وذلك لأن قراءة الفاتحة في الصلاة واجبة والاستعاذة والبسملة تشرع قراءتها تبعاً لها.

وهذه المسألة مبنية على اختلافهم في حكم قراءة الفاتحة في حق المأموم[1].

. . . . .

---

(١) راجع ما سبق ص٦٢ وانظر «حكم قراءة الفاتحة في حق المأموم» ص٣٥٤ وما بعدها.

المبحث السابع

حكم البسملة من حيث الجهر بها والإسرار، في الصلاة، أو خارجها

أما في غير الصلاة:

فأكثر القراء على الجهر بها[١]، ورُوي عن بعضهم إخفاؤها، منهم حمزة، ونافع[٢]، ورُوِيَ عنهما الجهر بها[٣].

وأخذ بعض أهل الأداء بالتسمية جهراً لجميع القراء وأخذ بعض أهل الأداء لهم إخفاءها[٤].

وأما في الصلاة فاختلف أهل العلم في ذلك على أقوال:

القول الأول:

أنه يسن الجهر بها في الصلاة الجهرية، والإسرار بها في الصلاة السرية.

وهو مروي عن عمر، وعلي وعبد الله بن الزبير[٥] وابن عباس وابن

---

(١) انظر «الكشف عن وجوه القراءات السبع» ١:١١ـ١٢، «النشر» ١:٢٦٥.

(٢) انظر «الكشف عن وجوه القراءات السبع» ١:١١ـ١٢.

(٣) انظر «التبصرة» لمكي ص٢٤٥، «الكشف عن وجوه القراءات» ١:١١ـ١٢، «النشر» ١:٢٧١.

(٤) انظر «الإقناع في القراءات السبع» ١:١٦٢.

(٥) أخرجه عن عمر، وابن الزبير ابن أبي شيبة في «المصنف ١:٤١٢»، وأخرجه عنهما وعن علي البيهقي ـ في الصلاة ـ باب قراءة «بسم الله الرحمن الرحيم» ٢:٤٨ـ٤٩.

عمر، وأبي هريرة، ومعاوية بن أبي سفيان[١]، وشداد بن أوس[٢] ـ رضي الله عنهم ـ.

ومن التابعين: سعيد بن جبير[٣]، ومحمد بن شهاب الزهري[٤]، ومجاهد وعطاء وطاوس[٥].

وحكاه ابن كثير ـ أيضاً[٦] ـ عن عكرمة، وأبي قلابة، وعلي بن الحسين وابنه محمد، وسعيد بن المسيب، وسالم، ومحمد بن كعب القرظي، وأبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وأبي وائل، وابن سيرين، ومحمد بن المنكدر ونافع مولى ابن عمر، وعمر بن عبدالعزيز، والأزرق بن قيس، وحبيب بن أبي ثابت، وأبي الشعثاء، وعبدالله بن معقل بن مقرن، وعبدالله بن صفوان، ومحمد بن الحنفية وعمرو بن دينار.

---

(١) أخرجه عن ابن عمر وأبي هريرة ابن أبي شيبة ١: ٤١٢، وأخرجه عن ابن عمر وابن عباس ـ النحاس في «القطع والائتناف» ١: ١٠٤ـ١٠٥، وأخرجه عنهم وعن معاوية ـ البيهقي ٢: ٤٦ـ٥٠.

(٢) أخرجه عن شداد النحاس في «القطع والائتناف» ١: ١٤.

(٣) أخرجه عن سعيد بن جبير ـ عبدالرزاق ـ في الصلاة ـ باب قراءة (بسم الله الرحمن الرحيم) ـ الأثر ٢٦١٤، وابن أبي شيبة ١: ٤١٢، والنحاس في «القطع والائتناف» ١: ١٠٦.

(٤) أخرجه عن الزهري ـ البيهقي ٢: ٥٠.

(٥) أخرجه عن مجاهد وعطاء وطاوس ابن أبي شيبة ١: ٤١٢، وأخرجه النحاس عن مجاهد وعطاء في «القطع الائتناف» ١: ١٠٦.

(٦) في «تفسيره» ١: ٣٥ـ٣٦.

وهو المشهور من مذهب الشافعي[١]. ونسب لأحمد في رواية له[٢]. ولكن قال ابن قدامة[٣]: «ولا تختلف الرواية عن أحمد أن الجهر بها غير مسنون».

وقال ابن تيمية[٤]: «وقد حكي القول بالجهر عن أحمد وغيره، بناء على إحدى الروايتين عنه، من أنها من الفاتحة فيجهر بها كما يجهر بسائر الفاتحة، وليس هذا مذهبه، بل يخافت بها عنده»، وروي عن الليث بن سعد[٥]، وأبي عبيد[٦]، وداود الظاهري[٧].

وقد سبقت الإشارة ـ في المبحث السادس ـ إلى أن أدلة القائلين بوجوب قراءة البسملة في الصلاة هي نفسها أدلة القائلين بالجهر بها ومنها ما يلي:

١ـ أن الصحابة كتبوها في المصحف، مع أنهم جردوه عما ليس من القرآن[٨]، مما يدل على وجوب قراءتها والجهر بها.

والجواب عن هذا: أنه إنما تجب قراءتها لو كانت من السورة،

---

(١) انظر «الأم» ١:١٠٧، «المهذب» ١:٧٩، «الاعتبار» للحازمي ص٨٢، «تفسير ابن كثير» ١:٣٥.
(٢) انظر «الاعتبار» ص٨٢.
(٣) في «المغني» ٢:١٤٩.
(٤) في «مجموع الفتاوى» ٢٢:٤٤٢.
(٥) انظر «الاستذكار» ٢:١٧٦.
(٦) انظر «الاعتبار» ص٨١.
(٧) انظر «الاستذكار» ٢:١٧٧.
(٨) انظر «مجموع الفتاوى» ٢٢:٤٣٢.

وبخاصة مع الفاتحة، والصحيح أنها آية مستقلة من القرآن ـ كما تقدم بيان ذلك في المبحث الثالث.

٢ـ ما رواه نعيم بن المجمر قال: «**صليت وراء أبي هريرة، فقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، ثم قرأ بأم القرآن، حتى بلغ ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ فقال: آمين. فقال الناس: آمين. ويقول كلما سجد: الله أكبر، وإذا قام من الجلوس في الاثنتين، قال: الله أكبر، وإذا سلم قال: والذي نفسي بيده، إني لأشبهكم صلاة برسول الله ـ ﷺ**»[(١)].

قالوا: فهذا الحديث يدل على مشروعية الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، لأن قوله «فقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ يؤخذ منه أنه قرأها جهراً، وإلا فكيف يعلم أن أبا هريرة قرأها، وحيث قال أبو هريرة في نهاية الحديث: «**والذي نفسي بيده، إني لأشبهكم صلاة برسول الله ـ ﷺ**». فهذا يدل على أنه ـ ﷺ ـ يجهر بها.

وقد أجاب أهل العلم من القائلين بعدم الجهر عن هذا الحديث بجوابين:

الأول: من حيث صحة سنده، فقد ضعفه جمع من أهل العلم.

---

(١) أخرجه النسائي ـ في الصلاة ـ في الافتتاح ـ قراءة (بسم الله الرحمن الرحيم) ـ حديث ٩٠٥ وقال الألباني: «ضعيف الإسناد».
وأخرجه ابن خزيمة ـ في الصلاة ـ باب ذكر الدليل على أن الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والمخافتة به جميعاً مباح ـ حديث ٤٩٩، والدارقطني ـ في الصلاة ـ باب وجوب قراءة (بسم الله الرحمن الرحيم) حديث ١٤. وقال: «صحيح، رواته كلهم ثقات»، والحاكم ـ في الصلاة ـ ١: ٢٣٢، وقال «صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه» والبيهقي ٢: ٤٦، وقال «إسناده صحيح وله شواهد».

وقد أطال الزيلعي في «نصب الراية»[١] في ذكر كلام الأئمة في تضعيفه، وأجاب عنه، وأعله من وجوه عدة، وكذا أعله وأجاب عنه من وجوه عدة الزبيدي[٢]، كما ضعف إسناده الألباني[٣].

الجواب الثاني أن دلالته على الجهر ليست صريحة ـ على فرض صحته، فيحتمل أن أبا هريرة أسر بها، ويحتمل أنه قصد تعليمهم، أو غير ذلك.

قال الجصاص[٤]: حديث نعيم بن المجمر لا دلالة فيه على الجهر بها، لأنه إنما ذكر أنه قرأها، ولم ينقل عنه أنه جهر بها.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[٥] «فإن العارفين بالحديث يقولون: إنه عمدتهم في هذه المسألة، ولا حجة فيه... فقد يكون أبو هريرة قصد تعريفهم أنها تقرأ في الجملة، وإن لم يجهر بها، وحينئذ فلا يكون هذا مخالفاً لحديث أنس الذي في الصحيح وحديث عائشة الذي في الصحيح، هذا إذا كان الحديث دالاً على أنه جهر بها، فإن لفظه ليس صريحا بذلك من وجهين، **أحدهما**: أنه قال قرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فيحتمل أنه قرأها سراً... الثاني: أنه لم يخبر أن

---

(١) ١: ٣٣٥ـ٣٤١.

(٢) انظر «الرد على من أبى الحق، وادعى أن الجهر بالبسملة من سنة سيد الخلق» ١: ١٩ ومابعدها.

(٣) راجع تخريج الحديث.

(٤) في «أحكام القرآن» ١: ١٦.

(٥) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٢٢، ٤٢٥، وانظر أيضاً: «نصب الراية» ١: ٣٣٥ـ٣٤١، «الرد على من أبى الحق» ١: ٢١ ـ وما بعدها.

النبي ـ ﷺ ـ قرأها، وإنما قال في آخر الصلاة: «إني لأشبهكم صلاة برسول الله ـ ﷺ».

وفي الحديث: أنه أمّن، وكبر في الخفض والرفع، وهذا ونحوه مما كان يتركه الأئمة، فيكون أشبههم برسول الله ـ ﷺ ـ من هذه الوجوه التي فيها ما فعله الرسول ـ ﷺ ـ وتركوه هم، ولعل قراءتها مع الجهر أشبه بصلاة رسول الله ـ ﷺ ـ من تركها».

٣ـ ما رواه أنس بن مالك: أن معاوية لما قدم المدينة ـ صلى بهم، فلم يجهر بالبسملة، فأنكر عليه المهاجرون والأنصار، فأعاد بهم الصلاة وجهر بها»[١].

قالوا: فإنكار المهاجرين والأنصار على معاوية ترك الجهر بالبسملة، وإعادته الصلاة بهم، والجهر بها، يدل على أن السنة الجهر.

وهذا الحديث ضعفه من حيث سنده ومتنه عدد من المحققين، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية[٢]، فقد ضعفه من وجوه ستة، ثم قال

---

(١) أخرجه ـ الدارقطني ـ في الصلاة ـ وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم والجهر بها، حديث ٣٣، وقال عن رجاله «كلهم ثقات»، والشافعي، في «الأم» ١ :٩٣ـ٩٤. والحاكم ١ :٢٣٢. وقال «صحيح على شرط مسلم». قال الخطيب فيما نقله الزيلعي في «نصب الراية١ :٣٥٣:» هو أجود ما يعتمد عليه في هذا الباب». وانظر «سنن البيهقي» ٢ :٤٩، «الاستذكار» ٢/ ١٨٠.
وقد ضعف هذا الحديث جمع من أهل العلم منهم شيخ الإسلام ابن تيمية، والزيلعي، والزبيدي، وغيرهم ـ كما هو مذكور بعاليه.

(٢) في «مجموع الفتاوى» ٢٢ :٤٣٠ـ٤٣٢.

بعدها: «فهذه الوجوه وأمثالها، إذا تدبرها العالم، قطع بأن حديث معاوية إما باطل لا حقيقة له، وإما مغيّر عن وجهه، وأن الذي حدث به بلغه من وجه ليس بصحيح، فحصلت الآفة من انقطاع إسناده. وقيل: هذا الحديث لو كان تقوم به حجه، لكان شاذاً، لأنه خلاف ما رواه الناس الثقات الأثبات عن أنس وعن أهل المدينة وأهل الشام، ومن شرط الحديث الثابت ألا يكون شاذاً، ولا معللاً، وهذا شاذ معلل، وإن لم يكن من سوء حفظ بعض رواته...»

كما ضعفه الزيلعي[1] والزبيدي[2] من حيث سنده ومتنه من وجوه عدة، وذكرا كلام الأئمة في تضعيفه.

٤ـ ما رواه أنس بن مالك أنه سُئل عن قراءة النبي ـ ﷺ ـ فقال: : «**كانت مدا يمد (بسم الله)، ويمد بـ(الرحمن)، ويمد بـ(الرحيم)**». رواه البخاري[3].

٥ـ ما روته أم سلمة، قالت: «**كان النبي ـ ﷺ ـ يقطع قراءته تقطيعاً** ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾... الحديث» رواه أبو داود وغيره[4].

---

(١) في «نصب الراية» ١: ٣٥٣ـ٣٥٥.

(٢) انظر «الرد على من أبي الحق» ص٤٣.

(٣) سبق تخريج هذا الحديث في ذكر أدلة من قال: البسملة آية من الفاتحة في المبحث الثالث، من هذا الفصل.

(٤) سبق تخريج هذا الحديث في ذكر أدلة من قال: البسملة آية من الفاتحة في المبحث الثالث، من هذا الفصل.

قالوا: فهذان الحديثان يدلان على أنه ـ ﷺ ـ كان يجهر بالبسملة.

والصحيح أنه لا حجة في هذين الحديثين، لأنه ليس فيهما ما يدل صراحه على أنه ـ ﷺ ـ كان يفعل ذلك في الصلاة[١].

٦ـ ما رواه المعتمر بن سليمان عن أبيه عن أنس قال: «**كان رسول الله ـ ﷺ ـ يجهر بالقراءة ببسم الله الرحمن الرحيم**»[٢].

وهذا الحديث ـ وإن صححه الحاكم ـ ففيه نظر، لأنه يعارض ماثبت في الصحيحين وغيرهما عن أنس وغيره، من عدم جهر الرسول ـ ﷺ ـ، وخلفائه بها ـ كما سيأتي في أدلة القول التالي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٣]: «يعلم أولا أن تصحيح الحاكم وحده وتوثيقه وحده لا يوثق به فيما دون هذا، فكيف في مثل هذا الموضع الذي يعارض فيه بتوثيق الحاكم، وقد اتفق أهل العلم بالصحيح على خلافه، ومن له أدنى خبرة في الحديث وأهله، لا يعارض بتوثيق الحاكم، ما قد ثبت في الصحيح خلافه..».

إلى غير ذلك من الأحاديث التي استدلوا بها[٤] وهي بين ضعيف، أو موضوع، أو مما لا حجة لهم فيه، كما بين ذلك جمع من

---

(١) انظر «أحكام القرآن» للجصاص ١: ١٦.

(٢) أخرجه الدارقطني في الصلاة ـ وجوب قراءة «بسم الله الرحمن الرحيم» ـ حديث ٢٦، والحاكم ١: ٢٣٤ وقال: «رواة هذا الحديث كلهم عن آخرهم ثقات» ووافقه الذهبي.

(٣) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٢٦ـ٤٣٠. وانظر «الفتاوى الكبرى» «لابن تيمية أيضاً» ١: ٩٧ـ١٠٠. «الرد على من أبى الحق» ١: ٣٩ـ٤١.

(٤) انظر «الاستذكار» ٢: ١٧٧.

المحققين.

قال الدارقطني[١]: «كل ما رُوِيَ عن النبي ـ ﷺ ـ في الجهر فليس بصحيح، وأما عن الصحابة فمنه صحيح ومنه ضعيف».

وقال ابن الجوزي في «التحقيق»[٢] بعد أن ذكر الأحاديث التي استدل بها الشافعية على الجهر وبين ضعفها: «وهذه الأحاديث في الجملة لايحسن بمن له علم بالنقل أن يعارض بها الأحاديث الصحاح... ويكفي في هجرانها إعراض المصنفين للمسانيد والسنن عن جمهورها» ـ وبعد أن ذكر قول الدارقطني السابق قال: «ثم إنا بعد ذلك نحمل أحاديثهم علي أحد أمرين: إما أن يكون جهر بها للتعليم، كما رُوِيَ أنه كان يصلي بهم الظهر فيسمعهم الآية والآيتين، بعد الفاتحة أحياناً...».

وقال ابن قدامة[٣]: «وسائر أخبار الجهر ضعيفة فإن رواتها هم رواة الإخفاء، وإسناد الإخفاء صحيح ثابت بغير خلاف فيه، فدل على ضعف رواية الجهر».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[٤]: «وقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أنه ليس في الجهر بها حديث صريح، ولم يرو أهل السنن

---

(١) انظر «التحقيق» لابن الجوزي ١:٣١٣.
(٢) ١:٣١٢، وانظر ١:٣٠١ـ٣١٤. وانظر «التنقيح» ٢:٧٩٨ـ٨٣١، «الرد على من أبي الحق» ص٦٧ـ٧٢.
(٣) في «المغني» ٢:١٥١.
(٤) في «الفتاوى» ٢٢:٤١٥.

المشهورة: كأبي داود والترمذي والنسائي شيئا من ذلك، وإنما يوجد الجهر بها صريحاً في أحاديث موضوعة يرويها الثعلبي والماوردي وأمثالهما في التفسير، أو في بعض كتب الفقهاء، الذين لايميزون بين الموضوع وغيره، بل يحتجون بمثل حديث الحميراء».

وقال ـ أيضاً[١] ـ بعدما ذكر مذهب القائلين بالجهر بالبسملة: «واعتمدوا على آثار منقولة بعضها عن الصحابة، وبعضها عن النبي ـ ﷺ ـ، فأما المأثور عن الصحابة كابن الزبير ونحوه، ففيه صحيح، وفيه ضعيف، وأما المأثور عن النبي ـ ﷺ ـ فهو ضعيف، أو موضوع، كما ذكر ذلك حفاظ الحديث، كالدارقطني وغيره. . .».

وقال ـ أيضاً[٢] ـ: «وإنما كثر الكذب في أحاديث الجهر، لأن الشيعة ترى الجهر، وهم أكذب الطوائف فوضعوا في ذلك أحاديث لبسوا بها على الناس دينهم، ولهذا يوجد في كلام أئمة السنة من الكوفيين كسفيان الثوري أنهم يذكرون من السنة المسح على الخفين، وترك الجهر بالبسملة، كما يذكرون تقديم أبي بكر وعمر، ونحو ذلك، لأن هذا من شعار الرافضة، ولهذا ذهب أبو علي بن أبي هريرة أحد الأئمة من أصحاب الشافعي إلى ترك الجهر بها، قال: لأن الجهر بها صار من شعار المخالفين».

---

(١) في «الفتاوى» ٢٢: ٤٤١.
(٢) في «الفتاوى» ٢٢: ٤٢٣.

وقال ابن القيم[١] مشيرا إلى أحاديث الجهر: «فصحيح تلك الأحاديث غير صريح وصريحها غير صحيح».

وقد أطال الزيلعي في «نصب الراية»[٢] في ذكر كلام أهل العلم في تضعيف الأحاديث والآثار الواردة في الجهر بالبسملة، ثم قال:[٣]

«وبالجملة هذه الأحاديث ليس فيها صريح، ولا صحيح، بل فيها عدمهما، أوعدم أحدهما. وكيف تكون صحيحة، وليست مخرجة في شيء من الصحيح، ولا المسانيد، ولا السنن المشهورة، وفي روايتها الكذابون والضعفاء والمجاهيل...».

كما ضعف أحاديث الجهر الزبيدي[٤].

القول الثاني:

أنه يسن الإسرار بالبسملة في الصلاة مطلقا، وهو قول جمهور أهل العلم من المحدثين والفقهاء وغيرهم[٥].

وهو الثابت عن الخلفاء أبي بكر وعمر وعثمان[٦]، وعلي[٧]،

---

(١) في «زاد المعاد» ١: ٢٠٦.
(٢) ١: ٣٢٥ـ٣٦٣.
(٣) ١: ٣٥٥ـ٣٥٦.
(٤) انظر «الرد على من أبى الحق» ص١٨ـ٥٢.
(٥) انظر «سنن الترمذي» ٢: ١٤، «الاعتبار» للحازمي ص٨١، «المغني» ٢: ١٤٩.
(٦) بدليل حديث أنس الآتي قريبا. وانظر «سنن الترمذي» ٢: ١٤، «أحكام القرآن» للجصاص ١: ١٧، «الاستذكار» ٢: ١٧٧، «الاعتبار» للحازمي ص٨١، «زاد المسير» ١: ٧، «المغني» ٢: ١٤٩.
(٧) أخرجه عن علي بن أبي طالب ـ عبدالرزاق ـ في الصلاة ـ الأثر ٢٦٠١، وابن أبي شيبة =

وعن أنس[١]، وعائشة[٢] ورُوِيَ عن ابن عباس[٣]، وبه قال ابن مسعود، وعبدالله بن الزبير، وعمّار بن ياسر وعروة بن الزبير، وأبو وائل، ومحمد بن سيرين، والحكم بن عتيبة، وإبراهيم النخعي[٤]، والحسن وقتادة وعمر بن عبدالعزيز[٥]، وعكرمة[٦]، والأوزاعي، وسفيان الثوري[٧]، وسعيد بن جبير والأعمش والشعبي[٨]، وأبو حنيفة وأصحابه[٩]، وأحمد بن حنبل[١٠] وعبد الله بن المبارك، وإسحاق بن راهــويــه[١١]، وأبــو عبيــد[١٢]، وجمــاعــة مــن أصحــاب

= ١:٤١١، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١:٢٠٤، وابن عبدالبر في «الاستذكار» ٢:١٧٨.

(١) أخرجه عن أنس ابن أبي شيبة ١:٤٠١ وسيأتي ص١٤٩ ذكر روايته ذلك عن الرسول ـ ﷺ ـ وخلفائه.

(٢) سيأتي ذكر حديثها ضمن أدلة هذا القول الدليل رقم ٢.

(٣) أخرجه عن ابن عباس ـ عبدالرزاق الأثر ٢٦٠٥، وابن أبي شيبة ١:٤١١، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١:٢٠٤.

(٤) أخرجه عنهم جميعا ابن أبي شيبة ١:٤١٠ـ٤١١، وانظر «الاستذكار» ٢:١٧٩.

(٥) أخرجه عن الحسن وقتادة وعمر بن عبدالعزيز ـ عبدالرزاق الأثر ٢٦٠٤.

(٦) انظر «أحكام القرآن» للجصاص ١:١٥.

(٧) انظر «الاستذكار» ١:١٥٤، ١٧٦ـ١٧٧، «المغني» ٢:١٤٩، «الجامع لأحكام القرآن» ١:٩٦.

(٨) انظر «زاد المسير» ١:٨.

(٩) انظر «المبسوط» ١:١٥، «أحكام القرآن» للجصاص ١:٨، ٩، ١٥، «فتح القدير» لابن الهمام ١:٢٩١، «نصب الراية» ١:٣٢٨.

(١٠) انظر «مسائل الإمام أحمد» رواية النيسابوري ١:٥٢، ٥٣، ٥٥، «مسائل الإمام أحمد» رواية ابنه عبدالله ص٧٦ «زاد المسير» ١:٧، «المغني» ٢:١٤٩، «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٢٢:٣٥٣، ٤٢٤، ٤٤٢.

(١١) انظر «سنن الترمذي» ١:١٤، «المغني» ٢:١٤٩.

(١٢) انظر «أحكام القرآن» للقرطبي ١:٩٦.

الشافعي[١] وغيرهم كثير[٢].

واستدل أصحاب هذا القول بأحاديث صحيحة صريحة منها:

١ـ ما رواه أنس بن مالك عن النبي ـ ﷺ ـ وعن الخلفاء أبي بكر وعمر وعثمان ـ رضي الله عنهم ـ أنهم كانوا لايجهرون بـ«بسم الله الرحمن الرحيم».

وقدأخرجه الأئمة عن أنس، منهم البخاري ومسلم، وأصحاب السنن، وغيرهم بروايات وألفاظ متعددة فأخرجه البخاري[٣] عن أنس ابن مالك ـ بلفظ: «**أن النبي ـ ﷺ ـ وأبا بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ كانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين**».

وأخرجه مسلم عن أنس بلفظ: «**صليت خلف النبي ـ ﷺ ـ وأبي بكر، وعمر، وعثمان، فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين، لا يذكرون ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ في أول قراءة، ولا في آخرها**».

وفي لفظ آخر عند مسلم ـ أيضاً[٤] ـ «**صليت مع رسول الله ـ ﷺ ـ وأبي بكر، وعمر، وعثمان، فلم أسمع أحدا منهم، يقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾**».

---

(١) انظر «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٤٢.

(٢) انظر «الاستذكار» ١: ١٥٤، «الرد على من أبى الحق» ص٦٤ـ٦٦.

(٣) حديث ٧٨٢، والنسائي حديث ٨٦٧، والترمذي حديث ٢٤٦، وابن ماجه حديث ٤٩١ ـ كلهم بنحوه إلا أن عندهم «يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين».

(٤) في الصلاة ـ حجة من قال: لا يجهر بالبسملة ـ حديث ٣٩٩.

وأخرجه النسائي[١] عن أنس بلفظ: «**صلى بنا رسول الله ـ ﷺ ـ فلم يسمعنا قراءة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، وصلى بنا أبو بكر وعمر، فلم نسمعها منهما**».

وفي لفظ آخر للنسائي[٢] عن أنس قال: «**صليت خلف رسول الله ـ ﷺ ـ وأبي بكر، وعمر، وعثمان ـ رضي الله عنهم ـ فلم أسمع أحدا منهم يجهر بـ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾**». وأخرجه بهذا اللفظ الدارقطني[٣]، والطحاوي في «شرح معاني الآثار»[٤]، وابن خزيمة[٥] أيضا بهذا اللفظ، إلا أنه قال: «فلم أسمع أحدا منهم يقرأ: **﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾**».

وأخرجه الإمام أحمد[٦] بلفظ: «صليت مع رسول الله ـ ﷺ ـ ومع أبي بكر وعمر فلم يجهروا بـ **﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾**»، وأخرجه بلفظه ابن خزيمة[٧]، وفي رواية له[٨] وللدارقطني[٩] بهذا اللفظ، وزادا

---

(١) حديث ٨٧٠.
(٢) حديث ٨٧١.
(٣) في «سننه كتاب الصلاة ـ اختلاف الروايات في الجهر بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» حديث (١).
(٤) ١: ٢٠٢.
(٥) حديث ٤٩٤.
(٦) المسند ٣: ٢٦٤.
(٧) حديث ٤٩٧.
(٨) حديث ٤٩٥.
(٩) في الباب السابق حديث ٣، ٤، ٥.

«**وعثمان**». وفي لفظ لابن خزيمة[١]: «**أن النبي - ﷺ - لم يجهر بـ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، ولا أبو بكر، ولا عمر، ولا عثمان**» وفي لفظ له - أيضاً[٢] -: «**أن رسول الله - ﷺ - كان يسر بـ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾** في الصلاة وأبو بكر وعمر». وفي لفظ للطحاوي[٣]: «**لم يكن رسول الله - ﷺ -، ولا أبو بكر، ولا عمر - رضي الله عنهما - يجهرون بـ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾**».

فحديث أنس هذا برواياته كلها، يدل على أن الثابت من فعل الرسول - ﷺ - وخلفائه الاسرار بالبسملة، وعدم الجهر بها[٤].

قال الدارمي في «سننه»[٥] مُبَوِّباً: «باب كراهية الجهر بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ثم أخرج حديث أنس بلفظ «**أن النبي ﷺ - وأبا بكر وعمر وعثمان، كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين**». قال الدرامي: وبهذا نقول ولا أرى الجهر بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾.

وقال ابن خزيمة في «صحيحه»[٦] مبوباً: باب ذكر الدليل على أن أنسا إنما أراد بقوله: «لم أسمع أحداً منهم يقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾: أي لم أسمع أحداً منهم يقرأ جهراً ﴿بسم الله الرحمن

---

(١) حديث ٤٩٦.
(٢) حديث ٤٩٨.
(٣) في «شرح معاني الآثار» ١ : ٢٠٣، وانظر «نصب الراية» ١ : ٣٢٦-٣٢٧.
(٤) انظر «التحقيق» ١ : ٢٩٨، «المغني» ٢ : ١٥٠.
(٥) ١ : ٢٨٣.
(٦) ١ : ٢٤٩.

الرحيم﴾، وأنهم كانوا يسرون بـ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ في الصلاة».

وقال الطحاوي في «شرح معاني الآثار»[1] بعد أن ذكر روايات حديث أنس: «ففي ذلك دليل على أنهم يقولونها من غير طريق الجهر، ولولا ذلك لما كان لذكرهم نفي الجهر معنى، فثبت بتصحيح هذه الآثار ترك الجهر بـ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[2]: «أما حديث أنس في نفي الجهر، فهو حديث صريح لا يحتمل هذا التأويل[3]، فإنه قد رواه مسلم في صحيحه، فقال فيه: «**صليت خلف النبي - ﷺ - وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين، لا يذكرون ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ في أول قراءة، ولا في آخرها**» وهذا النفي لا يجوز إلا مع العلم بذلك، لا يجوز بمجرد كونه لم يسمع مع إمكان الجهر بلا سماع.

واللفظ الآخر في صحيح مسلم «صليت خلف النبي - ﷺ -، وأبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يجهر، أو قال يصلي بـ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فهذا نفى فيه السماع، ولو لم يرو إلا هذا اللفظ

---

(1) ١: ٢٠٣، ٢٠٤.

(2) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤١٠: ٤١٣.

(3) وهو حمل قول أنس «فلم أسمع أحداً منهم يذكر بسم الله الرحمن الرحيم» على عدم السماع لا أنهم لا يجهرون بها.

لم يجز تأويله بأن النبي ـ ﷺ ـ كان يقرأ جهراً، ولا يسمع أنس، لوجوه. . . ـ وبعد أن ذكر ابن تيمية هذه الوجوه ـ قال: فتبين أن هذا تحريف لا تأويل، ولو لم يرو إلا هذا اللفظ، فكيف والآخر صريح في نفي الذكر بها، وهو يفضل هذه الرواية الأخرى، وكلا الروايتين ينفي تأويل من تأول قوله: «**يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين**» أنه أراد السورة، فإن قوله: «**يفتتحون بالحمد لله رب العالمين، لا يذكرون (بسم الله الرحمن الرحيم) في أول قراءة، ولا في آخرها**» صريح أنه في قصد الافتتاح بالآية، لا بسورة الفاتحة، التي أولها ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ إذ لو كان مقصوده ذلك لتناقض حديثاه».

وقال ـ أيضاً[١] ـ: «وأما اللفظ الآخر «لايذكرون» فهو إنما ينفي ما يمكن العلم بانتفائه، وذلك موجود في الجهر، فإنه إذا لم يسمع مع القرب، علم أنهم لم يجهروا. . . يؤيد هذا حديث عبدالله بن مغفل. . .[٢]».

---

(١) ٢٢: ٤١٤، ٤١٥، وانظر «الفتاوى الكبرى» ١: ٨٨.

(٢) حديث عبدالله بن مغفل رواه عنه ابنه يزيد، قال: «سمعني أبي، وأنا في الصلاة أقول: «بسم الله الرحمن الرحيم» فقال: أي بني، محدث، إياك والحدث ـ قال: ولم أر أحداً من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ كان أبغض إليه الحدث في الإسلام، يعني منه ـ قال: وقد صليت مع النبي ـ ﷺ ـ ومع أبي بكر ومع عمر، ومع عثمان، فلم أسمع أحداً منهم يقولها، فلا تقلها، إذا أنت صليت فقل: «الحمد لله رب العالمين»».
وهذا الحديث أخرجه ـ النسائي ـ في الافتتاح ـ باب ترك الجهر بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ حديث ٩٠٨، والترمذي ـ في الصلاة ـ ترك الجهر بـ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ حديث ٢٤٤، وابن ماجه في الصلاة ـ افتتاح القراءة ـ حديث ٨١٥، وأحمد ٤: ٨٥. وهذا الحديث ضعيف عند أكثر أهل العلم. فقد ضعفه ابن عبدالبر في =

ويؤيد قول ابن تيمية ما أخرجه الدارقطني[١] عن أبي مسلمة سعيد ابن يزيد قال: سألت أنس بن مالك، أكان رسول الله ـ ﷺ ـ يستفتح بالحمد لله رب العالمين، أو بـ(بسم الله الرحمن الرحيم)؟ فقال: إنك تسألني عن شيء ما أحفظه، وما سألني عنه أحد قبلك. قلت: أكان رسول الله ـ ﷺ ـ يصلي في النعلين؟ قال: نعم».

وقال ابن حجر في «بلوغ المرام»[٢] بعد أن ذكر حديث أنس، من رواية البخاري ومسلم، وبعد أن أشار إلى أن في رواية أحمد والنسائي وابن خزيمة «لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم»، وإلى الرواية الأخرى لابن خزيمة: «كانوا يسرون» قال: «وعلى هذا يحمل النفي في رواية مسلم». يعني قوله «لايذكرون اسم الله في أول قراءة، ولا في آخرها».

٢ـ حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كان رسول الله ـ ﷺ ـ

= «الاستذكار» ٢: ١٧٥ فقال: «حديث ضعيف، لأنه لم يعرف ابن عبدالله بن مغفل». وقال الزيلعي في «نصب الراية» ١: ٣٣٢ـ٣٣٣: «قال النووي في الخلاصة: وقد ضعف الحفاظ هذا الحديث، وأنكروا على الترمذي تحسينه، كابن خزيمة، وابن عبدالبر والخطيب، وقالوا: إن مداره على ابن عبدالله بن مغفل، وهو مجهول». وضعفه الألباني في «ضعيف سنن النسائي» و «ضعيف سنن الترمذي»، و«ضعيف سنن ابن ماجه» في المواضع السابقة. ولو صح هذا الحديث فهو محمول ـ كما أشار ابن تيمية ـ على ما حمل عليه حديث أنس وهو ترك الجهر. وانظر «الرد على من أبي الحق» ص٥٩ـ٦٣.

(١) في الصلاة ـ اختلاف الروايات في الجهر بـ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ـ حديث (١٠) وإسناده صحيح.

(٢) ص٥٦، حديث ٢٩٧ـ٣٠٠.

يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين..» رواه مسلم[١].

٣ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: **«كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذ نهض إلى الركعة الثانية استفتح القراءة ولم يسكت»**. رواه مسلم[٢].

ووجه الدلالة من هذين الحديثين ـ كما تقدم في حديث أنس ـ هو أنهم يسرون بقراءتها، ولا يجهرون بها، لا أنهم يتركونها.

٤ـ حديث أبي هريرة عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: قال الله تعالى: **«قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد «الحمد لله رب العالمين» قال الله: حمدني عبدي... الحديث»**. رواه مسلم[٣].

قال ابن قدامة[٤]: «وهذا يدل على أنه لم يذكر ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ولم يجهر بها».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[٥] ـ بعد أن أشار إلى حديث أبي

---

(١) في الصلاة ـ باب ما يجمع صفة الصلاة ـ حديث ٤٩٨، وأبو داود ـ في الصلاة ـ باب من لم ير الجهر بـ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ حديث ٧٨٣.
(٢) في المساجد ومواضع الصلاة ـ حديث ٥٩٩.
(٣) سبق تخريجه في ذكر قول من قال: إن البسملة آية مستقلة من القرآن، لا آية من الفاتحة، ولا من كل سورة في المبحث الثالث، من هذا الفصل.
(٤) في «المغني» ٢: ١٥٠.
(٥) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٢٢ـ٤٢٣.

هريرة هذا: «فيه دليل على أنها ليست من القراءة الواجبة، ولا من القراءة المقسومة»، فهذا يدل على أن البسملة ليست من السورة، فلا يجهر بها».

إلى غير ذلك من الأدلة الصحيحة الصريحة على أن السنة الإسرار بالبسملة وقد اختار هذا أكثر المحققين:

قال الجصاص[(١)] «والإخفاء أولى من وجهين: **أحدهما** ظهور عمل السلف بالإخفاء دون الجهر، وقول إبراهيم الجهر بها بدعة. **والوجه الآخر**: أن الجهر بها لو كان ثابتاً لورد النقل به مستفيضاً متواتراً، كوروده في سائر القراءة، فلما لم يرد النقل به من جهة التواتر، علمنا أنه غير ثابت إذ الحاجة إلى معرفة مسنون الجهر بها، كهي إلى معرفة الجهر في سائر فاتحة الكتاب».

وقال القرطبي[(٢)]: «وهذا قول حسن، وعليه تتفق الآثار عن أنس، ولا تتضاد ويخرج به من الخلاف في قراءة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[(٣)]: «لم يثبت عن النبي ـ ﷺ ـ أنه كان يجهر بها، وليس في الصحاح، ولا السنن حديث صحيح صريح بالجهر، والأحاديث الصريحة بالجهر كلها ضعيفة، بل موضوعة،

---

(١) في «أحكام القرآن» ١: ١٧.
(٢) في «الجامع لأحكام القرآن» ١: ٩٦.
(٣) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٢٧٥-٢٧٦.

ولهذا لما صنف الدارقطني في ذلك مصنفاً قيل له: هل في ذلك شيء صحيح؟ فقال: أما عن النبي - ﷺ - فلا، وأما عن الصحابة فمنه صحيح، ومنه ضعيف. ولو كان النبي - ﷺ - يجهر بها دائماً، لكان الصحابة ينقلون ذلك، ولكان الخلفاء يعلمون ذلك، ولما كان الناس يحتاجون أن يسألوا أنس بن مالك، بعد انقضاء عصر الخلفاء، ولما كان الخلفاء الراشدون، ثم خلفاء بني أمية، وبني العباس كلهم متفقين على ترك الجهر، ولما كان أهل المدينة - وهم أعلم أهل المدائن بسنته - ينكرون قراءتها بالكلية سراً وجهراً.

وقال - أيضاً[(١)] -: «فمن المعلوم أن الجهر بها مما تتوافر الهمم والدواعي على نقله، فلو كان النبي - ﷺ - يجهر بها كالجهر بسائر الفاتحة، لم يكن في العادة، ولا في الشرع ترك نقل ذلك، بل لو انفرد بنقل مثل هذا الواحد والاثنان لقطع بكذبهما، إذ التواطؤ فيما تمنع العادة والشرع كتمانه كالتواطؤ على الكذب فيه».

القول الثالث:

التخيير بين الجهر والإسرار، وهذا القول يُروى عن الحكم بن عتيبة، وإسحاق بن راهويه[(٢)]، وابن أبي ليلى[(٣)]، وهو اختيار ابن حزم[(٤)].

---

(١) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤١٥، وانظر: ٤٠٨، ٤١٧-٤٢٠.
(٢) انظر «القطع الائتناف» ١: ١٠٦.
(٣) انظر «أحكام القرآن» للجصاص ١: ١٥، «الاستذكار» ١: ١٥٤.
(٤) انظر «المحلى» ١: ٢٥١، «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٣٦.

والذين رُوِيَ عنهم هذا القول، كأنهم أرادوا الجمع بين أدلة الجهر، وأدلة الإسرار علماً أن أدلة الجهر لا تكافىء أدلة الإسرار، بل وليس فيها دليل واحد صحيح النقل صريح الدلالة على الجهر ـ كما تقدم ذكر كلام الأئمة في ذلك.

فالقول بالتخيير للمصلي بين الجهر والإسرار بالبسملة ليس بصحيح، وفرق بين هذا، وبين أن يقال: يجوز الجهر بها لحاجة كتعليم ونحوه، فهذا لا بأس به، أو أن يقال: تصح صلاة من أسر بها ومن جهر، فهذا ـ أيضاً ـ صحيح. قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1]: «فإن الجهر بها والمخافتة سنة، فلو جهر بها المخافت صحت صلاته بلا ريب».

وقال الحافظ ابن كثير[2]: «أجمعوا على صحة صلاة من جهر بالبسملة، ومن أسر بها، ولله الحمد والمنة».

أمّا أن يكون المصلي مخيراً بين هذا وهذا على حد سواء فليس بصحيح فالجهر إنما يجوز أحياناً لعارض، كتعليم المأمومين ونحو ذلك.

كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية[3] أنه يستحب الجهر بها لمصلحة

---

(١) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٢٢، وانظر «صحيح ابن خزيمة» ١: ٢٥١، «القطع والائتناف» ١: ١٠٦.

(٢) في «تفسيره» ١: ٣٦.

(٣) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٠٧، وانظر ٤٢٤.

راجحة، وذكر عن أحمد أنه يستحب الجهر بها في المدينة، لأنهم ينكرون على من لم يجهر بها. ثم ذكر ابن تيمية ـ أيضاً ـ أنه يجوز الجهر بها لبيان أن قراءتها سنة، ثم قال: «ولهذا نقل عن أكثر من روي عنه الجهر بها المخافتة. . .».

وقال ـ أيضاً[(١)] ـ: «وكون الجهر بها لا يشرع بحال ـ مع أنه قد ثبت عن غير واحد من الصحابة ـ نسبة للصحابة إلى فعل المكروه، وإقراره مع أن الجهر في صلاة المخافتة يشرع لعارض».

وقال ـ ايضاً[(٢)] ـ: «ومع هذا فالصواب أن ما لا يجهر به، قد يشرع الجهر به لمصلحة أحياناً، لمثل تعليم المأمومين، ويسوغ للمصلين أن يجهروا بالكلمات اليسيرة أحياناً[(٣)]، ويسوغ ـ أيضاً ـ أن يترك الإنسان الأفضل لتأليف القلوب، واجتماع الكلمة خوفاً من التنفير عما يصلح، كما ترك النبي ـ ﷺ ـ بناء البيت على قواعد إبراهيم، لكون قريش كانوا حديثي عهد بالجاهلية، وخشي تنفيرهم بذلك[(٤)]، ورأى أن مصلحة

---

(١) في «المصدر السابق» ٢٢: ٤٠٨.

(٢) في «المصدر السابق» ٢٢: ٤٣٦ وانظر ٢٧٤، ٢٧٥.

(٣) رَوى النيسابوري في «مسائل الإمام أحمد» ١: ٥٣: «وسئل عن الرجل يصلي بالقوم، فيجهر بـ﴿بسم الله الرحمن الرحمن﴾، أيصلى خلفه؟ قال: أرجو أن لا يكون به بأس، إذا لم يكن يجهر به شديدا، قد فعله الصالحون، لايجهر به شديدا».

(٤) أخرج البخاري ـ في كتاب الأنبياء ـ حديث ٣٣٦٨، وفي التفسير ـ باب (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت) حديث ٤٤٨٤، ومسلم في الحج ـ باب نقض الكعبة وبنائها ـ حديث ١٣٣٣ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ زوج النبي ـ ﷺ ـ أن النبي ﷺ قال: «ألم تَرَيْ أن قومك لما بنوا الكعبة، اقتصروا على قواعد إبراهيم، فقلت: يارسول الله، ألا تردها على قواعد إبراهيم؟ فقال: لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت».

الاجتماع والائتلاف مقدمة على مصلحة البناء على قواعد إبراهيم».

وقال ابن القيم في «زاد المعاد»[1]: «وكان ـ يعني النبي ـ ﷺ ـ يجهر بـ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ تارة، ويخفيها أكثر مما يجهر بها، ولا ريب أنه لم يكن يجهر بها دائماً، في كل يوم وليلة، خمس مرات، أبداً حضراً وسفراً، ويخفى ذلك على خلفائه الراشدين، وعلى جمهور أصحابه، وأهل بلده، في الأعصار الفاضلة، هذا من أمحل المحال، حتى يحتاج إلى التشبث فيه بألفاظ مجملة، وأحاديث واهية فصحيح تلك الأحاديث غير صريح، وصريحها غير صحيح».

* * *

(١) ١: ٢٠٦.

المبحث الثامن

المواضع التي تشرع فيها البسملة

تشرع البسملة وهي قول: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ في مواضع منها مايلي:

١ـ عند قراءة القرآن، وبخاصة عند الابتداء بأوائل السور سوى سورة براءة، لأنها آية تنزل مع كل سورة سوى براءة، ولهذا أثبتت في المصاحف مع كل سورة نزلت معها، وإن كانت ليست آية من السور مطلقاً.

٢ـ في بداية الكتب والرسائل والخطب والمسائل العلمية، تأسياً بكتاب الله ـ تعالى، وبسنة رسول الله ﷺ فقد كان يبتدىء بها في كتبه ﷺ للملوك كما في كتابه إلى هرقل فقد ابتدأه ﷺ بقوله: «**بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم. . .**»[١]. **وكذا كان الأنبياء قبله كما جاء في كتاب سليمان لبلقيس**: ﴿قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[٢]. **وقد درج على هذا سلف الأمة وخلفها في كتبهم ورسائلهم وخطبهم ومقالاتهم**.

وقد اختلفوا في حكم كتابتها مع الشعر، فذهب بعضهم إلى كراهة

---

(١) أخرجه البخاري في بدء الوحي ـ الحديث ٧، ومسلم في الجهاد ـ باب كتب النبي ـ ﷺ ـ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ـ الحديث ١٧٧٣.

(٢) سورة النمل، والآية: ٢٩ـ٣٠.

ذلك والمنع منه، وأجازه آخرون[١]، والذي يظهر - والله أعلم - أن الشعر لايختلف عن النثر من حيث جواز كتابتها مع المحمود منهما، وعدم جواز ذلك مع المذموم منهما، لأن في ذلك استخفافا بالله، وأسمائه وصفاته.

ب - وتشرع التسمية وهي قول: «بسم الله» في مواضع كثيرة منها مايلي:

١- عند الوضوء - فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: **«لا صلاة لمن لا وضوء له، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه»**[٢].

---

(١) انظر «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي ١: ٩٧.

(٢) أخرجه أبو داود - في الطهارة - باب في التسمية في الوضوء - حديث ١٠١، وابن ماجه - في الطهارة - ماجاء في التسمية في الوضوء - حديث ٣٩٩، وأحمد ٢: ٤١٨.
وطرق هذا الحديث كلها ضعيفة. لكن له شواهد من حديث أبي سعيد الخدري، وسعيد بن زيد، وأنس بن مالك وغيرهم. فقد أخرج: ابن ماجه حديث ٣٩٧، وأحمد ٣: ٤١، عن أبي سعيد أن النبي - ﷺ - قال: «لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه».
وأخرج الترمذي - في الطهارة - حديث ٢٥، ٢٦، وابن ماجه في الطهارة أيضا، حديث ٣٩٨، وأحمد ٤: ٧٠، ٥: ٣٨٢، ٦: ٣٨٢، والدارقطني - في الطهارة - حديث ٥-١٠ عن سعيد بن زيد نحوه.
وأخرج النسائي في الطهارة - حديث ٧٦، والدارقطني - في الطهارة حديث (١) عن أنس بن مالك قال: «طلب بعض أصحاب النبي - ﷺ - وضوءً، فقال رسول الله - ﷺ - هل مع أحد منكم ماء؟ فوضع يده في الماء، ويقول: بسم الله...» الحديث. وقد ضعف جمع من أهل العلم هذه الأحاديث كلها. قال الإمام أحمد: «ليس فيه شيء يثبت، وقال: لا أعلم في التسمية حديثاً صحيحاً». وقال البزار: «كل ما رُوِيَ في هذا الباب فليس بقوى». وقد قواه بعض أهل العلم، فقال أبو بكر بن أبي شيبة: «ثبت لنا أن النبي - ﷺ - قاله». وقال ابن حجر: «والظاهر أن مجموع الأحاديث يحدث منها =

٢ـ عند الدخول في المسجد والخروج منه، فعن فاطمة بنت رسول الله ـ ﷺ ـ قالت: كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا دخل المسجد يقول: «**بسم الله، والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج قال: بسم الله والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك**»[١].

٣ـ عند الركوب قال الله ـ تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾[٢].

وجاء في حديث جابر الطويل في قصة بعيره: أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال له: «**اركب باسم الله**» رواه مسلم[٣].

= قوة تدل على أن له أصلا».
وأكثر أهل العلم على أن هذا الحديث، بمجموع طرقه وشواهده، إما حسن، وإما صحيح: منهم ابن الصلاح، والعراقي، وابن القيم، وابن كثير والسيوطي والصنعاني والشوكاني، والألباني من المعاصرين. انظر: «تفسير ابن كثير» ١:٣٨، «سبل السلام» ١:٧٠ـ٧١، «نيل الأوطار» ١:١٥٩ـ١٦١، «إرواء الغليل» حديث ٨١، «صحيح سنن أبي داود» حديث ٩٠، ٩١ وقد استدل بهذه الأحاديث على وجوب التسمية في الوضوء بعض أهل العلم منهم الإمام أحمد في رواية له اختارها أبو يعلى وجمع من الحنابلة وإسحاق والحسن وداود وحملوا قوله في الحديث «لا وضوء» على نفي الحقيقة الشرعية والصحة والإجزاء وجمهور العلماء على أن التسمية في الوضوء سنة منهم أبو حنيفة ومالك والشافعي ورواية لأحمد اختارها بعض أصحابه كالخرقي وابن قدامة وابن تيمية وحملوا الأحاديث المذكورة على القول بصحتها ـ على نفي الكمال أو على الاستحباب.

(١) أخرجه النسائي في الصلاة ـ الدعاء عند دخول المسجد، حديث ٧٧١ بهذا اللفظ، وصححه الألباني. والحديث ضعيف عند أكثر أهل العلم.

(٢) سورة هود، الآية: ٤١.

(٣) في المساقاة ـ باب بيع البعير، واستثناء ركوبه ـ حديث ٧١٥.

وفي حديث علي ـ رضي الله عنه ـ «وأُتيَ بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب، قال: «**بسم الله..**» الحديث، ثم قال في آخره: «**رأيت النبي ـ ﷺ ـ فعل كما فعلت**» رواه أبو داود[١].

٤ـ عند الذبح[٢]، وعند الصيد لقوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾[٣]، وقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾[٤]، وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾[٥]،

---

(١) في الجهاد ـ ما يقول الرجل إذا ركب ـ حديث ٢٦٠٢، وصححه الألباني.

(٢) اختلف العلماء في حكم التسمية عند الذبح فذهب بعض أهل العلم إلى أن التسمية شرط لحل الذبيحة وهو رواية عن الإمام أحمد اختارها أبو الخطاب وشيخ الاسلام ابن تيمية لقوله ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ الآية ١٢١ الأنعام وغيره من الأدلة وذهب الجمهور منهم أبو حنيفة. ومالك وأحمد في المشهور عنهما إلى أنها واجبة مع الذكر للآية السابقة ولغيرها من الأدلة: وتسقط عند النسيان لقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال الله قد فعلت رواه مسلم وللحديث: «إن الله تجاوز لأمتي الخطأ والنسيان» رواه ابن ماجه. وذهب الشافعي وبعض أهل العلم إلى أنها سنة واستدلوا بأحاديث ضعيفة. والأظهر والله أعلم القول الأول وهو الذي تؤيده الأدلة أما أحاديث العفو عن النسيان فليس فيها ما يدل على أن ذبيحة الناسي حلال بل غاية ما فيها أنه غير مؤاخذ وهذا صحيح. كما اختلفوا في حكم التسمية عند الصيد فذهب الإمام أحمد في المشهور عنه وأبو ثور وأهل الظاهر إلى أن التسمية شرط لحل الصيد وهو اختيار شيخ الاسلام ابن تيمية لقوله تعالى ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ سورة المائدة الآية: ٤ وغيرها من الأدلة وذهب الجمهور ومنهم أبو حنيفة وإسحاق ومالك في المشهور عنه ورواية عن أحمد إلى أنها واجبة عند الذكر وتسقط عند النسيان للأدلة السابقة في التسمية عند الذبح وقيل إنها سنة وهو قول الشافعي ورواية عن مالك وأحمد رحمهم الله والراجح ـ والله أعلم ـ القول الأول.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١١٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١١٩.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

وقوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾[١].

وعن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**إذا أرسلت كلبك المعلم، وذكرت اسم الله عليه، فكل مما أمسك عليك**» الحديث متفق عليه[٢].

وأخرجا نحوه من حديث أبي ثعلبة، وفيه زيادة «**وما صدت بقوسك، فذكرت اسم الله فكل**»[٣].

٥ـ عند الأكل لحديث عمرو بن سلمة ـ رضي الله عنه ـ قال: «كنت غلاماً في حجر النبي ـ ﷺ ـ وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال: «**ياغلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**» متفق عليه[٤].

وعن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ قال قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**إن الشيطان يستحل الطعام، أن لا يذكر اسم الله عليه**» رواه مسلم[٥].

وعن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع النبي ـ ﷺ ـ يقول: «**إذ دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله، وعند طعامه، قال**

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤.

(٢) أخرجه البخاري ـ في الذبائح ـ باب التسمية على الصيد، والأبواب بعده الأحاديث ٥٤٧٥ـ٥٤٧٧، ومسلم ـ في الصيد والذبائح ـ باب الصيد بالكلاب المعلمة ـ حديث ١٩٢٩.

(٣) عند البخاري حديث ٥٤٧٨، ٥٤٨٨، وعند مسلم حديث ١٩٣٠.

(٤) أخرجه البخاري ـ في الأطعمة ـ باب الأكل مما يليه حديث ٥٣٧٧ ـ ٥٣٧٨، ومسلم ـ في الأشربة ـ آداب الطعام والشراب حديث ٢٠٢٢.

(٥) حديث ٢٠١٧.

الشيطان: لا مبيت لكم، ولا عشاء». رواه مسلم[١].

٦ـ عند الجماع ـ لما رواه ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال: **«أمَا إن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فرزقا ولدا لم يضره الشيطان»** متفق عليه[٢].

٧ـ عند الخروج من البيت لما رواه أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: **«إذا خرج الرجل من بيته، فقال: بسم الله توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله. قال: يقال حينئذ: هُديت وكُفيت وَوُقيت، فتتنحى له الشيطاطين، فيقول له شيطان آخر: كيف لك برجل قد هُدي وكُفي وَوُقي»**[٣].

٨ـ في المساء والصباح. فعن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: **«من قال: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم، ثلاث**

---

(١) حديث ٢٠١٨. وفي حديث عائشة، قالت: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «إذا أكل أحدكم طعاما فليقل بسم الله، فإن نسي في أوله فليقل: بسم الله في أوله وأخره» أخرجه أبو داود حديث ٣٧٦٧، والترمذي حديث ١٨٥٨، وصححه الألباني».

(٢) أخرجه البخاري ـ في الوضوء ـ باب التسمية على كل حال، وعند الوقاع حديث ١٤١، ومسلم ـ في النكاح ـ باب ما يستحب أن يقول عند الجماع حديث ١٤٣٤.

(٣) أخرجه أبو داود ـ في الأدب ـ باب ما يقول إذا خرج من بيته حديث ٥٠٩٥، والترمذي ـ في الدعوات ـ باب ما يقول إذا خرج من بيته حديث ٣٤٢٦، وصححه الألباني. وعند أحمد ١: ٦٦ ـ من حديث عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «بسم الله آمنت بالله، اعتصمت بالله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

مرات، **لم تصبه فجأة بلاء حتى يصبح، ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات لم تصبه فجأة بلاء حتى يمسي»**[١].

٩ـ عند النوم ـ فعن أبي الأزهر الأنماري: أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان إذا أخذ مضجعه من الليل، قال: «**بسم الله وضعت جنبي، اللهم اغفر لي ذنبي، وأخسىء شيطاني، وفك رهاني، واجعلني في الندي الأعلى**»[٢].

١٠ـ عند دخول الخلاء ـ فعن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**ستر ما بين الجن وعورات بني آدم، إذا دخل الكنيف، أن يقول: بسم الله**»[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود ـ في الأدب ـ باب ما يقول إذا أصبح ـ حديث ٥٠٨٨، والترمذي في الدعوات ـ باب الدعاء إذا أصبح ـ حديث ٣٣٨٥، وقال «حسن صحيح غريب»، وابن ماجه ـ في الدعاء ـ باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح، وإذا أمسى ـ حديث ٣٨٦٩. وصححه الألباني.

(٢) أخرجه أبو داود ـ في الأدب ـ ما يقول عند النوم ـ حديث ٥٠٥٤، وصححه الألباني. وفي حديث حذيفة قال: كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا أوى إلى فراشه قال: «اللهم باسمك أموت وأحيا» أخرجه البخاري في الدعوات حديث ٦٣١٢، وأخرج مسلم نحوه من حديث البراء. وأخرج البخاري حديث ٦٣٢٠، ومسلم حديث ٢٧١٤ ـ عن أبي هريرة أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليقل باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه».

(٣) أخرجه ابن ماجه ـ في الطهارة وسننها ـ باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء ـ حديث ٢٩٧، وقد رُوِيَ هذا الحديث من حديث أنس وأبي سعيد وابن مسعود ومعاوية بن حيدة. وقد ضعفه جمع من أهل العلم، وصححه آخرون بمجموع طرقه وشواهده منهم الألباني. انظر «إرواء الغليل» حديث ٥٠، «صحيح الجامع الصغير»حديث: ٣٦٠٤ـ٣٦٠٥. وقد قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ١: ٢٤٤ ـ في كلامه على حديث أنس «كان النبي ـ ﷺ ـ إذا دخل الخلاء قال: =

١١ـ إذا عثر المرء أو عثرت دابته ـ لما رواه أبو تميمة الهجيمي عن أبي المليح بن أسامة بن عمير عن أبيه، قال: كنت رديف النبي ـ ﷺ ـ فَعُثر بالنبي ـ ﷺ ـ فقلت: تعس الشيطان فقال النبي ـ ﷺ ـ: «**لا تقل تعس الشيطان، فإنك إذا قلت تعس الشيطان تعاظم، وقال: بقوتي صرعته، وإذا قلت: بسم الله تصاغر حتى يصير مثل الذباب**»[1].

١٢ـ عندما يجد المسلم وجعا في جسده، يشرع له أن يضع يده على موضع الألم، ويُسمي، ويذكر بقية الدعاء.

لما رواه عثمان بن أبي العاص أنه شكا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وجعا في جسده، منذ أسلم، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ «**ضع يدك على الذي يألم من جسدك، وقل: بسم الله ثلاثا. . الحديث» رواه مسلم**[2].

١٣ـ عند وضع الميت في قبره ـ فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ـ ﷺ ـ كان إذا وضع الميت في القبر قال: «**بسم الله، وعلى**

= «اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث» قال ابن حجر: «وقد روى العمري هذا الحديث، من طريق عبدالعزيز بن المختار عن عبدالعزيز بن صهيب، بلفظ الأمر قال: «إذا دخلتم الخلاء فقولوا: بسم الله، أعوذ بالله من الخبث والخبائث» وإسناده على شرط مسلم، وفيه زيادة التسمية، ولم أرها في غير هذه الرواية.

(١) أخرجه أبو داود في الأدب ـ الحديث ٤٩٨٢ ورجاله ثقات، وأخرجه أحمد ٥:٧١ قال ابن كثير في «تفسيره» ١:٣٨ «ورجاله رجال الصحيح، ورواه النسائي في اليوم والليلة، وابن مردويه في تفسيره» والحاكم في المستدرك ٤:٢٩٢ وصحح إسناده ووافقه الذهبي وصححه الألباني في «صحيح الكلم الطيب» حديث ١٩٣.

(٢) في السلام ـ باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء ـ ٢٢٠٢.

سنة رسول الله»[١].

١٤ـ عند إغلاق الباب، وإطفاء المصباح، وعند إيكاء السقاء، وتخمير الإناء لما رواه جابر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال: **«إذا استجنح الليل، أو كان جنح الليل، فكفوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم، وأغلق بابك، واذكر اسم الله، وأطفىء مصباحك، واذكر اسم الله، وأوك سقاءك، واذكر اسم الله عليه، وخمر إناءك، واذكر اسم الله، ولو تعرض عليه شيئاً»** متفق عليه[٢].

إلى غير ذلك من المواضع، بل إن الذي يفهم من حديث جابر هذا أنه ينبغي أن يذكر المسلم اسم الله على جميع أحواله، تبركاً وتيمناً واستعانة.

أَمّا حديث أبي هريرة الذي رواه أحمد[٣]، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: **«كل كلام، أو أمر ذي بال، لا يفتح بذكر الله ـ عز وجل ـ فهو أبتر، أو قال: أقطع»** فهو حديث ضعيف[٤].

* * *

---

(١) أخرجه أبو داود ـ في الجنائز ـ الدعاء للميت إذا وضع في قبره حديث ٣٢١٣، والترمذي في الجنائز ـ حديث ١٥٥٠، وابن ماجه ـ في الجنائز ـ حديث ١٤٠٦. وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري ـ في بدء الخلق ـ باب صفة إبليس وجنوده ـ حديث ٣٢٨٠ ومسلم ـ في الأشربة ـ الأمر بتغطية الإناء ـ حديث ٢٠١٢.

(٣) «المسند» ١ :٣٥٩.

(٤) انظر «إرواء الغليل» حديث (١)، «ضعيف الجامع الصغير» حديث ٤٢٢٢.

المبحث التاسع

فوائد البسملة، والأحكام التي تضمنتها

فوائد البسملة والأحكام التي تضمنتها كثيرة منها مايلي:

١ـ مشروعة البداءة باسم الله على كل أمر ديني، أو دنيوي، استعانة وتبركاً وتيمناً.

٢ـ إثبات اسمه تعالى «الله» الدال على أن له كمال الألوهية والعبودية سبحانه وتعالى.

٣ـ إثبات اسمي الله: «الرحمن»، «الرحيم»، وما تضمناه من الصفة والأثر.

قال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي[1] ـ رحمه الله ـ:

«الرحمن ، الرحيم» اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة، التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي، وكتبها للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله، فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن عداهم، فله نصيب منها.

واعلم أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها، الإيمان بأسماء الله وصفاته، وأحكام الصفات، فيؤمنون مثلا بأنه «رحمن رحيم» ذو الرحمة التي اتصف بها المتعلقة بالمرحوم، فالنعم

---

(١) في «تفسيره» ١: ٣٣ـ٣٤، وانظر «بدائع الفوائد» ١: ٢٤، «مدارج السالكين» ١: ٧٥، «القواعد المثلى» لشيخنا الشيخ محمد بن صالح العثيمين وفقه الله ص١٠ـ١١.

كلها أثر من آثار رحمته، وهكذا في سائر الأسماء، يقال في العليم: إنه عليم، ذو علم يعلم به كل شيء، قدير، ذو قدرةّ يقدر على كل شيء».

٤ـ أن اسمه تعالى «الله» هو أصل أسمائه ـ تعالى ـ تأتي بقية أسمائه تابعة له، لهذا جاء اسماه «الرحمن» و«الرحيم» تابعين لهذا الاسم.

٥ـ أن اسم «الله» أعظم من اسمه «الرحمن» ولهذا قدم عليه، وأن اسمه «الرحمن» أبلغ من «الرحيم» وأخص منه من حيث اللفظ، ولهذا قُدم عليه، تقديماً للأعظم والأهم.

٦ـ الاعتراف بنعمة الله ـ تعالى ـ وفضله وإحسانه، لأن هذا كله من آثار رحمته المذكورة في قوله ـ تعالى (الرحمن الرحيم).

٧ـ الجمع بين أسلوب الترهيب والترغيب، لأن في قوله (الله) دلالة على عظمة الله وقهره، وفي قوله (الرحمن الرحيم) دلالة على فضل الله، وإحسانه وإنعامه، والأول أسلوب ترهيب، والثاني ترغيب.

٨ـ الدلالة على أن الاستعانة إنما تستمد من الله ـ تعالى، ويجب صرفها له، فهو القادر على إعانة من استعان به، وهو (الرحمن الرحيم) بعباده، أرحم من الوالدة بولدها، كما جاء في الحديث: **«الله أرحم بعباده، من هذه بولدها»**[1] **فهو نعم النصير والمعين، ومفزع الخائفين وأرحم الراحمين.**

---

(١) أخرجه من حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ البخاري في الأدب حديث ٥٩٩٩، ومسلم ـ في التوبة حديث ٢٧٥٤.

٩ـ إظهار مخالفة المشركين، الذين يفتتحون أمورهم باسم اللات والعزى ومناة، وغيرها من الأصنام والأنداد، من المخلوقين وغيرهم، ومن المؤسف أن نرى كثيرا من الكتاب من المسلمين أو من المنتسبين إلى الإسلام يصدرون كتبهم وصحفهم باسم الشعب وباسم الحرية، وتقرأ الكتاب من أوله إلى آخره لا تجد فيه ذكر اسم الله.

١٠ـ فيها الرد على القدرية الذين يقولون: إن العبد يخلق فعل نفسه، إذ لو كان ذلك كذلك لما احتاج العبد إلى طلب العون من الله ـ تعالى.

١١ـ أن ذكر اسم الله عون للعبد على جميع أحواله، وسبب لحصول الخير، والبركة، والحصول على مطلوبه، والنجاة من مرهوبه، بإذن الله تعالى، والسلامة من الشيطان وهمزاته وشروره، وإغاظته ودحره وطرده من أن يحول بين العبد وبين قراءته، ويوسوس له فيها، أو في وضوئه، أو أن يشاركه في أكله وشربه ودخوله وخروجه، وسائر أحواله[١].

---

(١) انظر «أحكام القرآن» للجصاص ١: ١٧ـ١٨.

الباب الثاني

تفسير سورة الفاتحة

معناها، وأحكامها وفيه فصلان:

الفصل الأول: تفسير سورة الفاتحة، وبيان ما فيها من المعاني والفوائد والأحكام ـ وفيه ثمانية مباحث.

الفصل الثاني: الأحكام التي تتعلق بسورة الفاتحة ـ وفيه مبحثان.



الفصل الأول

تفسير سورة الفاتحة، وبيان ما فيها من المعاني والفوائد والأحكام

وفيه ثمانية مباحث

المبحث الأول: مكان نزول الفاتحة

المبحث الثاني: أسماء الفاتحة.

المبحث الثالث: عدد آيات الفاتحة، وهل البسملة آية منها.

المبحث الرابع: فضل سورة الفاتحة.

المبحث الخامس: المعاني التي اشتملت عليها سورة الفاتحة.

المبحث السادس: بيان معنى السورة والآية.

المبحث السابع: تفسير مفردات الفاتحة، وبيان معاني آياتها.

المبحث الثامن: ما يؤخذ من سورة الفاتحة من فوائد وأحكام.

المبحث الأول

مكان نزول الفاتحة

نزلت سورة الفاتحة بمكة، بدليل أنها ذُكرت في سورة الحجر، وهي مكية، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾[١] وسورة الحجر مكية بالإجماع[٢].

وقد فسر الرسول ﷺ السبع المثاني في هذه الآية بالفاتحة.

فعن أبي سعيد بن المعلى، قال: «**كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ـ ﷺ ـ فلم أجبه، فقلت: يارسول الله، إني كنت أصلي، فقال: ألم يقل الله: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾[٣] الآية. ثم قال لي: لأعلمنك سورة، هي أعظم السور في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد، ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت له: ألم تقل: لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن، قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته**» رواه البخاري[٤].

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٨٧.

(٢) انظر «المحرر الوجيز» لابن عطية ١: ٦١، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١١٥، «مجموع الفتاوى» ١٧: ١٩٠.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

(٤) في باب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ الحديث ٤٦٤٧. وفي باب =

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**أم القرآن، هي السبع المثاني والقرآن العظيم**» رواه البخاري[١]، ورواه ابن جرير[٢] بلفظ: «**هي أم القرآن، وهي فاتحة الكتاب، وهي السبع المثاني**».

ورواه أبو داود[٣] بلفظ: «**الحمد لله رب العالمين: أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني**» وكذا رواه الترمذي[٤]، وزاد: «**والقرآن العظيم**» وقال: حديث صحيح».

وأيضاً فقراءتها ركن من أركان الصلاة ـ على الصحيح ـ، لا تصح الصلاة بدونها، وقد فرضت الصلاة بمكة، عندما أسرى بالرسول ﷺ

= ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ ـ الحديث ٤٧٠٣، وفي فضائل القرآن ـ فضل فاتحة الكتاب ـ الحديث ٥٠٠٦، وأخرجه أبو داود ـ في الصلاة باب فاتحة الكتاب ـ الحديث ١٤٥٨، والنسائي ـ في الافتتاح ـ باب تأويل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ ـ الحديث ٨٧٦، وابن ماجه ـ في الأدب ـ باب ثواب القرآن ـ الحديث ٣٧٨٥، وأحمد ٤:٢١١.

وقد أخرجه أيضاً أحمد ٢:٤١٣، ٥:١١٤، وابن ماجه ـ في الفضائل ـ الحديث ٢٨٧٥ من حديث أبي بن كعب بنحوه، وقد أخرجه عنه ـ مختصراً ـ النسائي ـ في الموضع السابق ـ الحديث ٨٧٧، والترمذي ـ في تفسير سورة الحجر ـ الحديث ٣١٢٥، وصححه الألباني. وأخرجه مطولا ومختصرا ابن خزيمة ـ في الصلاة ـ باب قراءة الفاتحة ـ الحديث ٥٠١، والبيهقي ـ في ٢:٣٧٦، وفي «جزء القراءة خلف الإمام» ص١٠٣ ـ ١٠٥.

(١) الحديث ٤٧٠٤، وأخرجه الإمام أحمد بنحوه ٢:٤٤٨.

(٢) الحديث ١٣٤.

(٣) في الصلاة ـ باب فاتحة الكتاب ـ الحديث ١٤٥٧.

(٤) في تفسير سورة الحجر ـ الحديث ٣١٢٤.

وما حفظ أنه كان في الإسلام قط صلاة بغير الفاتحة[١].

بل رُويَ أنها من أول ما نزل، وأنها أول سورة نزلت كاملة[٢].

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» ١:٦١، «الجامع لأحكام القرآن» ١:١١٥، «البحر المحيط» ١:١٦.

(٢) انظر: «تفهيم القرآن» لأبي الأعلى المودودي ص٣٣.
وقد قيل: إنها نزلت بالمدينة، وقيل: نزلت مرتين: مرة بمكة ومرة بالمدينة، وقيل: نزل نصفها بمكة ونصفها بالمدينة. وكل هذه الأقوال ضعيفة لا دليل عليها. انظر «معالم التنزيل» ١:٣٧، «الجامع لأحكام القرآن» ١:١١٥ ـ ١١٦، «تفسير ابن كثير» ١:٢٢.

المبحث الثاني

أسماء الفاتحة

تعددت أسماء الفاتحة، وقد أوصلها بعضهم إلى نحو من عشرين اسماً[١]، منها مايلي:

١ـ السبع المثاني والقرآن العظيم:

لقوله ـ تعالى ـ في سورة الحجر ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾[٢].

وقد فسر الرسول ﷺ السبع المثاني والقرآن العظيم بالفاتحة، كما في حديث أبي سعيد بن المعلى، وأبي بن كعب، وأبي هريرة ـ رضي الله عنهم[٣] ـ.

وسميت بالمثاني ـ والله أعلم ـ لأنها حمد لله وثناء عليه وتمجيد له، ولأنها تثنى في كل صلاة، بل في كل ركعة[٤]، ولأنها اشتملت

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١:١٠٧، «أحكام القرآن» للجصاص ١:٢٣ـ٢٤، «معالم التنزيل» ١:٣٧، «الكشاف» ١:٤، «زاد المسير» ١:١٠، «الجامع لأحكام القرآن» ١:١١١، «البحر المحيط» ١:٣٢، «تفسير ابن كثير» ١:٢١، «صحيح البخاري مع الفتح» ٨:١٥٦، «الاتقان» ١:١٨٧ـ١٩١.

(٢) سورةالحجر، الآية: ٨٧.

(٣) سبق ذكر هذه الأحاديث، وتخريجها في المبحث الأول من هذا الفصل.

(٤) انظر: «تفسر الطبري» ١:١٠٩ـ١١٠، «المبسوط» ١:١٨، «معالم التنزيل» ١:٣٧، «المحور الوجيز» ١:٦٢، «الجامع لأحكام القرآن» ١:١١٢، «تفسير ابن كثير» ١:٢٢.

على جميع المعاني التي اشتمل عليها القرآن الكريم ـ كما سيأتي بيانه ـ وهو مثاني تثنى فيه المواعظ والقصص والأخبار والحِكَم والأحكام، كما قال الله ـ تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾[١].

وقيل: لأن الله استثناها لهذه الأمة فخصها بها من بين الأمم[٢]، كما في حديث أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**والذي نفسي بيده ما نزل في التوارة، ولا في الزبور، ولا في الإنجيل، ولا في القرآن مثلها**»[٣].

٢ـ فاتحة الكتاب:

عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**» متفق عليه[٤].

وعن أبي قتادة قال: «**كان النبي ـ ﷺ ـ يقرأ في الركعتين الأوليين من صلاة الظهر بفاتحة الكتاب وسورتين وفي رواية: ويقرأ في الركعتين الأخريين بفاتحة الكتاب**» متفق عليه[٥].

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

(٢) انظر: «معالم التنزيل» ١: ٣٧، «المحرر الوجيز» ١: ٦٢، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١١٢، «فتح الباري» ٨: ١٥٨.

(٣) سبق تخريجه في المبحث الأول من هذا الفصل.

(٤) أخرجه البخاري في الأذان ـ باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها ـ الحديث ٧٥٦، ومسلم في الصلاة ـ باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ـ الحديث ٣٩٤.

(٥) أخرجه البخاري في الأذان ـ باب القراءة في الظهر ـ الحديث ٨٥٩، ومسلم في الصلاة ـ باب القراءة في الظهر والعصر ـ الحديث ٤٥١.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: أمرني رسول الله ـ ﷺ ـ «أن أنادي: «**أنه لا صلاة إلا بقراءة فاتحة الكتاب، فما زاد**»[(١)].

وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: «**أُمرنا أن نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر**»[(٢)].

وفي حديث ابن عباس الآتي في المبحث الرابع في فضل سورة الفاتحة: «**أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة**»[(٣)].

وعن جابر بن عبدالله قال: «**كنا نقرأ في الظهر والعصر خلف الإمام في الركعتين الأوليين بفاتحة الكتاب وسورة، وفي الأخريين بفاتحة الكتاب**»[(٤)].

وفي حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عند الطبري[(٥)] ـ كما سبق في الاسم الأول للفاتحة: «**هي أم القرآن، وهي فاتحة الكتاب**».

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال:

---

(١) أخرجه أبو داود في الاستفتاح ـ من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب الحديث ٨٢٠، والترمذي في الصلاة ـ الحديث ٣١٢. وصححه الألباني.

(٢) أخرجه أبو داود ـ الحديث ٨١٨، وأحمد ٣:٣، والبخاري في جزء القراءة ـ الحديث ١٢، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الحديثان ٣٣، ٣٤. وصححه الحافظ ابن حجر كما في «نيل الأوطار» ٢:٢٣٩ كما صححه الألباني.

(٣) انظر ص٩٤ ـ ١٩٥.

(٤) أخرجه ابن ماجه في إقامة الصلاة ـ القراءة خلف الإمام ـ الحديث ٨٤٣ وصححه الألباني.

(٥) الحديث ١٣٤.

«كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج»[١].

وسميت بهذا الاسم لأنها تفتتح بها المصاحف خطا وتلاوة، وتفتتح فيها القراءة في الصلاة[٢].

٣ـ الرقية:

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: «كنا في مسير لنا، فنزلنا، فجاءت جارية، فقالت: إن سيد الحي سَلِيمٌ، وإن نفرنا غُيَّب فهل منكم راق؟ فقام معها رجل ما كنا نأبنه[٣] برقية، فرقاه، فبرأ، فأمر لنا بثلاثين شاة، وسقانا لبنا، فلما رجع قلنا له: أكنت تحسن رقية، أو كنت ترقي؟ قال: لا، ما رقيت إلا بأم الكتاب. فقلنا: لا تحدثوا شيئا، حتى نأتي، أو نسأل النبي ـ ﷺ ـ، فلما قدمنا المدينة، ذكرناه للنبي ـ ﷺ ـ فقال: **«وما يُدريه أنها رقية؟ اقسموا، واضربوا لي بسهم»** متفق عليه[٤].

---

(١) أخرجه ابن ماجه ـ الحديث ٨٤١ وقال الألباني «حسن صحيح».

(٢) انظر: «مجاز القرآن» ١: ٢٠، «تفسير الطبري» ١: ١٠٧.

(٣) نأبنه: أي تعلم أنه يرقي فنعيبه بذلك «النهاية» مادة: أبن».

(٤) أخرجها البخاري ـ في الإجارة ـ باب ما يعطى في الرقية ـ الحديث ٢٢٧٦، وفي فضل فاتحة الكتاب ـ الحديث ٥٠٠٧، وفي الطب ـ الرقى بفاتحة الكتاب ـ الحديث ٥٧٣٦، وفي النفث في الرقية ـ الحديث ٥٧٤٩، ومسلم ـ في كتاب السلام ـ باب جواز أخذ الأجرة على الرقية في القرآن والأذكار ـ الحديث ٢٢٠١، وأبو داود ـ في البيوع ـ باب في كسب الأطباء ـ الحديث ٣٤١٨، ٣٤١٩، والترمذي ـ في الطب ـ ما جاء في أخذ الأجر في التعويذ ـ الحديث ٢٠٦٣، ٢٠٦٤، وابن ماجه في الإجارات ـ باب أجر الراقي ـ الحديث ٢١٥٦، وقد أخرجه البخاري ـ أيضاً ـ من حديث ابن عباس ـ في الطب ـ باب الشروط في الرقية بفاتحة الكتاب ـ الحديث ٥٧٣٧، وقد =

وعن خارجة بن الصلت عن عمه أنه مر بقوم فأتوه، فقالوا: إنك جئت من عند هذا الرجل بخير، فارق لنا هذا الرجل، فأتوه برجل معتوه في القيود، فرقاه بأم القرآن، ثلاثة أيام غدوة وعشية، كلما ختمها جمع بزاقه، ثم تفل، فكأنما أنشط عن عقال، فأعطوه شيئاً، فأتى النبي ـ ﷺ ـ فذكره له، فقال النبي ـ ﷺ ـ: **«كل فلعمري لمن أكل برقية باطل، لقد أكلت برقية حق[١]»[٢]**.

٤ـ أم القرآن:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ **«من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ـ ثلاثا، غير تمام. . .» الحديث رواه مسلم[٣]**.

= ذكر الحافظ ابن حجر أن القصة واحدة، وقعت لهم مع الذي لدغ «فتح الباري» ٤:٤٥٥؛ ١٠:١٩٩.

(١) هكذا ذكر كثير من المفسرين أن الرقية من أسماء الفاتحة، والذي يظهر والله أعلم أن المراد برقية حق هي فعل الرقية سواء بالفاتحة أو غيرها من القرآن، وكذا المراد بقوله في حديث أبي سعيد «وما يدريه أنها رقية» أي هذه الفعلة قال ابن الأثير في النهاية: «مادة «رقى»: «الرقية العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات».

(٢) أخرجه أبو داود ـ في الإجارات ـ باب في كسب الأطباء ـ الحديث ٣٤٢٠، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» الحديث ٢٩١٨، وفي «الأحاديث الصحيحة» الحديث ٢٠٢٧.

(٣) في الصلاة ـ باب وجوب قراءة الفاتحة ـ الحديث ٣٩٥، وأبو داود في الصلاة ـ باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب ـ الحديث ٨٢١، والنسائي في الافتتاح ـ باب ترك قراءة «بسم الله الرحمن الرحيم» في فاتحة الكتاب، الحديث ٨٧٢، والترمذي في التفسير ـ الحديث ٢٩٥٤.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «**في كل صلاة يقرأ، فما أسمعنا رسول الله ـ ﷺ ـ أسمعناكم، وما أخفى عنا أخفينا عنكم، وإن لم تزد على أم القرآن أجزأت، وإن زدت فهو خير**» متفق عليه[١].

وعن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن**» رواه مسلم[٢].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**لا تجزيء صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن**»[٣].

وفي حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ السابق في المبحث الأول ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**أم القرآن هي السبع المثاني، والقرآن العظيم**»[٤] وفي رواية «**هي أم القرآن وهي فاتحة الكتاب، وهي السبع المثاني**»[٥].

وفي رواية: «**﴿الحمد لله رب العالمين﴾ أم القرآن وأم الكتاب**

---

(١) أخرجه البخاري في الأذان القراءة في الفجر ـ الحديث ٧٧٢، ومسلم في الصلاة ـ باب وجوب قراءة الفاتحة ـ الحديث ٣٩٦، وأبو داود ـ في الصلاة ـ باب ما جاء في القراءة في الظهر ـ الحديث ٧٩٧، وأحمد ٢: ٢٥٨، ٢٧٣، ٢٨٥.

(٢) في الصلاة ـ باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ـ الحديث ٣٩٤، وأحمد ٥: ٣٢٢، والدارقطني ١: ٣٢٢.

(٣) أخرجه ابن خزيمة في الصلاة ـ الحديث ٤٩٠، وابن حبان في «زوائده» ٤٥٨ من موارد الظمآن. وقال مقبل الوادعي في تعليقه على «تفسير ابن كثير» ١: ٢٨: «هذا على شرط مسلم».

(٤) لفظ البخاري ـ الحديث ٤٧٠٤، وأحمد ٢: ٤٤٨.

(٥) لفظ الطبري الحديث ١٣٤.

والسبع المثاني»[١].

وسميت أم القرآن، لأنه ابتدىء بها، فهي أصله وابتداؤه، ولأنها أيضاً اشتملت على معاني القرآن كلها[٢]، كما سميت مكة أم القرى لتقدمها أمام جميعها، وجمعها ما سواها، وقيل: لأن الأرض دحيت منها[٣].

قال الطبري[٤]: «سميت أم القرآن لتقدمها على سائر سور القرآن غيرها، وتأخر ما سواها خلفها في القراءة والكتابة، وذلك من معناها شبيه بمعنى فاتحة الكتاب، وإنما قيل لها بكونها كذلك أم القرآن لتسمية العرب كل جامع أمراً، أو مقدم لأمر ـ إذا كانت له توابع تتبعه ـ هو لها إمام جامع «أمًّا». فتقول للجلدة التي تجمع الدماغ: «أمّ الرأس». وتسمي لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها للجيش «أمّا». ومن ذلك قول ذي الرمة[٥] يصف راية معقودة على قناة، يجتمع تحتها هو وصحبه:

علـى رأسـه أم لنـا نقتـدي بهـا   جماع أمور لا نعاصي لها أمرا

٥ـ الصلاة:

---

(١) لفظ أبي داود الحديث ١٤٥٧، والترمذي الحديث ٣١٢٤.
(٢) انظر: «الكشاف» ١: ٤.
(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» ١: ٢٢.
(٤) في «تفسيره» ١: ١٠٧ـ١٠٨. وانظر «تفسير ابن كثير» ١: ٢٢.
(٥) ديوانه ص١١٦٤ ـ تحقيق د. عبدالقدوس أبو صالح ـ دمشق ١٣٩٤هـ.

عن أبي هريرة أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**قال الله تعالى: "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢﴾ قال الله: حمدني عبدي...**» الحديث رواه مسلم[1].

فالمراد بالصلاة في الحديث الفاتحة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١١٠﴾: أي لا تجهر بقراءتك، ولا تخافت بها.

قال ابن كثير[2]: «فدل على عظمة القراءة في الصلاة، وأنها من أكبر أركانها. . ، كما أطلق لفظ القراءة والمراد به الصلاة في قوله تعالى ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨﴾[3]. والمراد صلاة الفجر. . .».

٦ـ أم الكتاب:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢﴾ أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني، والقرآن العظيم**»[4].

---

(١) في الصلاة ـ باب وجوب قراءة الفاتحة ـ الحديث ٣٩٥. وأخرج الطبري نحوه مختصرا من حديث جابر بن عبدالله ـ الحديث ٢٢٤. قال أحمد شاكر: «إسناده جيد صحيح»، وقد سبق ذكره بتمامه وتخريجه في الكلام على البسملة. انظر ص١١٧ـ١١٨.

(٢) في «تفسيره» ١: ٢٧.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.

(٤) سبق تخريجه في المبحث الأول من هذا الفصل.

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «**كل صلاة لا يقرأ فيها بأم الكتاب، فهي خداج**»[١].

وفي حديث أبي سعيد الخدري في قصة اللديغ[٢] أن الرجل رقاه بأم الكتاب.

قال البخاري[٣]: «سميت أم الكتاب، لأنه يبتدأ بكتابتها في المصاحف، ويبدأ بقراءتها في الصلاة».

وقد أخرج ابن الضرّيس في «فضائل القرآن» عن محمد بن سيرين أنه كان يكره أن يقول: أم الكتاب. يقول: قال الله ـ تعالى: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝٣٩﴾، ولكن يقول: «فاتحة الكتاب» وروي نحوه عن أنس ابن مالك[٤].

ورُوِيَ عن الحسن قال: «أم الكتاب الحلال والحرام. قال الله تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾[٥].»

وإنما كرهه هؤلاء لأن الله سمى اللوح المحفوظ أم الكتاب. في

---

(١) أخرجه ابن ماجه ـ في إقامة الصلاة ـ باب القراءة خلف الإمام ـ الحديث ٨٤٠، وأحمد ٦: ١٤٢، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الحديث ٩٠ـ٩١، وقال الألباني: «حسن صحيح».

(٢) سبق ذكره وتخريجه في هذا المبحث في اسمها الرقية.

(٣) في صحيحه انظر «فتح الباري» ٨: ١٥٥، وانظر ما تقدم في ذكر التعليل في تسمية الفاتحة أم القرآن.

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١١١. «تفسير ابن كثير» ١: ٢١.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٧، انظر: «المحرر الوجيز» ١: ٦٦، «تفسير ابن كثير» ١: ٢١.

قوله: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ۝٣٩﴾[(١)]، وفي قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾[(٢)].

كما سمى الآيات المحكمات المشتملة على الحلال والحرام وغيره «أم الكتاب» في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾[(٣)].

وهذه العلة لا تكفي حجة إذ لا يلزم من تسمية الفاتحة «أم الكتاب» أن لا يسمى غيرها بذلك.

قال القرطبي[(٤)] بعدما ذكر ما رُويَ عن أنس والحسن وابن سيرين من كراهتهم تسميتها أم الكتاب، وما رُويَ عن أنس وابن سيرين ـ أيضاً ـ من كراهيتهما تسميتها أم القرآن قال: «والأحاديث الثابتة ترد هذين القولين».

٧ـ القرآن العظيم:

لقوله تعالى في سورة الحجر ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ۝٨٧﴾[(٥)].

ولما جاء في حديث أبي سعيد بن المعلى، وأبي بن كعب وأبي

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٩.
(٢) سورة الزخرف، الآية: ٤.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧.
(٤) في «تفسيره» ١: ١١٢ وانظر ص١١٤.
(٥) سورة الحجر، الآية: ٨٧.

هريرة ـ رضي الله عنهم ـ من قوله ـ ﷺ ـ: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم»[١]. على اعتبار أن الواو في الحديث لعطف الصفات، والتي بمعنى التفصيل، كقوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۝٦٨﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾[٣]. وذلك لأن سورة الفاتحة تضمنت معاني القرآن كلها كما سبقت الإشارة إلى ذلك[٤].

ويحتمل أن تكون الواو لعطف التغاير، كما هو الأصل في العطف، فيكون المراد بالقرآن العظيم: أي الذي أوتيته زيادة على الفاتحة[٥].

٨ـ الحمد لله رب العالمين:

لما جاء في حديث أبي سعيد بن المعلي[٦]. قال ﷺ: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ هي السبع المثاني...» الحديث.

---

(١) سبق تخريج هذه الأحاديث في المبحث الأول من هذا الفصل. وانظر «دقائق التفسير» ١: ١٧١.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٦٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٩٨.

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١١٢ وانظر ما يأتي في ذكر بيان ما اشتملت عليه الفاتحة.

(٥) انظر: «فتح الباري» ٨: ١٥٩.

(٦) سبق ذكره وتخريجه في المبحث الأول من هذا الفصل. وانظر «فتح الباري» ٨: ١٥٩.

هذه الاسماء الثمانية هي التي دل عليها الدليل من الكتاب والسنة.

وهناك اسماء عدة ذكرها بعض أهل العلم، منها ما يلي:ـ

١ـ الأساس، قيل: لأنها أساس القرآن. رُوِيَ عن ابن عباس: «إذا اعتللت أو اشتكيت فعليك بالأساس»[١].

٢ـ الشافية[٢]، أو الشفاء[٣].

٣ـ الواقية. بالقاف المثناة[٤].

٤ـ الوافية: بالفاء الموحدة، قالوا: لأنها لا تُنَصَّف، ولا تحتمل التنصيف ولا يجوز تنصيفها[٥].

٥ـ الكافية: قالوا لأنها تكفي عن غيرها، ولا يكفي غيرها عنها[٦].

٦ـ الكنز: رُوِيَ أنها نزلت من كنز تحت العرش[٧].

---

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١:١١٣، «تفسير النسفي» ١:١، «تفسير ابن كثير» ١:٢١.

(٢) انظر: «الكشاف» ١:٤، «مجموع الفتاوى» ١٤:٥.

(٣) انظر: «الكشاف» ١:٤، «الجامع لأحكام القرآن» ١:١١٢، «تفسير ابن كثير» ١:٢١.

(٤) انظر: «البحر المحيط» ١:٣٢، «تفسير ابن كثير» ١:٢١.

(٥) انظر: «الكشاف» ١:٤ «الجامع لأحكام القرآن» ١:١١٣، «لباب التأويل في معاني التنزيل» ١:١١.

(٦) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١:١١٣، «مجموع الفتاوى» ١٤:٥. «تفسير ابن كثير» ١:٢١. واستُدل له بحديث أخرجه الدارقطني ١:٣٢٢، والحاكم في «المستدرك» ١:٢٣٨، عن عبادة أن النبي ﷺ قال: «**أم القرآن عوض من غيرها وليس غيرها منها عوضاً**» قال الدارقطني: «تفرد به محمد بن خلاد عن أشهب عن ابن عيينة».

(٧) انظر «الكشاف» ١:٤، «تفسير النسفي» ١:١، «تفسير ابن كثير» ١:٢١، «فتح الباري» ٨:١٥٦.

٧ـ سورة السؤال، أو المناجاة[١].

٨ـ الواجبة لأنها تجب قراءتها في الصلوات، ولا تصح الصلاة إلا بها[٢].

٩ـ سورة النور[٣].

١٠ـ سورة التفويض[٤].

١١ـ سورة الحمد[٥].

١٢ـ سورة الصلاة[٦].

١٣ـ سورة تعليم المسألة[٧].

إلى غير ذلك[٨].

---

(١) انظر: «البحر المحيط» ١: ٣٢.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» ١٤: ٥.

(٣) انظر: «البحر المحيط» ١: ٣٢.

(٤) انظر: «البحر المحيط» ١: ٣٢.

(٥) انظر: «الكشاف» ١: ٤، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١١١، «البحر المحيط» ١: ٣٢، «لباب التأويل في معاني التنزيل» ١: ١١، «تفسيرابن كثير» ١: ٢١.

(٦) انظر: «الكشاف» ١: ٤، «البحرالمحيط» ١: ٣٢، «تفسير ابن كثير» ١: ٢١.

(٧) انظر: «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» ١: ٨١، «أنوار التنزيل» ١: ٥، «البحر المحيط» ١: ٣٢.

(٨) أوصلها السيوطي في «الإتقان» ١/ ٥٢ـ٥٣ إلى خمس وعشرين اسماً.

المبحث الثالث

عدد آيات الفاتحة، وهل البسملة آية منها؟

عدد آيات الفاتحة سبع آيات بإجماع المسلمين[١]، لقوله تعالى في سورة الحجر ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۝٨٧﴾[٢].

وقد فسر الرسول ـ ﷺ ـ السبع المثاني والقرآن العظيم بالفاتحة ـ كما سبق ذكره ـ في حديث أبي سعيد بن المعلى وأبي بن كعب وأبي هريرة[٣].

وهي سبع آيات بدون البسملة الآية الأولى منها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، والثانية: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، والثالثة: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، والرابعة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، والخامسة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، والسادسة: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، والسابعة: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[٤]. والبسملة ليست آية منها ـ على الصحيح ـ الذي تؤيده

---

(١) انظر «تفسير الطبري» ١: ١٠٩، «المحرر الوجيز» ١: ٨٩، «أحكام القرآن» لابن العربي ١: ٥، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١١٤، «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٣٥١، «تفسير ابن كثير» ١: ٢٢، «فتح الباري» ٨: ١٥٩. وما قيل من أنها ست أو ثمان آيات فذلك شاذ لايعتد به.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٨٧.

(٣) راجع المبحث الأول من هذا الفصل.

(٤) انظر: «المحرر الوجيز» ١: ٨٩.

الأدلة الصحيحة الصريحة.

أما الترقيم الموجود في المصاحف فهو وفق قول قراء الكوفة وبعض أهل العلم، لكن الصحيح خلافه. وقد تقدم بيان ذلك وبسط الأدلة فيه في الكلام على البسملة[١].

---

(١) راجع المبحث الثالث في الكلام على البسملة، في الفصل الثاني من الباب الأول.

المبحث الرابع

فضل سورة الفاتحة

سورة الفاتحة من أعظم سور القرآن، وأفضلها، بل هي أفضل سورة في القرآن، ومما يدل على فضلها:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾[(١)].

٢ـ ما رواه البخاري وغيره عن أبي سعيد بن المعلى أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**لأعلمنك أعظم سورة في القرآن. قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ هي السبع المثاني، والقرآن العظيم، الذي أوتيته**»[(٢)].

وقد أخرج الإمام أحمد وابن ماجه وغيرهما عن أبي بن كعب نحوه[(٣)].

وفي بعض روايات حديث أُبيّ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**ما أنزل في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في القرآن مثلها، هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته**».

٣ـ ما رواه مسلم وغيره[(٤)] عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال:

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٨٧.

(٢) سبق تخريجه في المبحث الأول من هذا الفصل.

(٣) سبق تخريجه في المبحث الأول من هذا الفصل.

(٤) أخرجه مسلم ـ في صلاة المسافرين وقصرها ـ باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة الحديث ٨٠٦، والنسائي ـ في الافتتاح ـ باب فضل فاتحة الكتاب ـ الحديث ٨٧٥.
وأخرجه بهذا اللفظ أو بنحوه ـ أيضاً ـ مالك في «الموطأ» الحديث ١٨٣، وابن المنذر =

«بينما جبريل قاعد عند النبي - ﷺ - سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه، فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض، لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته»[(١)].

٤ـ ما رواه البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**».

وغيره من الأحاديث الدالة على وجوب قراءة الفاتحة[(٢)]، وأنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها، مما يدل على فضلها

٥ـ ما رواه مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - «**كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن، فهي خداج، ثلاثا - غير تمام..**»[(٣)].

= في «الأوسط» الحديث ١٣٠٠.

(١) أخذ بعض أهل العلم من هذا الحديث أن جبريل - عليه السلام - لم ينزل بسورة الفاتحة، ولا خواتيم سورة البقرة، وإنما نزل بذلك ملك غيره والحق أنه ليس في هذا الحديث ما يدل على أن الملك الذي نزل - وجبريل عند النبي - ﷺ - هو الذي نزل بسورة الفاتحة، وخواتيم سورة البقرة، وإنما الذي فيه بيان فضل هذه السورة وتلك الآيات: أي التبشير بفضلهما وعظيم ثوابهما. والثابت أن ملك الوحي هو جبريل عليه السلام. قال الله - تعالى عن القرآن ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ الآيتان (١٩٣-١٩٤) الشعراء. انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١١٦.

(٢) ، (٣) سبق تخريجها كلها في المبحث الثاني من هذا الفصل.

وكذا ما جاء من الأحاديث في معناه الدالة على أن من صلى صلاة لا يقرأ فيها بالفاتحة فصلاته ناقصة غير تامة، أو أنها غير مُجْزِئة، فهذا أيضاً يدل على فضلها.

٦ـ ما رواه مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**قال الله تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل...**» الحديث[(١)].

فقد سمى الله ـ تعالى ـ الفاتحة الصلاة وقسمها بينه وبين عبده، فأولها حمد وثناء وتمجيد للرب، وآخرها للعبد دعاء ومسألة. وكل هذا يدل على عظمها وفضلها[(٢)].

٧ـ ما رواه البخاري ومسلم ـ عن أنس بن مالك: «**أن النبي ـ ﷺ ـ وأبا بكر وعمر وعثمان ـ رضي الله عنهم ـ كانوا يفتتحون الصلاة، وفي بعض الروايات يفتتحون القراءة بـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾**»[(٣)].

٨ـ ما رواه مسلم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «**أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين**»[(٤)].

---

(١) سبق تخريجه في المبحث الثاني من هذا الفصل.

(٢) انظر: «دقائق التفسير» ١: ١٧٢ـ١٧٣.

(٣) أخرجه البخاري في الأذان ـ ما يقول بعد التكبير ـ الحديث ٧٤٣، ومسلم في الصلاة ـ الحديث ٣٩٩.

(٤) أخرجه مسلم في الصلاة ـ ما يجمع صفة الصلاة ـ الحديث ٤٩٨، وأبو داود ـ في الصلاة ـ الحديث ٧٨٣.

٩ـ ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي سعيد الخدري في قصة اللديغ وأن رجلا منهم رقاه بأم الكتاب، وفي بعض رواياته «**فقام الرجل كأنما نشط من عقال**».

وقوله ـ ﷺ ـ: «**وما يدريه أنها رقية، اقسموا واضربوا لي بسهم**».

وفي حديث خارجة عن عمه[١]: «**أنه مر بقوم فأتوه برجل معتوه في القيود فرقاه بأم القرآن**» وذكر نحوه.

فأثرها في إبراء المريض يدل على عظمها وفضلها، ولهذا سماها الرسول ـ ﷺ ـ بالرقية.

١٠ـ وعن عبدالله بن جابر أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**ألا أخبرك بخير سورة في القرآن، قلت: بلى يارسول الله ـ قال: اقرأ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ حتى تختمها**»[٢].

١١ـ ومما يدل على عظم سورة الفاتحة، وفضلها اشتمالها على معاني القرآن كله، من حمد الله وثنائه وتمجيده، وأنواع توحيده، وإثبات الرسالات والبعث والجزاء، وذكر العامل وعمله وأقسام الناس وغير ذلك ـ كما سيأتي بسط ذلك قريباً إن شاء الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٣] ـ في الكلام على الفاتحة: «والصلاة

---

(١) سبق تخريجهما في المبحث الثاني، من هذا الفصل.

(٢) أخرجه أحمد ٤: ١٧٧. قال ابن كثير في «تفسيره» ١: ٢٥ «هذا إسناد جيد، وابن عقيل هذا يحتج به الأئمة الكبار، وعبد الله بن جابر هذا هو الصحابي، ذكر ابن الجوزي أنه هو العبدي، والله أعلم. ويقال: إنه عبدالله بن جابر الأنصاري البياضي فيما ذكره الحافظ ابن عساكر». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٦: ٣١ «حديث حسن».

(٣) انظر «دقائق التفسير» ١: ١٧١ـ١٧٢ وانظر «مجموع الفتاوى» ١٤: ٥ـ٧، ١٧: ١٤ـ١٨.

أفضل الأعمال، وهي مؤلفة من كلم طيب وعمل صالح، أفضل كلمها الطيب، وأوجبه أم القرآن، وأفضل عملها الصالح وأوجبه السجود».

وقال أيضاً: «وأم الكتاب كما أنها القراءة الواجبة، فهي أفضل سورة في القرآن..».

وفضائلها كثيرة جداً. وقد جاء مأثورًا عن الحسن البصري، رواه ابن ماجه وغيره: أن الله أنزل مائة كتاب وأربعة كتب، جمع علمها في الأربعة، وجمع علم الأربعة في القرآن، وجمع علم القرآن في المفصل، وجمع علم المفصل في أم القرآن، وجمع علم أم القرآن في هاتين الكلمتين ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾.

فائدة:

حيث ثبت بالأحاديث الصريحة الصحيحة عن النبي - ﷺ - أن الفاتحة أعظم سورة في القرآن فتجوز المفاضلة بين السور، خلافا لمن منع ذلك[1].

وقد أخرج مسلم وغيره عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟. قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت:** ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ **قال: فضرب في**

---

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١:١٠٩، «تفسير ابن كثير» ١:١٠٩.

صدري، وقال: والله ليهنك العلم أبا المنذر[1]».

لكن التفضيل بين السور والآيات مقيد بأن يكون ثبت بالنص الصحيح الصريح عن النبي - ﷺ - أما المفاضلة بين السور والآيات بلا دليل صحيح فإنها لاتجوز.

* * *

(١) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها - باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي - الحديث ٨١٠، وأبو داود في الصلاة - ماجاء في آية الكرسي الحديث ١٤٦٠. وانظر «مجموع الفتاوى» ١٧: ١٣، ١٢٩-١٣٠.

المبحث الخامس

المعاني التي اشتملت عليها سورة الفاتحة

اشتملت سورة الفاتحة على جميع المعاني التي اشتمل عليها القرآن الكريم.

ففيها حمد الله والثناء عليه وتمجيده، وفيها توحيده بأقسام التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

وفيها الترغيب والترهيب والوعد والوعيد، وإثبات البعث والجزاء والعمل: أي العملِ وجزائه، والعامل وعمله.

وفيها: إرشاد الخلق إلى حمد الله والثناء عليه وتمجيده وعبادته والاستعانة به في جميع أمورهم الدينية والدنيوية، وإخلاص العمل لله، وإعلان البراءة من حولهم وقوتهم، وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم المؤدي بسالكه إلى سعادة الدارين.

وفيها ذكر أقسام الناس الثلاثة: المنعم عليهم، وهم الذين هداهم الله ووفقهم إلى العلم، ومعرفة الحق، والعمل به.

والمغضوب عليهم: وهم الذين علموا الحق وعرفوه، ولم يعملوا به، والضالين: وهم الذين جهلوا الحق، فعملوا بالباطل.

وفيها إثبات الرسل والرسالات والوحي، إذ كيف يحمده العباد،

وكيف يعبدونه وفق ما شرع، وكيف لهم بمعرفة طريق المنعم عليهم واقتفائه، والحذر من طريق المغضوب عليهم، وطريق الضالين، والبعد عنهما، إلا من طريق الوحي والرسل والرسالات، وكيف يجازون على ذلك حسب أعمالهم إلا بعد البيان وإقامة الحجة عليهم، بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، كما قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾[٢]. وقال حذيفة بن اليمان: «كان الناس يسألون رسول الله ـ ﷺ ـ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني»[٣]. وكما قيل:

عـــرفـــت الشـــر لا للشـــر   لكـــــن لتـــــوقيـــــه
ومـــن لـــم يعـــرف الشـــر   حـــري أن يقـــع فيـــه

كما تضمنت السورة الرد على جميع المبطلين، وأهل البدع والضلال والإلحاد.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في «مدارج السالكين[٤]»: «اعلم أن هذه السورة اشتملت على أمهات المطالب العالية أتم اشتمال،

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٥.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٥.
(٣) أخرجه البخاري في المناقب ـ الحديث ٣٦٠٦، ومسلم في الإمارة ـ باب لزوم جماعة المسلمين الحديث ١٨٤٧.
(٤) ١: ٣٠، وانظر: «التفسير القيم» ص٧ـ١١ وانظر أيضاً ١: ٩٩ـ١٠٠ من «مدارج السالكين».

وتضمنتها أكمل تضمن فاشتملت على التعريف بالمعبود تبارك وتعالى بثلاثة أسماء مرجع الأسماء الحسنى والصفات العليا إليها، ومدارها عليها وهي: «الله»، و «الرب»، و «الرحمن». وبُنيت السورة على الإلهية والربوبية والرحمة، و ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مبني على الإلهية، و ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ على الربوبية. وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم بصفة الرحمة، والحمد يتضمن الأمور الثلاثة، فهو المحمود في إلهيته، وربوبيته، ورحمته، والثناء والمجد كمالان لجده.

وتضمنت اثبات المعاد، وجزاء العباد بأعمالهم، حسنها وسيئها، وتفرد الرب ـ تعالى ـ بالحكم إذْ ذاك بين الخلائق، وكون حكمه بالعدل. وكل هذا تحت قوله ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ وتضمنت إثبات النبوات من جهات عديدة...»

وقال ـ أيضاً ـ في كتابه «الفوائد»(١): «فائدة: للإنسان قوتان: قوة علمية نظرية، وقوة علمية إرادية، وسعادته التامة موقوفة على استكمال قوتيه العلمية والإرادية، واستكمال القوة العلمية إنما يكون بمعرفة فاطره وبارئه، ومعرفة أسمائه وصفاته، ومعرفة الطريق التي توصل إليه، ومعرفة آفاتها، ومعرفة نفسه، ومعرفة عيوبها، فبهذه المعارف الخمس يحصل كمال قوته العلمية. وأعلم الناس أعرفهم بها، وأفقههم فيها، واستكمال القوة العلمية الإرادية لا يحصل إلا بمراعاة حقوقه سبحانه على العبد، والقيام بها، إخلاصاً وصدقاً، ونصحاً وإحساناً،

---

(١) ص٣٩ـ٤٠.

ومتابعة، وشهوداً لمنَّته عليه وتقصيره هو في أداء حقه، فهو مستحيٍ من مواجهته بتلك الخدمة، لعلمه أنها دون ما يستحقه عليه، ودون دون ذلك، وأنه لاسبيل له إلى استكمال هاتين القوتين إلا بمعونته، فهو مضطر إلى أن يهديه الصراط المستقيم، الذي هدى إليه أولياءه وخاصته، وأن يجنبه الخروج عن ذلك الصراط، إما بفساد في قوته العلمية، فيقع في الضلال، وإما في قوته العملية، فيوجب له الغضب.

فكمال الإنسان وسعادته لا تتم إلا بمجموع هذه الأمور، وقد تضمنتها سورة الفاتحة، وانتظمتها أكمل انتظام فإن قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ يتضمن الأصل الأول، وهو معرفة الرب تعالى، ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله.

والأسماء المذكورة في هذه السورة هي أصول الأسماء الحسنى، وهو اسم «الله» و«الرب» و«الرحمن». فاسم «الله» متضمن لصفات الألوهية، واسم «الرب» متضمن لصفات الربوبية، واسم «الرحمن» متضمن لصفات الإحسان والجود والبر، ومعاني أسمائه تدور على هذا.

وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ يتضمن معرفة الطريق الموصلة إليه، وأنها ليست إلا عبادته وحده بما يحبه ويرضاه، واستعانته على عبادته.

وقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ يتضمن بيان أن العبد

لا سبيل إلى سعادته إلا باستقامته على الصراط المستقيم، وأنه لاسبيل له إلى الاستقامة إلا بهداية ربه له، كما لا سبيل له إلى عبادته إلا بمعونته، فلا سبيل له إلى الاستقامة على الصراط إلا بهدايته.

وقوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ يتضمن طرفي الانحراف عن الصراط المستقيم، وأن الانحراف إلى أحد الطرفين انحراف إلى الضلال، الذي هو فساد العلم والاعتقاد، والانحراف إلى الطرف الآخر انحراف إلى الغضب الذي سببه فساد القصد والعمل. فأول السورة رحمة، وأوسطها هداية، وآخرها نعمة. وحظ العبد من النعمة على قدر حظه من الهداية، وحظه منها على قدر حظه من الرحمة، فعاد الأمر كله إلى نعمته ورحمته، والنعمة والرحمة من لوازم ربوبيته فلا يكون إلا رحيماً منعماً، وذلك من موجبات إلهيته، فهو الإله الحق، وإن جحده الجاحدون، وعدل به المشركون، فمتى تحقق بمعاني الفاتحة علما ومعرفة وعملا وحالا فقد فاز من كماله بأوفر نصيب، وصارت عبوديته عبودية الخاصة، الذين ارتفعت درجتهم عن عوام المتعبدين، والله المستعان».

وقال ابن كثير ـ رحمه الله[(١)] ـ: «اشتملت هذه السورة الكريمة، وهي سبع آيات على حمد الله وتمجيده، والثناء عليه، بذكر أسمائه الحسنى المستلزمة لصفاته العليا، وعلى ذكر المعاد، وهو يوم الدين،

---

(١) في «تفسيره ١: ٦٠»، وانظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١: ٩٨، «مجموع الفتاوى» ١٧: ٦٧. «التسهيل لعلوم التنزيل» ١: ٣٤، «تيسير الكريم الرحمن» ١: ٣٧.

وعلى إرشاد عبيده إلى سؤاله، والتضرع إليه، والتبرؤ من حولهم وقوتهم، وإلى إخلاص العبادة له، وتوحيده بالألوهية تبارك تعالى، وتنزيهه أن يكون له شريك، أو نظير، أو مماثل، وإلى سؤالهم إياه الهداية إلى الصراط المستقيم وهو الدين القويم، وتثبيتهم عليه حتى يفضي لهم بذلك إلى جواز الصراط الحسي يوم القيامة، المفضي بهم إلى جنات النعيم في جوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. واشتملت على الترغيب في الأعمال الصالحة ليكونوا مع أهلها يوم القيامة. والتحذير من مسالك الباطل لئلا يحشروا مع سالكيها يوم القيامة، وهم المغضوب عليهم والضالون..»

* * *

المبحث السادس

بيان معنى السورة والآية

أـ بيان معنى السورة:

السورة: فيها لغتان: «سورة» بدون همز. و «سؤرة» بالهمز.

أما «سورة» بدون همز فهي لغة قريش وأكثر قبائل العرب، تجمع على «سور»[(١)]. قال تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾[(٢)].

وقال الراعي[(٣)]:

هــن الحــرائــر لاربــات أخمــرة ... سود المحاجر لا يَقرَأنَ بالسور

ويجوز أن تجمع على سُوْرات، وسُوَرَات[(٤)].

وهي مأخوذة من معنى الإبانة والارتفاع ومن معنى الإحاطة ومعنى التمام.

أما كونها مأخوذة من معنى الإبانة والارتفاع فإن السورة بائنة عن السورة الأخرى منفصلة عنها، ولأن منزلتها رفيعة وعظيمة وشريفة

---

(١) انظر «المحرر الوجيز» ١:٤٦، «لسان العرب» مادة: «سور».

(٢) سورة هود، الآيه: ١٣.

(٣) انظر: «ديوانه» ص١٢٢، «المخصص» ١٤:٢٠١، «جمهرة اللغة» ٢:٤١٢، «مغني اللبيب» ص٤٥. «لسان العرب» مادة: «سور».

(٤) انظر: «لسان العرب» مادة: «سور».

يشرف بها القارىء ويرتفع بها من منزلة إلى منزلة[١]، كما قال النابغة الذبياني[٢].

ألـــم تـــر أن الله أعطـــاك ســـورة   تـرى كـل ملْـك دونهـا يتـذبـذب

أي: أعطاك منزلة رفيعة قصرت عنها منازل الملوك.

وأما كونها بمعنى الإحاطة فلأنها محيطة بما احتوت عليه من الآيات، ومن قرأها بكاملها أشرف واطلع على ما فيها من الآيات. كسور البلد يكون عاليا مرتفعاً ويحيط بما في داخله من العمران من المنازل والدور والبيوت وغيرها[٣]، ومن صعد عليه شاهد ما بداخله من ذلك العمران.

وأما كونها بمعنى التمام فلأنها تامة منفصلة عن السورة الأخرى، تامة بموضوعاتها وآياتها، كما تسمي العرب الناقة التامة الكريمة سورة[٤].

وأما **اللغة الثانية**: «سؤرة» بالهمز فإنها لغة تميم وتجمع على «سُؤَر» بهمز.

والسؤرة في الأصل معناها القطعة من الشيء، والبقية منه، ومنه

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» ١:٢٠، «تفسير الطبري» ١:١٠٤-١٠٥، «مشكل إعراب القرآن» ١:٦٨، «المحرر الوجيز» ١:٤٦، «لسان العرب» مادة «سور».

(٢) انظر: «ديوانه» ٥٦، «تفسير الطبري» ١:١٠٥، «لسان العرب» مادة «سور».

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» ١:١٨.

(٤) انظر: «لسان العرب» مادة «سور».

«سؤر الشراب»: أي بقيته.

قال الأعشى[١]:

فبـانـت وقـد أسـأرت فـي الفـؤا د صـدعـا علـى نـأيهـا مستطيـرا

أي: أبقت في الفؤاد.

ومعنى السؤرة من القرآن هي القطعة منه.

والقرآن من سؤرة بعد سؤرة: أي قطعة بعد قطعة، حتى كمل منها القرآن[٢].

والسورة من القرآن في الاصطلاح: القطعة من كلام الله ـ تعالى ـ في كتابه، ذات بداية ونهاية معروفة، تشتمل على ثلاث آيات فأكثر.

وسور القرآن الكريم مائة وأربع عشرة سورة، أطولها سورة البقرة، وأقصرها سورة الكوثر.

ب ـ بيان معنى الآية:

---

(١) انظر: «ديوانه» ص١٤٣، شرح د/محمد محمد حسين ـ بيروت ١٩٨٣م «تفسير الطبري» ١:١٠٥. بانت: بعدت. صدع مستطير: تصدع من أوله إلى آخره. ومستطير: متفرق، منتشر. النأي: البعد. والشاعر يصف امرأة فارقته فأبقت في قلبه من محبتها ووجدها بقية.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» ١:٢، «تفسير الطبري» ١:١٠٥، «لسان العرب» مادة (سور)، «مشكل إعراب القرآن» لمكي ١:٦٨، «المحرر الوجيز» ١:٤٦، «تفسير ابن كثير» ١:١٨.

الآية لغة: العلامة[١]. قال تعالى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾[٢].

وقال تعالى عن الحواريين أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ﴾[٣].

وقال الأسير الموصي لقومه[٤]: «بآية ما أكلت معكم حيسا».

وقال النابغة الذبياني[٥]:

تــوهمــت آيــات لهــا فعــرفتهــا   لستــة أعــوام وذا العــام ســابــع

وتطلق الآية بمعنى الجماعة، يقال: خرج القوم بآيتهم: أي بجماعتهم[٦].

قال برج بن مسهر الطائي[٧]:

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١: ١٠٦، «المحرر الوجيز» ١: ٤٧، «النهاية» مادة «آية»، «تفسير ابن كثير» ١: ١٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٨.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١١٤.

(٤) انظر قصته في كتاب «الأمالي» لأبي علي القالي ١: ٦-٧، وانظر: «المحرر الوجيز» ١: ٤٧.

(٥) انظر: «ديوانه» ص١٦٢، «تفسير ابن كثير» ١: ١٨.

(٦) انظر: «النهاية» مادة «آية».

(٧) انظر: «المحرر الوجيز» ١: ٤٧، «تفسير ابن كثير» ١: ١٨. ومعنى نزجي: نسوق، =

خـرجنـا مـن النقبيـن لا حـي مثلنـا بـآيتنـا نـزجـي اللقـاح المطـافـلا

والآية القرآنية مأخوذة من معنى العلامة، لأن الآية القرآنية علامة على وجود الله وكماله في ذاته وصفاته. كما أنها علامة للفصل بين ما قبلها وما بعدها(١).

ويحتمل أنها من المعنيين جميعاً من معنى العلامة، ومعنى الجماعة لأنها مع كونها من معنى العلامة فهي أيضاً فيها معنى الجمع، لأنها تجمع حروفاً وكلمات من القرآن»(٢).

وتجمع الآية على آيات، وآيات الله تنقسم إلى قسمين: آيات كونية، وآيات شرعية.

فالآيات الشرعية هي ما يتعلق بالوحي، من كلام الله تعالى، وسميت بذلك لمباينتها كلام البشر، وعجزهم عن الإتيان بمثلها، ولأن في إصلاح هذا الوحي لمن أنزله الله عليه، حسب ما شرع الله. علامة ودلالة واضحة على أنه من عند الله ذو الكمال في ذاته وصفاته، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾(٣).

والآية الشرعية في الاصطلاح: هي القطعة من كلام الله ـ تعالى ـ

= واللقاح: ذوات الألبان، والمطافلا: النوق معها أولادها.

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١: ١٠٦، «المحرر الوجيز» ١: ٤٧، «تفسير ابن كثير» ١: ١٨.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» ١: ٤٧، «النهاية» مادة: «آية».

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٢.

ذات بداية ونهاية، منفصلة عما قبلها وعما بعدها، مندرجة تحت سورة من سور القرآن الكريم(١). وأطول آية في القرآن آية الدين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ...﴾(٢) الآيـة، وأقصر آيـة ﴿مُدۡهَآمَّتَانِ﴾(٣) باستثناء الحروف المقطعة أوائل السور.

والآيات الكونية: ما يتعلق بالخلق والتقدير، وهي تشمل كل ما خلق الله في هذا الكون من أرض وسماء، وليل ونهار، وشمس وقمر، وحجر وشجر، وجن وإنس، وحيوان، وسائر المخلوقات. لأن في إيجاد هذه المخلوقات وانتظامها علامة ودلالة واضحة على وجود خالقها وباريها، وعلى قدرته وحكمته ووحدانيته ورحمته، وكماله في ذاته وصفاته.

قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ﴿٣٤﴾

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١: ١٠٦، «تفسير ابن كثير» ١: ١٨.
(٢) سورة البقرة، آية: ٢٨٢.
(٣) سورة الرحمن، آية: ٦٤.
(٤) سورة الروم، آية: ٢٢.
(٥) سورة الروم، آية: ٢٥.

﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾(٥).

* * *

---

(١) سورة يس، الآيات: ٣٣-٣٥.
(٢) سورة يس، الآيات: ٣٧-٣٩.
(٣) سورة يس، الآيتان: ٤١-٤٢.
(٤) سورة فصلت، آية: ٣٧.
(٥) سورة الذاريات، الآيتان: ٢٠-٢١.

المبحث السابع
تفسير مفرادت الفاتحة، وبيان معاني آياتها

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾

الحمد مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره. وهو مصدر سماعي للفعل «حمد» دخلت عليه «أل».

و «أل»: إذا دخلت على الأوصاف، وأسماء الأجناس دلت على الاستغراق والشمول والاستقصاء[1]، وعلامتها صحة وضع كل الشمولية مكانها: أي كل الحمد بجميع صنوفه وأجناسه لله تعالى.

والحمد. وصف المحمود بصفات الكمال مع المحبة والتعظيم. فإن لم يكن مع المحبة والتعظيم كان نفاقا ورياء، وكذبا وتزلفا ومدحا مذموماً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[2]: «الحمد الإخبار بمحاسن المحمود مع المحبة لها. فلو أخبر مخبر بمحاسن غيره من غير محبة لها لم يكن حامداً، ولو أحبها ولم يخبر بها لم يكن حامداً».

وإذا كرر الحمد مرة ثانية سمي ثناء، وإذا كرر ثالثة سمي «تمجيداً»

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١:١٣٨، «المحرر الوجيز» ١:٦٣، «الجامع لأحكام القرآن» ١:١٣٣، «تفسير النسفي» ١:٤، «مجموع الفتاوى» ١:٨٩ «البحر المحيط» ١:١٨.

(٢) في مجموع الفتاوى ٨:٣٧٨. وانظر ٦:٢٥٩.

بدليل ما جاء في حديث أبي هريرة أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: قال الله تعالى: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل. فإذا قال العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢﴾ قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال العبد ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ قال الله: أثنى علي عبدي. فإذا قال ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ قال الله: مجدني عبدي..**» الحديث رواه مسلم[١].

فقوله (الحمد لله) حمد مطلق. و«الحمد» اسم جنس والجنس له كمية وكيفية. فالثناء كمية الحمد وتكثيره والتمجيد كيفيته وتعظيمه.

وهذا يدل على خلاف ما درج عليه كثير من المفسرين وأهل اللغة من تفسير الحمد مطلقاً بالثناء[٢].

الفرق بين الحمد والشكر:

فسر بعض أهل العلم الحمد بمعنى الشكر، منهم المبرد[٣] والطبري[٤]. قال الطبري: «العرب تقول الحمد لله شكرا».

والصحيح أن الحمد غير الشكر فالحمد كالمدح نقيضه الذم،

---

(١) سبق تخريجه في ذكر أسماء الفاتحة في المبحث الثاني.

(٢) انظر «مجموع الفتاوى» ٦: ٢٦٦. وانظر: «تفسير الطبري» ١: ١٣٩، «الكشاف» ١: ٧، «المحرر الوجيز» ١: ٦٣، «زاد المسير» ١: ١١، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٣٣، ١٣٤، «أنوار التنزيل» ١: ٧، «لسان العرب» مادة (حمد) «البحر المحيط» ١: ١٨، «أضواء البيان» ١: ٣٩.

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٣٣.

(٤) في «تفسيره» ١: ١٣٥ـ ١٣٨.

والشكر نقيضه الكفران[(١)] وبين الحمد والشكر عموم وخصوص[(٢)].

فالحمد أعم من حيث ما يقع عليه، فهو يقع على الصفات اللازمة والمتعدية تقول: حمدته لفروسيته وشجاعته، وحمدته لكرمه.

وهو أخص من حيث الأداة التي يقع بها، فهو يقع باللسان فقط، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾[(٣)].

قال الزمخشري[(٤)]:

«وهو إحدى شعب الشكر».

قلت: وليس معنى كونه يقع باللسان فقط أن يكون ذلك بدون مواطأة القلب وموافقته، لأن الحمد كما تقدم وصف المحمود بصفات الكمال مع المحبة والتعظيم في القلب، ومعلوم أن مدار الأعمال كلها صلاحا أو فسادا على القلب قال ـ ﷺ ـ: **«إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى»**[(٥)] وقال ـ ﷺ ـ: **«ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي**

---

(١) انظر: «الكشاف» ١: ٨، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٣٣.

(٢) انظر: «المفردات» مادة «شكر»، «معالم التنزيل» ١: ٣٩، «الكشاف» ١: ٧، ٨، «المحرر الوجيز» ١: ٦٣، «زاد المسير» ١: ١١، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٣٤، «تفسير النسفي» ١: ٣، «مجموع الفتاوى» ١١: ١٣٣ـ١٣٤ـ١٣٥، ١٤٦ «تفسير ابن كثير» ١: ٤٥.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١١١.

(٤) في «تفسيره» ١: ٧، وانظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٣٣ـ١٣٤.

(٥) أخرجه من حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ البخاري في بدء الوحي ـ الحديث (١)، ومسلم في الإمارة ـ الحديث ٧٠٩١.

القلب»[١].

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٢] رحمه الله: (والحمد إنما يكون بالقلب واللسان..).

والشكر أخص من حيث ما يقع عليه فهو لا يقع إلا على الصفات المتعدية. تقول: شكرته لكرمه، ولا تقول: شكرته لفروسيته وشجاعته، فهو لا يكون إلا جزاء على نعمة بينما الحمد يكون جزاء كالشكر، ويكون ابتداء.

وهو: أي الشكر أعم من حيث الأداة التي يقع بها، فهو يقع في القلب واللسان والجوارح كما قال الشاعر:

ومـا كـان شكـري وافيـاً بِنَـوَالِكُـم ولكنني حاولت في الجهد مذهباً
أفـادتكـم النعمـاء منـي ثـلاثـة يدي ولساني والضمير والمحجبا[٣].

فالشكر بالقلب بالاعتراف بالنعمة باطنا ونسبتها إلى المنعم بها ومسديها.

والشكر باللسان بالاعتراف بالنعمة ظاهرا والتحدث بها باللسان. قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾[٤].

---

(١) أخرجه من حديث النعمان بن بشير ـ البخاري ـ في الإيمان ـ الحديث ٥٢، ومسلم في المساقاة ـ الحديث ١٥٩٩.

(٢) في «مجموع الفتاوى» ١١: ١٣٤.

(٣) انظر «الكشاف» ١: ٧، «مجموع الفتاوى» ١١: ١٣٣ـ١٣٤، «تفسير ابن كثير» ١: ٤٥.

(٤) سورة الضحى، الآية: ١١.

وهذا على القول بأنه يدخل تحت معنى الآية التحدث بنعم الله عامة والآية تحتمله بلا شك، لأنه لا ينافي القول بأن المراد بالنعمة هنا نعمة النبوة.

والشكر بالجوارح بالاستعانة بالنعمة على طاعة المنعم قولاً وعملا كما قال تعالى: ﴿ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ﴾[١]. وقام ﷺ حتى تورمت قدماه، وقال: «**أفلا أكون عبداً شكوراً**»[٢]. ويكون بظهور أثر النعمة على المنعم عليه. كما في الحديث «**إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**»[٣]. وفي حديث أبي مالك الجشمي أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**إذا آتاك الله مالاً فلْيُرَ أثر نعمة الله عليك وكرامته**[٤]».

والمدح أعم منهما جميعاً: من حيث ما يقع عليه[٥]، فإنه يقال مما يقع من الإنسان بالتسخير، ومما يقع منه باختياره متعديا أو لازما، فقد يُمدح الإنسان بطول قامته، كما يُمدح ببذل ماله وسخائه وعلمه،

---

(١) سورة سبأ، آية: ١٣.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير ـ الحديث ٤٨٣٦ عن المغيرة قال: قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه، فقيل له غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً».
وأخرجه أيضاً بنحوه من حديث عائشة رضي الله عنها ـ الحديث رقم ٤٨٣٧. وانظر «تيسير الكريم الرحمن» ٦:٢٦٧.

(٣) أخرجه الترمذي في الأدب ـ الحديث ٢٨١٩ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص وقال «حديث حسن». وأخرجه أحمد ٢:٣١١ من حديث أبي هريرة، ٤:٤٣٨ من حديث عمران بن حصين.

(٤) أخرجه أبو داود ـ في اللباس ـ الحديث ٤٠٦٣٤، والنسائي في الزينة الحديث ٤٨١٩ ـ وصححه الألباني.

(٥) انظر: «الصحاح» و «المفردات» مادة: «مدح»، «تفسير ابن كثير» ١:٤٦.

كما يُمدح بفروسيته وشجاعته. وهو يقع على الحي والميت، وعلى الحيوان والنبات والجماد والزمان والمكان وغير ذلك، وهو كالحمد من حيث إنه يقع بالقول باللسان لاغير.

قال الراغب[١]: «فكل شكر حمد، وليس كل حمد شكرا، وكل حمد مدح، وليس كل مدح حمدا».

«لله» اللام حرف جر، وهي تفيد معنى الاختصاص والاستحقاق[٢]، ولفظ الجلالة مجرور بها والجار والمجرور متعلقان بمحذوف هو خبر (الحمد) تقديره: مستحق، أو واجب أو ثابت لله. وقد تقدم في بحث البسملة الكلام مستوفى على معنى لفظ الجلالة (الله) واشتقاقه[٣].

ومعنى (الحمد لله): أي أن الحمد المطلق لله وحده فهو المستحق له المختص به دون سواه وحمده ـ تعالى هو وصفه ـ عز وجل ـ بصفات الكمال اللازمة والمتعدية، كمال العظمة وكمال الاحسان والنعمة مع المحبة والتعظيم له والرضا عنه والخضوع له، لأنه المنعم بأكبر النعم وأعظمها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٤] ـ رحمه الله ـ: «والحمد نوعان حمد على إحسانه إلى عباده وهو من الشكر، وحمد لما يستحقه هو بنفسه من نعوت كماله، وهذا الحمد لايكون إلا على ماهو في نفسه مستحق

---

(١) المفردات مادة «حمد».

(٢) انظر: «معالم التنزيل» ١ : ٣٩، «لباب التأويل في معاني التنزيل» ١ : ١٦

(٣) راجع المبحث الثاني من الفصل الثاني، من الباب الأول: معنى البسملة.

(٤) في «مجموع الفتاوى» ٦ : ٨٤.

للحمد، وإنما يستحق ذلك من هو متصف بصفات الكمال، وهي أمور وجودية، فإن الأمور العدمية المحضة لا حمد فيها، ولا خير ولا كمال.

ومعلوم أن كل ما يحمد فإنما يحمد على ماله من صفات الكمال، فكل مايُحْمَدُه به الخلق فهو من الخالق، والذي منه ما يحمد عليه هو أحق بالحمد، فثبت أنه المستحق للمحامد الكاملة، وهو أحق من كل محمود بالحمد، والكمال من كل كامل، وهو المطلوب».

وقال ابن القيم[1] ـ رحمه الله تعالى ـ: «الحمد يتضمن مدح المحمود بصفات كماله، ونعوت جلاله، مع محبته والرضا عنه والخضوع له، فلا يكون حامدا من جحد صفات المحمود، ولا من أعرض عن محبته والخضوع له. وكلما كانت صفات كمال المحمود أكثر كان حمده أكمل، وكلما نقص من صفات كماله نقص من حمده بحبسها. ولهذا كان الحمد لله، حمدا لا يحصيه سواه، لكمال صفاته وكثرتها، ولأجل هذا لايحصي أحد من خلقه ثناء عليه[2]، لما له من صفات الكمال، ونعوت الجلال التي لايحصيها سواه..»

والذين قالوا معنى الحمد الثناء، معناه عندهم: الثناء عليه ـ تبارك

---

(١) في «مدارج السالكين» ١:٤٨، وانظر: «التفسير القيم» ص٢٥. وانظر ـ أيضاً ـ: «تفسير الطبري» ١:١٣٧، «الكشاف» ١:٧، «تفسير النسفي» ١:٣.

(٢) كما قال ﷺ ـ في الدعاء «اللهم أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك». أخرجه مسلم في الصلاة ـ باب ما يقال في الركوع والسجود الحديث ٤٨٦ ـ من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

وتعالى ـ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا.

قال القرطبي[١] ـ رحمه الله تعالى ـ: «الحمد في كلام العرب معناه الثناء الكامل... فهو سبحانه يستحق الحمد بأجمعه إذ له الأسماء الحسنى والصفات العليا».

وقال ـ أيضاً ـ: «الحمد ثناء على الممدوح بصفاته... وذكر عن جعفر الصادق في قوله (الحمد لله) قال: من حمده بصفاته كما وصف نفسه فقد حمد..».

وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ جملة خبرية فيها معنى الأمر، فهو ـ جل وعلا ـ يخبر عن اتصافه بالحمد، ويأمر عباده أن يحمدوه[٢]. كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[٣].

وإنما جاءت جملة اسمية للدلالة على الاستمرار والدوام، فله سبحانه وتعالى الحمد في جميع الأوقات والأزمان، وهو المحمود بكل حال، على ماله ـ سبحانه ـ من المحاسن والإحسان، وعلى ماله من الأسماء الحسنى والمثل الأعلى، وما خلقه في الآخرة والأولى[٤].

افتتح كتابه بالحمد فقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

---

(١) في «تفسيره» ١: ١٣٣ـ١٣٤.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١: ١٣٩، «معالم التنزيل» ١: ٣٩، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٣٥ـ١٣٦، «لباب التأويل في معاني التنزيل» ١: ١٦، «البحر المحيط» ١: ٣١، «تفسير ابن كثير» ١: ٥٢، «أضواء البيان» ١: ٣٩.

(٣) سورة النمل، الآية: ٥٩.

(٤) انظر «مجموع الفتاوى» ١١: ١٣٣.

وله الحمد على إنزاله، كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾(١).

وله الحمد على خلق السموات والأرض وسائر المخلوقات. قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ﴾(٢). وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ﴾(٣).

وله الحمد على ملك ما في السموات والأرض قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾(٤).

وله الحمد في السموات والأرض، وفي جميع الأوقات. قال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾(٥).

وله الحمد في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ﴾(٦).

وقال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾(٧).

وحمده تعالى آخر دعوى أهل الجنة، كما قال تعالى: ﴿وَءَاخِرُ

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١.
(٣) سورة فاطر، الآية: ١.
(٤) سورة سبأ، الآية: ١.
(٥) سورة الروم، الآية: ١٨.
(٦) سورة القصص، الآية: ٧٠.
(٧) سورة سبأ، الآية: ١.

دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[١].

وشق لنبيه ـ ﷺ ـ اسماً من الحمد، فسماه: محمداً.

قال حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه[٢] ـ:

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وشق له من اسمه[٣] ليجلَّه ... فذو العرش محمود وهذا محمد

فهو تعالى المحمود على الدوام في جميع الأحوال، ولهذا أمر عباده أن يحمدوه في آيات كثيرة. وكان نبينا محمد ـ ﷺ ـ إذا رأى ما يحب قال: «**الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإذا رأى ما يكره قال: الحمد لله على كل حال**»[٤].

كما رغب ﷺ ـ بحمد الله تعالى في أحاديث كثيرة منها:

ما رواه أبو مسلم الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك، أو عليك، كل**

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٠.

(٢) انظر: «ديوانه» ص٣٣٨ تحقيق د. سيد حسنين، د. حسن الصيرفي القاهرة ١٩٧٤.

(٣) لم يرد أن من أسمائه تعالى «المحمود» لا في الكتاب ولا في السنة. فمعنى «المحمود» في البيت الموصوف بالحمد.

(٤) أخرجه ابن ماجه في الأدب ـ باب فضل الحامدين ـ الحديث ٣٨٠٣. وقال في «الزوائد»: «إسناده صحيح ورجاله ثقات». وصححه الألباني.

الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها، أو موبقها» رواه مسلم[(١)].

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: **«إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها»** رواه مسلم[(٢)].

وبما أن كل نعمة على العباد فهي من الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[(٣)]، وبما أن نعم الله على العباد كثيرة لا تحصى، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[(٤)].

فإن العبد ليس بمقدوره أن يشكر الله حق شكره على هذه النعم التي منها النعم الدينية من الإيمان والعلم والتقوى، والنعم الدنيوية كالصحة والمال والنعم أخروية وهي الجزاء الكثير على العمل القليل في العمر القصير، ومضاعفة الحسنة إلى عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة.

إذ كيف يمكن العبد أن يشكر الله حق شكره والشكر نفسه نعمة من الله على العبد تستوجب الشكر. فما على العبد إلا أن يقوم بما يستطيع من الشكر ويقول **«سبحانك لا أُحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»**[(٥)].

---

(١) في الطهارة ـ فضل الوضوء ـ الحديث ٢٢٣.

(٢) في الذكر ـ استحباب حمد الله ـ تعالى ـ بعد الأكل الحديث ٢٧٣٤.

(٣) سورة النحل، الآية: ٥٣.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤ وسورة النحل، الآية: ١٨.

(٥) أخرجه مسلم في الصلاة ـ باب ما يقال في الركوع والسجود ـ الحديث ٤٨٦ عن =

وكما قيل:

إذا كـان شكـري نعمـة الله نعمـة علـي بهـا لله يستـوجـب الشكـر
فكيـف بلـوغ الشكـر إلا بفضلـه وإن طـالـت الأيـام واتصـل العمـر

﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢﴾: رب صفة أولى للفظ الجلالة «الله»، أو بدل منه. ورب مضاف والعالمين مضاف إليه، مجرور وعلامة جره الياء، لأنه ملحق بجمع المذكر السالم.

و «رب العالمين» بمعنى خالقهم ومالكهم والمتصرف فيهم.

و «رب» في الأصل مأخوذ من التربية للشيء وتنميته، وتبليغه إلى كماله، كما قال تعالى: ﴿وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾[1] أي اللاتي تربونهن في حجوركم.

وهو بمعنى المالك والسيد، كما قال تعالى: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾[2] أي مالكه وسيده. وفي الحديث: «**أن تلد الأمة ربتها**»[3]

= عائشة قالت: فقدت رسول الله ـ ﷺ ـ ليلة من الفراش فالتمسته، فوقعت يدي على بطن قدمه وهو في المسجد، وهما منصوبتان وهو يقول: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»، وأبو داود في الصلاة ـ باب الدعاء في الركوع والسجود ـ الحديث ٨٧٩.

(١) سورة النساء، الآية: ٢٣.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٤١.

(٣) أخرجه من حديث طويل من رواية أبي هريرة ـ البخاري في الإيمان ـ الحديث ٥٠، ومسلم في الإيمان ـ الحديث ٩، وأخرجه أيضاً مسلم مطولا من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحديث ٨.

أي مالكتها وسيدتها.

وبمعنى: المعبود حتى لو كان بغير حق، كما قال تعالى: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٣٩﴾[(١)].

وقال أحد المشركين وقد وجد الثعلب قد بال على صنمه:

أرب يبـــول الثعلبـــان بـــرأســـه   لقد هان من بالت عليه الثعالب[(٢)]

وبمعنى القائم على الشيء ومدبره ومصلحه ومتوليه.

ومنه قوله في الحديث: «**هل لك عليه من نعمة تربها**[(٣)]»: أي تقوم بها وتصلحها.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: «لأن يَرُبَّني بنو عمي أحب إلي من أن يَرُبَّني غيرهم»[(٤)]: أي يكون علي ربا، أي أميراً يقوم بأمره ويملك تدبيره ويدخل تحت طاعته.

ومنه قولهم: «أديم مربوب»[(٥)] وقول النابغة الذبياني[(٦)]:

تخـب إلـى النعمـان حتـى تنـالـه   فدى لك من رب طريفي وتالدي

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٣٩.

(٢) ذكر صاحب «شرح مغني اللبيب» للبغدادي ٢: ٣٠٤ـ٣٠٩: أنه يُروى لراشد بن عبد ربه، ولغاوي بن ظالم السلمي، ولأبي ذر الغفاري، وللعباس بن مرداس، وانظر: «المحرر الوجيز» ١: ٦٥، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٣٧، «البحر المحيط» ١: ١٨.

(٣) أخرجه مسلم في البر والصلة ـ الحديث ٢٥٦٧ من حديث أبي هريرة، وكذا أحمد ٢: ٢٦٢، ٤٠٨، ٤٦٢، ٤٨٢، ٥٠٨.

(٤) أخرجه البخاري في التفسير ـ الحديث ٤٦٦٦.

(٥) انظر: «المحرر الوجيز» ١: ٦٥.

(٦) انظر: «ديوانه» ص٩٢، «تفسير الطبري» ١: ١٤٩.

وبمعنى صاحب الشيء، كما قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[١] أي صاحب العزة.

وكل هذه المعاني حق بالنسبة له ـ تعالى ـ فهو تعالى مربي الخلق وخالقهم ومالكهم وسيدهم، وهو معبودهم بحق، وهو القيوم على كل شيء ومدبره ومصلحه. وهو صاحب العزة سبحانه وتعالى[٢]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٣] «الرب: هو المربي الخالق الرازق الناصر الهادي».

واسمه تعالى «الرب» يفيد أن الربوبية صفة ذاتية له ـ تبارك وتعالى وصفة فعلية[٤].

وربوبية الله لخلقه نوعان: ربوبية خاصة، وربوبية عامة:

فالربوبية العامة: هي خلقه للمخلوقين وملكه لهم، وتدبيره الكوني لهم، ورزقه لهم، وهدايتهم لمصالح دنياهم ونحو ذلك.

وهذه شاملة لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم، ناطقهم وبهيمهم، حيهم وجمادهم كما في قوله ـ تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٨٠.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١: ١٤١ـ١٤٣، «معالم التنزيل» ١: ٣٩، «الكشاف» ١: ٨، «المحرر الوجيز» ١: ٦٤ـ٦٦، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٣٦ـ١٣٧، «لباب التأويل» ١: ١٦، «البحر المحيط» ١: ١٨، «تفسير ابن كثير» ١: ٤٨، «أنوار التنزيل» ١: ٨. وانظر: «الصحاح»، «اللسان» مادة «رب».

(٣) في «مجموع الفتاوى» ١٤: ١٣.

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٣٧.

وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾[٢].

والربوبية الخاصة: هي ربوبية الله ـ تعالى ـ لأوليائه بهدايتهم إلى الصراط المستقيم بالإيمان والعلم النافع، والعمل الصالح، وفعل الخيرات، وترك المنكرات، وذلك ملاك الأمر مع توفيقهم وحفظهم.

كما قال إبراهيم ـ عليه السلام: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾[٣].

وقال موسى عليه السلام: ﴿ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾[٤].

وكما في قول المؤمنين: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾[٥] وغير ذلك.

ولما كان من أخص معاني الرب المالك والمدبر والقائم بما يصلح الخلق كان كثير من دعاء الأنبياء والمؤمنين باسمه تعالى «الرب» لأنه أحق باسم الاستعانة والمسألة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٦]: «فعامة المسألة والاستعانة

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٦.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٢٥.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(٦) في «مجموع الفتاوى» ١٤: ١٣، وانظر «دقائق التفسير» ١: ١٧٦ـ١٧٧، وانظر ما يأتي في الفائدة الرابعة عشره من فوائد الفاتحة ص٣٠٧ ـ ٣٠٩.

المشروعة باسم الرب».

و«**الرب» بالتعريف لا يطلق إلا على الله تعالى**. ورب كذا بالإضافة يطلق عليه وعلى غيره فلزم إذا أريد به غير الله أن يقيد بالإضافة، فيقال: رب الدار، ورب الإبل[١]، كما قال تعالى: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾[٢].

وقال يوسف عليه السلام: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾[٣].

وقال أيضاً: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾[٤].

وفي الحديث: «**أن تلد الأمة ربتها**»[٥].

ويظهر جليا من تعريف اسمه تعالى «الله»، و«رب العالمين» دخول اسم «الرب» في اسمه تعالى «الله».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٦] عن هذين الاسمين: «فالاسم الأول ـ يعنى ـ «الله» يتضمن غاية العبد ومصيره ومنتهاه، وما خلق له، وما فيه صلاحه وكماله وهو عبادة الله. والاسم الثاني ـ يعني ـ «رب العالمين» يتضمن خلق العبد ومبتداه، وهو أنه يَرُبُّه ويتولاه، مع أن

---

(١) انظر: «الصحاح» مادة: «رب»، «معالم التنزيل» ١:٤٠، «الكشاف» ١:٨، «زاد المسير» ١:١١، «الجامع لأحكام القرآن» ١:١٣٧، «تفسير ابن كثير» ١:٤٨.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٤١.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٤٢.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٥٠.

(٥) سبق تخريجه قريباً.

(٦) في «مجموع الفتاوى» ١٤:١٣، وانظر «دقائق التفسير» ١:١٧٧.

الثاني يدخل في الأول دخول الربوبية في الإلهية، والربوبية تستلزم الألوهية أيضاً».

والعالمين: جمع عالَم بفتح اللام، اسم جمع لا واحد له من لفظه، كرهط وقوم.

والعالمين: كل موجود سوى الله ـ تعالى ـ وقد جمع ليشمل كل جنس ممن سُمّى به، فيعم جميع المخلوقات في السموات والأرض، وما بينهما من الملائكة والإنس والجن والشياطين، والحيوانات والجمادات وغير ذلك من سائر المخلوقات[1] كما دخلت عليه «أل» الدالة على الاستغراق ليشمل كل فرد من أفراد تلك الأجناس[2].

وهو مشتق من العلامة[3]، لأن كل ما في الوجود من المخلوقات علامة على وجود الله، وكماله بذاته وصفاته.

كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ

---

(١) انظر «تفسير الطبري» ١: ١٤٣ـ١٤٦، «معالم التنزيل» ١: ٤٠، «الكشاف» ١: ٨ـ٩، «المحرر الوجيز» ١: ٦٦، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٣٨، «البحر المحيط» ١: ١٩، «تفسير ابن كثير» ١: ٤٨ـ٤٩، وانظر: «لسان العرب» مادة «علم».

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٣٣.

(٣) انظر: «زاد المسير» ١: ١٢، «تفسير ابن كثير» ١: ٤٩، «أضواء البيان» ١: ٣٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.

﴿وَأَلْوَانِكُمْ﴾[١]. إلى غير ذلك من الآيات[٢].

قال ابن المعتز:

فـواعجبـا كيـف يعصـى الإلـه أم كيـف يجحـده الجـاحـد
وفـي كـل شـيء لـه آيـة تـدل علـى أنـه واحـد

ويقال إنه مشتق من «العِلم» بكسر العين[٣].

والقول بأنه مشتق من «العلم» إن أريد به أنه تعالى خلق «العالمين» عن علم منه جل وعلا بهم، كما خلقهم - أيضاً - عن قدرة تامة «فصحيح»، كما قال تعالى ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾[٤].

وإن أريد به أن هذه المخلوقات سميت عوالم، لأن عندها شيئاً من العلم المحدود الناقص القليل، أو عندها ما يخصها من العلم.

كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[٥] فهذا محتمل.

والقول بأنه مشتق من العلامة هو الأظهر، ويحتمل أنه مشتق منها

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢٢.
(٢) راجع ما تقدم في المبحث السادس في بيان معنى الآية من هذا الفصل.
(٣) انظر: «الكشاف» ١: ٨-٩، «زاد المسير» ١: ١٢، «البحر المحيط» ١: ١٨، «تفسير ابن كثير» ١: ٤٩.
(٤) سورة الطلاق، الآية: ١٢.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

ومن العلم[١] والله أعلم.

وجمع «العالمين» جمع من يعقل، علماً أنه يتناول العقلاء وغيرهم من باب تغليب العقلاء على من سواهم، لأن العقلاء هم المعنيون بالخطاب والتكليف، لما ميزهم الله به عن الحيوان والجماد من العقل والإدراك، الذي هو مناط التكليف.

وهذا كقوله ـ تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾[٢].

وكقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾[٣].

فقد غلب العقلاء على غيرهم في الآية الأولى بقوله ﴿عرضهم﴾، ﴿هؤلاء﴾، وفي الآية الثانية بقوله: ﴿فمنهم﴾.

أما قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾[٤] ونحوه.

فالمراد به الإنس والجن فقط فاستخدم لفظ «العالمين» لبعض مدلوله.

وإنما حمل على أنه خاص بهم، لأنهم هم المعنيون بالنذارة دون غيرهم من سائر المخلوقات.

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» ١: ٤٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣١.

(٣) سورة النور، الآية: ٤٥.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ١.

وهكذا فإن السياق نفسه يحدد المراد بلفظة: «العالمين» أهو العموم لجميع المخلوقات كما في أكثر المواضع الواردة في القرآن أم الخصوص لبعضها كما في آية الفرقان.

وكما في قوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٥﴾[١]. فالمراد بهذا الذكران من عالمي زمانهم من الإنس، وهكذا.

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: الرحمن صفة ثانية للفظ الجلالة «الله» والرحيم صفة ثالثة له، وكل منهما مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره أو هما بدلان من لفظ الجلالة.

وهذا بعد قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ثناء على الله ـ تبارك وتعالى لقوله ـ عز وجل ـ في حديث أبي هريرة: «**فإذا قال العبد (الرحمن الرحيم) قال الله: أثنى علي عبدي**» رواه مسلم[٢].

و«الرحمن الرحيم»: اسمان من أسماء الله ـ تعالى يدل كل منهما على إثبات صفة الرحمة وأثرها، وقد تقدم الكلام عليهما مستوفى في الكلام على البسملة[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٤] بعدما بين أن اسم «الله» أحق بالعبادة، وأن اسم «الرب» أحق بالاستعانة. ـ قال: «والاسم «الرحمن»

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٦٥.
(٢) سبق تخريجه في ذكر أسماء الفاتحة في المبحث الثاني من هذا الباب.
(٣) في المبحث الثاني من الفصل الثاني من الباب الأول.
(٤) في «مجموع الفتاوى» ١٤: ١٣ وانظر «دقائق التفسير» ١: ١٧٧.

يتضمن كمال التعلقين، وبوصف[١] الحالين فيه تتم سعادته - يعني العبد - في دنياه وأخراه، ولهذا قال - تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾. فذكر ههنا الأسماء الثلاثة: «الرحمن»، و«ربي»، و«الإله»، وقال: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾[٢] كما ذكر الأسماء الثلاثة في أم القرآن..».

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ مالك صفة رابعة للفظ الجلالة «الله»، أو بدل منه مجرور مثله وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، وهو مضاف و«يوم» مضاف إليه مجرور، ويوم مضاف و«الدين» مضاف إليه مجرور وعلامة جره كل منهما الكسرة الظاهرة على آخره.

وهذا بعد قوله - تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ تمجيد لله - تعالى. لقوله - تعالى - في حديث أبي هريرة: [«**فإذا قال العبد: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ قال الله: «مجدني عبدي»**.

قرأ عاصم والكسائي: ﴿مالك﴾ بالألف اسم فاعل من «المِلك» بكسر الميم وسكون اللام كقوله - تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾[٣].

ومعنى «المالك»: المتصرف في الأعيان المملوكة كيف يشاء.

وقرأ باقي السبعة (مَلِك) والملِك هو الحي الذي يتصرف فيأمر وينهى ويطاع، مأخوذ من «المُلْك» بضم الميم كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ

---

(١) في بعض النسخ: «ووصف» انظر «دقائق التفسير» ١: ١٧٧.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[١]، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾[٢]، وقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾[٣]، وقوله: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾[٤]، وقوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾[٦]، وقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾﴾[٧].

و«مَلِك» على وزن «فَعِل» صفة مشبهة تدل على ثبوت ملكه ودوامه، وأن له التصرف التام في الأمر والنهي.

وقراءة «مَلِك» أعم وأشمل من قراءة «مالك» إذ إن كل مَلِك مالك، وليس كل مالك ملكاً[٨].

وقال بعضهم بل قراءة (مالك) أعم وأشمل. قال في «لسان العرب»[٩]: «روى المنذر عن أبي العباس أنه اختار «مالك يوم الدين» وقال: كل من يملك فهو مالك، لأنه بتأويل الفعل مالك يوم الدين أي

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٧، وسورة المائدة، الآية: ٤٠.
(٢) سورة المائدة، الآية: ١٨.
(٣) سورة فاطر، الآية: ١٣، وسورة الزمر، الآية: ٦.
(٤) سورة التغابن، الآية: ١.
(٥) سورة الملك، الآية: ١.
(٦) سورة الحشر، الآية: ٢٣، وسورة الجمعة، الآية: ١.
(٧) سورة الناس، الآية: ١ـ٢.
(٨) انظر: «معالم التنزيل» ١: ٤٠، «الكشاف» ١: ٩، «زاد المسير» ١: ١٣، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٤٠ـ١٤١.
(٩) مادة: ملك.

يملك إقامته، ومنه قوله تعالى: ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾»[١].

وكل من القراءتين سبعية وصحيحة ثابتة، نزل بها جبريل من عند الله على النبي ـ ﷺ ـ وإذا صح في الآية أكثر من قراءة فكل قراءة بمثابة آية. ولا تجوز المقارنة بين ألفاظ تلك القراءات من حيث الجودة والحسن إذ ليس في كلام الله جيد وأجود، وحسن أحسن، بل كل كلامه ـ تعالى في غاية الجودة والحسن، وفي أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[٢].

﴿يوم الدين﴾ «اليوم» في الأصل هو القطعة من الزمن قليلة كانت أو كثيرة: أي مطلق الوقت.

فمن اطلاقه على الزمن وإن كان قليلاً قوله ـ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾[٣]: أي ساعة التقى الجمعان.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾[٤]. وقوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾[٥]، ويقال: «شاهدتك يوماً، أو سمعتك يوم كذا»: أي لحظة من يوم[٦].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.
(٢) سورة النساء، الآية: ٨٢.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٥.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.
(٥) سورة مريم، الآية: ١٥.
(٦) انظر «البحر المحيط» ١: ٢١

كما يطلق على الزمن الطويل قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٤٧﴾[1].

وقال تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾[2]، وهو اليوم الآخر، ويوم القيامة، كما ذكره الله تعالى في آيات عديدة من كتابه العزيز.

واليوم في الشرع: ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس[3]. ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾[4]، وقوله: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[5].

وقوله: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ﴾[6]، وقوله: ﴿۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾[8].

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[9].

---

(١) سورة الحج، الآية: ٤٧.
(٢) سورة المعارج، الآية: ٤.
(٣) انظر «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٤٣، «البحر المحيط» ١: ٢١
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٤.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٨٤.
(٦) سورة البقرة، الآية: ١٩٦.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٠٣.
(٨) سورة المائدة، الآية: ٨٩.
(٩) سورة يونس، الآية: ٣.

لأن الصحيح من أقوال أهل العلم أن هذه الأيام الستة كأيام الدنيا، لأن الله خاطب العرب بما يعرفون.

وأيام الله تعالى هي نعمه تعالى، وثوابه للمطيعين، ووقائعه في العاصين كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[2].

و **(الدين)** هو الحساب والجزاء على الأعمال خيرها وشرها[3].

كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾[4] أي جزاء أعمالهم.

وقال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[5]: أي غير مجزيّين بأعمالكم ومحاسبين عليها.

وذكر الله عن الكفار قولهم: ﴿ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٥.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ١٤. انظر: «تفسير الكريم الرحمن» ٤: ١٢٤، ٧: ٢٣.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» ١: ٢٣، «تفسير الطبري» ١: ١٥٥-١٦٠، «صحيح البخاري» مع الفتح ٨: ١٠٦، «معالم التنزيل» ١: ٤٠، «الكشاف» ١: ٩، «المحرر الوجيز» ١: ٧٣، «تفسير ابن كثير» ١: ٥١، وانظر: مادة «دين» في «المفردات في غريب القرآن»، و«لسان العرب».

(٤) سورة النور، الآية: ٢٥.

(٥) سورة الواقعة، الآيتان: ٨٦، ٨٧.

لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[1]: أي لمجزيون، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾ ﴾[2]: أي إن الجزاء على الأعمال لواقع حقيقة.

وقال تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ ﴾[3]: أي تكذبون بالحساب والجزاء على الأعمال.

وقال تعالى: ﴿ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ ﴾[4]. وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ﴾[5]. وقال تعالى: ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ ﴾[6]: أي فما يكذبك بالبعث والحساب والجزاء على الأعمال.

وتفسير الدين بالمحاسبة والمجازاة معروف مشهور في كلام العرب.

قال شهل بن شيبان من قصيدة له في حرب البسوس[7].

ولـــم يبـــق ســـوى العـــدوا ن دنـــاهـــم كمـــا دانـــوا

وقال آخر:

واعلـم يقينـا أن ملكـك زائـل   واعلـم بـأن كمـا تـديـن تـدان[8]

---

(١) سورة الصافات، الآية: ٥٣.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٦.

(٣) سورة الانفطار، الآية: ٩.

(٤) سورة الانفطار، الآية: ١٥.

(٥) سورة الانفطار، الآية: ١٧-١٩.

(٦) سورة التين، الآية: ٧.

(٧) «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي ١: ٣٥ - نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون - القاهرة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، «الكشاف» ١: ٩، «المحرر الوجيز» ١: ٧٣.

(٨) انظر «تفسير الطبري» ١: ١٥٥. وقد نسب البيت ليزيد الكلابي في «الكامل» ١: ١٩١، «جمهرة الأمثال» للعسكري ١٦٩، «المخصص» ١٧: ١٥٥، ونسب في «اللسان» مادة: «دان» لخويلد بن نوفل الكلابي يخاطب الحارث بن أبي شمر الغساني، وكان اغتصبه =

وقال آخر:

حصـادك يـومـاً مـا زرعـت وإنمـا يدان الفتى يوماً كما هو دائن[١]

وفي المثل والأثر: «كما تدين تدان»[٢]

والمراد بـ﴿يوم الدين﴾ يوم القيامة، يوم قيام الناس من قبورهم، وقيام الأشهاد من الرسل والأنبياء والصالحين والملائكة، ويوم قيام العدل الحقيقي، يوم إدانة الخلائق ومحاسبتهم ومجازاتهم بأعمالهم إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾[٤].

قال عمر ـ رضي الله عنه ـ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وتأهبوا للعرض الأكبر على من لا تخفى عليه أعمالكم ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾[٥].

ويطلق الدين على الملة والشريعة، كما قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم

= ابنته. ونسب في «مجاز القرآن» ١: ٢٣ ـ إلى ابن نفيل يزيد بن الصعق واسم الصعق: عمرو بن خويلد بن نفيل.

(١) نسبه القرطبي في «تفسيره» ١: ١٤٣-١٤٤ ـ للبيد، وليس في ديوانه.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» ١: ٢٣، «لسان العرب: «مادة» دين»، «فتح الباري» ٨: ٤٥٨.

(٣) سورة غافر، الآية: ١٧.

(٤) سورة الجاثية، الآية: ٢٨.

(٥) سورة الحاقة، الآية: ١٨. انظر: «تفسير ابن كثير» ١: ٥١.

﴿مُسْلِمُونَ ١٣٢﴾[١]. وقال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[٨].

ويطلق على الحكم والقضاء الشرعي قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾[٩]: أي في حكمه وقضائه الشرعي[١٠].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾[١١]: أي في قضاء الملك.

ويطلق على العادة والشأن والحال والخلق[١٢]

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦، انظر: «المحرر الوجيز» ١: ٧٢، «أنوار التنزيل» ١: ٨، «البحر المحيط» ١: ٢١.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٦) سورة التوبة، الآية: ٣٣، وسورة الفتح، الآية: ٢٨، وسورة الصف، الآية: ٩.
(٧) سورة التوبة، الآية: ٣٦، وسورة يوسف، الآية: ٤٠، وسورة الروم، الآية: ٣٠.
(٨) سورة التوبة، الآية: ٣٣، وسورة الفتح، الآية: ٢٨، وسورة الصف، الآية: ٩.
(٩) سورة النور، الآية: ٢.
(١٠) انظر: «البحر المحيط» ١: ٢١.
(١١) سورة يوسف، الآية: ٧٦.
(١٢) انظر: «المحرر الوجيز» ١: ٧٢، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٤٤، «البحر المحيط» =

قال امرؤ القيس[١]:

كـدينـك مـن أم الحـويـرث قبلهـا وجـارتهـا أم الـربـاب بمـأسَـلِ

وقال المُثقَّب العَبْدي[٢]:

تقـــول إذا دَرأتُ لهـــا وَضِيْنـــي أهـــذا دِينُـــه أبـــدا ودِينـــي

ويطلق على الطاعة[٣]. قال زهير[٤]:

لئـن حللـت بجـو فـي بنـي أسـد في دين عمرو وحالت بيننا فدك

أي: في طاعة عمرو.

وفي السير أنه ﷺ قال لقريش: «**كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم**»[٥]: أي تطيعكم وتخضع لكم.

ويطلق على القهر ومنه: المدين للعبد، والمدينة للأمة[٦]، ومنه

= ١: ٢١.

(١) «ديوانه» ص٩. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ القاهرة، «شرح القصائد العشر» للتبريزي ص٣٠، «وهو البيت السابع في معلقته» تحقيق فخر الدين قباوة ـ حلب ١٣٩٣هـ.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» ١: ٧٣، وانظر: «اللسان» مادة: «وضن». والوضين: بطان منسوج بعضه على بعض يشد به الرحل على البعير.

(٣) انظر: «معالم التنزيل» ١: ٤٠، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٤٥، «البحر المحيط» ١: ٢١، «أنوار التنزيل» ١: ٨.

(٤) انظر: «المحرر الوجيز» ١: ٧٣.

(٥) انظر: «سيرة ابن هشام» ٢: ٥٩، «اللسان» مادة» دين».

(٦) انظر: «البحر المحيط» ١: ٢١، وانظر: «اللسان» مادة: «دين».

قول عمرو بن كلثوم[١]:

وأيــــام لنـــا غـــرٌّ طـــوال عصينـا المَلْـكَ فيهـا أن نـدينـا

أي: أن نقهر.

وقال ذو الأصبع العدواني[٢]:

لاهِ ابنُ عمك لا أفضلت في حسب عنـي ولا أنـت ديـاني فتخـزونـي

والدَّين: بالفتح ما تعلق بذمة العبد من حقوق الله، كصيام نذر، أو من حقوق العباد كثمن مبيع، أورد قرض ونحو ذلك.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾[٤].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «جاء رجل إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال: يارسول الله إن أمي ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها؟ فقال: «لو كان على أمك دين، أكنت قاضيه عنها؟. قال: نعم. قال: «فدَين الله أحق أن يقضى» متفق عليه[٥].

---

(١) «شرح القصائد السبع الطوال» لأبي بكر بن الأنباري ص٣٨٨، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ضمن معلقة عمرو بن كلثوم.

(٢) انظر: «البحر المحيط» ١: ٢١، وفي «اللسان» مادة: «دين»:
لاه ابـنُ عمّـك لا أفضلـت فـي حسـب فينـا، ولا أنـت ديـانـي فتخـزونـي
قال ابن منظور: «أي لست بقاهر لي فتسوس أمري».

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٤) سورة النساء، الآية: ١١.

(٥) أخرجه البخاري في الصوم ـ باب من مات وعليه صوم ـ الحديث ١٩٥٣، ومسلم في الصيام ـ باب قضاء الصيام عن الميت ـ الحديث ١١٤٨.

وقال الشاعر:

تُعَيِّرني بالدَّين قومي، وإنما تَدَيَّنْت في أشياءَ تُكْسِبُهم حَمْدا[١]

ومعنى (مالك يوم الدين):

أي أنه ـ عز وجل ـ مالك ذلك اليوم، ومليكه، لا مَلِك في ذلك اليوم، ولا مالك سواه ـ تبارك وتعالى ـ فهو تعالى المالك لجميع الأعيان، المتصرف فيها، لا ينازعه أحد في مملوكاته.

وهو الملك الذي أمره ونهيه نافذ في جميع مملكته جل وعلا. كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾[٨]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ

---

(١) انظر: «لسان العرب» مادة: (دين).
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٧٣.
(٣) سورة الحج، الآية: ٥٦.
(٤) سورة الفرقان، الآية: ٢٦.
(٥) سورة غافر، الآية: ١٦.
(٦) سورة يس، الآية: ٨٢.
(٧) سورة طه، الآية: ١٠٨.
(٨) سورة هود، الآية: ١٠٥.

وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾[1].

وإنما أضاف «الملك» ليوم الدين، وخصه به، دون ملك أيام الدنيا، مع أنه تعالى مالك الدنيا والآخرة، ومليكهما كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾[4]، لعظمة ذلك اليوم[5]، وتفرده ـ تعالى ـ بنفوذ الأمر فيه حيث يظهر للخلائق تمام الظهور تفرده بالملك حقيقة، وتمام ملكه وعدله تعالى ـ وحكمته، وانقطاع أملاك الخلائق الدنيوية[6].

تلك الأملاك التي خولها الله تعالى ـ من شاء كما قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾[7] وقال

(١) سورة النبأ، الآية: ٣٨.
(٢) سورة الليل، الآية: ١٣.
(٣) سورة طه، الآية: ١١٤، وسورة المؤمنون، الآية: ١١٦.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ١١١، وسورة الفرقان، الآية: ٢.
(٥) أخرج مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها ـ الحديث ٢٨٥٨ ـ عن المستورد قال قال رسول الله ﷺ: **«والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع»** وأخرج الترمذي في الزهد ـ الحديث ٢٣٢٠ عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ **«لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»**.
(٦) انظر «معالم التنزيل» ١: ٤٠، «زاد المسير» ١: ١٣، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٤٣ «مجموع الفتاوى» ٦: ٢٦٦، «البحر المحيط» ١: ٢٢، «تفسير ابن كثير» ١: ٥١، «أنوار التنزيل» ١: ٨، «تفسير الكريم الرحمن» ١: ٣٥.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾[(١)].

وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾[(٣)].

وهذه الأملاك الدنيوية، ملوكها وما ملكوا ملك له ـ جل وعلا ـ. ولهذا حَرم أن يتسمى بملك الأملاك، لأن الله عز وجل هو مالك الأملاك كلها ولهذا قال ـ ﷺ ـ في حديث أبي هريرة: «**أخنع الأسماء عند الله رجل تسمى بملك الأملاك**»[(٤)].

وكثير من هؤلاء الملوك خارجون عن طاعته ـ جل وعلا ـ مبارزون له في المعصية كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾[(٥)] أي ملك عاص لله ظالم للعباد. بل كثير منهم يحكمون ممالكهم بغير حكم الله، ويظلمون عباد الله، ويتخوضون في مال الله بغير ما يرضي الله.

وقد حكم الله تبارك وتعالى وقضى بزوال هذه الأملاك، ورجوع الملك له وحده في ذلك اليوم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٧.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٢٠.
(٤) أخرجه البخاري في الأدب ـ باب أبغض الأسماء إلى الله ـ الحديثان ٦٢٠٥، ٦٢٠٦، ومسلم في الآداب ـ تحريم التسمي بملك الأملاك، الحديث ٢١٤٣.
(٥) سورة الكهف، الآية: ٧٩.

عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾[(٢)]، وذلك هو الملك الحقيقي، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾[(٤)]، وقال تعالى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾[(٥)]، وقال تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾[(٦)]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾﴾[(٧)].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «**يقبض الله الأرض، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض**»[(٨)].

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «**يطوي الله ـ عز وجل ـ السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟، أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين**

---

(١) سورة مريم، الآية: ٤٠.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٢٣.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٧٣.
(٤) سورة الحج، الآية: ٥٦.
(٥) سورة الفرقان، الآية: ٢٦.
(٦) سورة غافر، الآية: ١٦.
(٧) سورة الانفطار، الآية: ١٩.
(٨) أخرجه البخاري في التفسير ـ باب ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ الحديث ٤٨١٢، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم ـ كتاب صفة الجنة ـ الحديث ٢٧٨٧.

المتكبرون؟»[١].

بل إن ذلك اليوم هو اليوم الحقيقي، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾[٢].

فمجيئه حق، وفيه يظهر الحق تمام الظهور، وهو اليوم الذي يستحق أن يعمل له، وأن يحسب له كل حساب لا أيام الدنيا بل ولا الدنيا كلها.

ولهذا نجد القرآن الكريم كثيراً ما يقرن بين الإيمان بالله تعالى، والإيمان بهذا اليوم «اليوم الآخر» لأنه أكبر حافز على الاستعداد بالأعمال الصالحة[٣].

وقد رُوِيَ عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «لولا الإيمان باليوم الآخر لرأيت من الناس غير ماترى»: أي إن ذلك اليوم أعظم مانع للناس من التهالك في الشر والمعاصي.

وتلك الدار هي الدار الحقة، وتلك الحياة هي الحياة الحقيقة، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[٤].

لهذا كله أضاف الله تبارك وتعالى ـ الملك إلى يوم الدين، إضافة

---

(١) أخرجه مسلم في الموضع السابق الحديث ٢٧٨٨.

(٢) سورة النبأ، الآية: ٣٩.

(٣) انظر: «تيسير الكريم الرحمن» ١: ٤٤.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

إلى أن في قوله قبل هذا: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ ما يدل على أنه مالك الدنيا[١].

قال ابن كثير[٢]: «وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه، لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين، وذلك عام في الدنيا والآخرة...».

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ هذه الآية هي الآية الرابعة من الفاتحة، نصفها للرب ـ جل وعلا ـ، ونصفها للعبد كما قال الله ـ عز وجل ـ في حديث أبي هريرة «**فإذا قال العبد** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ **قال الله: هذا بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل**..» فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ للرب تبارك وتعالى ـ مع ثلاث آيات قبلها، وقوله ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ للعبد، مع ثلاث آيات بعدها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٣] في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾: فهذا تفصيل لقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ فهذا يدل على أنه لا معبود إلا الله، وأنه لايستحق أن يعبد أحد سواه، فقوله: ﴿**إياك نعبد**﴾ إشارة إلى عبادته بما اقتضته إلهيته من المحبة والخوف والرجاء والأمر والنهي. و﴿**إياك نستعين**﴾

---

(١) انظر: «زاد المسير» ١: ١٣.
(٢) في «تفسيره» ١: ٥١.
(٣) في «مجموع الفتاوى» ١: ٨٩.

إشارة إلى ما اقتضته الربوبية، من التوكل والتفويض والتسليم».

و ﴿إياك﴾ في الموضعين ضمير بارز منفصل مبني على الفتح في محل نصب مفعول به مقدم للفعل بعده أو «إيا» ضمير مبني في محل نصب مفعول به والكاف حرف خطاب، لا محل له من الإعراب. وهذا مذهب الأخفش، واختاره الزمخشري، وقال: «وعليه المحققون»[(١)].

وقُدّم المفعول «إياك» على الفعل في الموضعين للاهتمام[(٢)]، ولئلا يتقدم ذكر العبد والعبادة على المعبود[(٣)]، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾[(٤)]، وقوله: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾[(٥)]، ولئلا يتقدم ذكر الاستعانة والمستعين على المستعان به ـ جل وعلا كقوله ـ تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾[(٦)].

وقُدّم أيضاً لإفادة الحصر والاختصاص، لأن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر[(٧)] والاختصاص[(٨)]، لأن في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ تحقيق لمعنى «لا إله إلا الله»، ففي تقديم المعمول

---

(١) في «الكشاف» ١ : ٩، وانظر «معالم التنزيل» ١ : ٤١، «البحر المحيط» ١ : ٢٣، «أنوار التنزيل» ١ : ٩، «الجدول في إعراب القرآن» ١ : ١٩.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» ١ : ٧٥، «الجامع لأحكام القرآن» ١ : ١٤٥، «مدارج السالكين» ١ : ١٠٢ـ١٠٣، «البحر المحيط» ١ : ٢٤، «تفسير ابن كثير» ١ : ٥٢.

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١ : ١٤٥، «مدارج السالكين» ١ : ١٠٢.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٦٤.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٥١.

(٧) الحصر هو اثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه.

(٨) انظر: «الكشاف» ١ : ٩.

«إياك» في الموضعين نفي للعبادة عن غير الله، ونفي للاستعانة بغيره.

وفي قوله: «نعبد» و «نستعين» إثبات العبادة والاستعانة له سبحانه.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في «مدارج السالكين»[١] : «فهو في قوة لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك.. مع أن في ضمير «إياك» الإشارة إلى نفس الذات والحقيقة ما ليس في الضمير المتصل، ففي ««إياك» قصدت وأحببت من» الدلالة على معنى حقيقتك وذاتك قصدي ما ليس في قولك: «قصدتك وأحببتك..»

وكرر الضمير «إياك» مرة أخرى للاهتمام[٢]، ولأن ذلك أفصح[٣].

قال ابن القيم[٤]: وفي إعادة «إياك» مرة أخرى دلالة على تعلق هذه الأمور بكل من الفعلين، ففي إعادة الضمير من قوة الاقتضاء لذلك ما ليس في حذفه فإذا قلت لملك مثلا: « إياك احب، وإياك أخاف وإياك أخاف» كان فيه من اختصاص الحب والخوف بذاته والاهتمام بذكره ماليس في قوله: «إياك أحب وأخاف».

وفي قوله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ بعد الآيات الثلاث الأولى التفات من الغيبة إلى الخطاب كقوله ـ تعالى ـ:

---

(١) ١٠٢:١.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» ١:٧٥، «الجامع لأحكام القرآن» ١:١٤٥.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١:١٦٤.

(٤) في «مدارج السالكين» ١:١٠٣، وانظر: «التفسير القيم» ص٦٨، «البحر المحيط» ١:٢٥.

﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾[1].

وعكسه قوله ـ تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾[2].

والغرض العام من الالتفات في جميع المواضع التي ورد فيها هو تنبيه القارىء والمستمع لأن انتقال الكلام من الغيبة إلى الخطاب أو التكلم أو العكس ونحو ذلك مما ينبه القارىء والمستمع، وأدعى للاصفاء، وأبعث على النشاط[3]، بخلاف ما إذا جاء الكلام على وتيرة واحدة، فإن القارىء أو المستمع قد يغفل أو يمل.

وهناك غرض خاص في كل التفات بكل موضع بحسبه، وقد يكون هذا الغرض ظاهرا كما في قوله ـ تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾[4]. ثم قال: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾﴾[5] فقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ التفات للخطاب بعد الغيبة في قوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾﴾.

والغرض من مجيء الكلام أولا بضمير الغيبة كراهية مواجهة الرسول ـ ﷺ ـ بذلك فلم يقل: «عبست وتوليت أن جاءك الأعمى». بينما خاطبه مواجهة بقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾﴾ إذ لا غضاضة، ولا

---

(١) سورة الإنسان، الآيتان: ٢١-٢٢، انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١:١٤٥، «البحر المحيط» ١:٢٤.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢٢.

(٣) انظر: «الكشاف» ١:١٠.

(٤) سورة عبس، الآية: ١ـ٢.

(٥) سورة عبس، الآية: ٣.

محذور في مواجهة الرسول ـ ﷺ ـ بهذا الخطاب، لأنه ـ ﷺ ـ لا يعلم الغيب قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾(١).

واختلف في الغرض الخاص من الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ بعد الآيات الثلاث قبلها.

فقد قيل إنه لما أثنى على الله فكأنه اقترب وحضر بين يدي الله ـ تعالى ـ فلهذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾(٢).

وقيل: لما ذكر الحقيقَ بالحمد والثناء وصفاته العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء والعبادة والاستعانة، فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات، فقيل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ أي: (إياك) يامن هذه صفاته يخص بالعباده والاستقامة(٣). والله أعلم.

﴿نعبد﴾:

العبادة في الأصل: التذلل والخضوع، ومنه سمي العبد عبداً لذلته وخضوعه وسكينته وخشوعه وانقياده لمولاه. ومنه قولهم: بعير معبّد أي مذلّل بالركوب في الحوائج. قال طَرَفة بن العبد:(٤).

---

(١) سورة النمل، الآية: ٦٥.

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» ١: ٥٢.

(٣) انظر: «الكشاف» ١: ١٠.

(٤) انظر: شرح القصائد السبع الطوال لأبي بكر بن الأنباري ص١٩١ تحقيق عبدالسلام =

إلـى أن تحـامتنـي العشيـرة كلهـا   وأفــردت إفــراد البعيــر المعبّــد

أي: المذلّل.

ومنه قولهم: طريق معبّد: أي مذلل بكثرة وطئه بالأقدام[١].

قال طرفة بن العبد[٢]:

تُبـارى عِتـاقـا نـاجيـات وأتبعـت   وظيفـاً وظيفـاً فـوق مَـوْر مُعَبَّـد

وقال عامر بن الطفيل[٣]:

شحنـا أرضهـم بـالخيـل حتـى   تـركنـاهـم أذلّ مـن الصـراط

فمعنى ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ أي نخصك دون غيرك بأقصى غاية التذلل والخضوع لك محبة وتعظيماً وخوفاً.

والعبادة تطلق ويراد بها فعل العبادة: أي التعبد وهو التذلل والخضوع لله محبة وتعظيماً، وتطلق ويراد بها نفس العبادات، وهي بهذا الإطلاق: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال

= هارون، طبع بمصر سنة ١٤٠٠هـ.

(١) انظر: «معالم التنزيل» ١: ٤١، «الكشاف» ١: ١٠، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٤٥، «البحر المحيط» ١: ٢٣، «تفسير ابن كثير» ١: ٥٢.

(٢) «ديوانه» ص١١ «البيت الثالث عشر من معلقته» تصحيح مكس سلفسون شالون ١٩٠٠م. وانظر «تفسير الطبري» ١: ١٦١، «المحرر الوجيز» ١: ٧٦.

ومعنى تباري: تجاري وتسابق، والعِتاق: جمع عتيق، وهو كريم الأصل، وناجيات: مسرعات. والوظيف: من رسغ البعير إلى ركبته في يديه، وأما في رجليه فمن رسغيه إلى عرقوبيه. والمراد بالوظيف هنا: الخف. والمور: الطريق.

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٤٧.

والأعمال الباطنة والظاهرة[١].

قال ابن القيم[٢]: «وبني ﴿إياك نعبد﴾ على أربع قواعد: التحقق بما يحبه الله ورسوله ويرضاه من قول اللسان والقلب وعمل القلب والجوارح. فالعبودية اسم جامع لهذه المراتب الأربع، فأصحاب (إياك نعبد) حقاً هم أصحابها. فقول القلب هو اعتقاد ما أخبر الله سبحانه به عن نفسه، وعن أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته ولقائه على لسان رسله. وقول اللسان الإخبار عنه بذلك والدعوة إليه والذب عنه وتبيين بطلان البدع المخالفة له، والقيام بذكره، وتبليغ أوامره. وعمل القلب كالمحبة له، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والخوف منه، والرجاء له، وإخلاص الدين له، والصبر على أوامره، وعن نواهيه، وعلى أقداره، والرضى به وعنه، والموالاة فيه، والمعاداة فيه، والذل له والخضوع، والإخبات إليه، والطمأنينة به، وغير ذلك من أعمال القلوب التي فرضها أفرض من أعمال الجوارح، ومستحبها أحب إلى الله من مستحبها، وعمل الجوارح بدونها إما عديم المنفعة، أو قليل المنفعة. وأعمال الجوارح كالصلاة والجهاد، ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات، ومساعدة العاجز والإحسان إلى الخلق، ونحو ذلك، فـ(إياك نعبد) التزام لأحكام هذه الأربعة وإقرار بها».

وعلى هذا فكل ما أمر الله به، بل كل ما تعبد له به ـ سبحانه

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» ١٠:١٤٩.

(٢) في «مدارج السالكين» ١:١٢٦. وانظر «التفسير القيم» ص٩١، وانظر ايضاً ١:٩٩ من «مدارج السالكين».

وتعالى ـ فهو عبادة سواء كان ذلك مما يجب فعله كالصلاة والزكاة والحج والصيام ونحو ذلك، أو مما يجب تركه من المحرمات كالربا والزنا والسرقة ونحو ذلك أو مما يستحب فعله كالصدقة والإحسان وإماطة الأذى عن الطريق، أو مما يستحب تركه كتدخل الإنسان فيما لايعنيه، كما يدخل في ذلك الأمور المباحة كالأكل والشرب والنوم ونحو ذلك، فهذه المباحات مما يفعله الإنسان جبلة، وهي مصلحة صرفة للنفس إلا أن فعلها تقرباً إلى الله ـ تعالى ـ، وامتثالاً لأمره، وصيانة للنفس، وبهدف التقوي على طاعة الله تعالى، وإظهاراً لنعمته ـ تعالى على العبد، كل ذلك عبادة لله تعالى.

عن عوف بن مالك بن نضلة الجشمي، قال: أتيت النبي ـ ﷺ ـ في ثوب دون، فقال: «**ألك مال؟ قال: نعم. قال: من أي المال؟ قال: آتاني الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق. قال: فإذا آتاك الله مالا فليُرَ أثر نعمه الله عليك وكرامته**»[١].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**»[٢].

وبهذه النية والقصد الحسن تكون جميع أعمال العبد المباحة من عادات ونحوها عبادات بينما قد تصبح عبادات كثيرين أشبه شيء

---

(١) أخرجه أبو داود في اللباس ـ باب في غسل الثوب وفي الخلقان ـ الحديث ٤٠٦٣ وصححه الألباني.

(٢) أخرجه الترمذي في الأدب ـ ما جاء أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، الحديث ٢٨١٩، وقال: «حديث حسن».

بالعادات، بسبب الغفلة، وعدم استحضار النية والقصد الحسن. ولهذا يقال «المُوَفقون عاداتهم عبادات والمخذولون عباداتهم عادات» والمُوَفَّق من وفقه الله.

ولابد لصحة العبادة من توفر شرطين:

الأول: الإخلاص لله ـ تعالى ـ كما دل على ذلك قوله ـ تعالى: ﴿إياك نعبد﴾: أي نخصك بالعبادة ونخلصها لك، ونتبرأ من الشرك وأهله ووسائله.

وقوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾[3].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: « **قال الله ـ تبارك وتعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**[4]».

وقال ـ ﷺ ـ: «**إنما الأعمال بالنيات**» متفق عليه[5].

والشرط الثاني: متابعة شرع الله. قال ـ ﷺ ـ: «**من أحدث في**

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٢.

(٢) سورة البينة، الآية: ٥.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٣.

(٤) أخرجه مسلم في الزهد والرقائق ـ باب من أشرك في عمله غير الله ـ الحديث ٢٩٨٥.

(٥) أخرجه من حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ البخاري في بدء الوحي ـ الحديث (١)، ومسلم في الإمارة ـ الحديث ١٩٠٧.

أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» متفق عليه[١].

وقال ـ ﷺ ـ: **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»**[٢].

وذلك بأن تكون العبادة وفق ما شرع الله من حيث الجنس والقدر والصفة والزمان والمكان والسبب. فمثلا زكاة الفطر عبادة ولابد أن يكون المخرج فيها من جنس ما أمر الشرع بإخراجه وهو الطعام لا من الخضار، ولابد من أن يكون المخرج عن الشخص الواحد بمقدار صاع على الصحيح. وأما موافقة الشرع في الصفة فبأن تكون العبادة على الصفة التي شرع الله كالصلاة مثلا ركوعها قبل سجودها ولو عكس لما صحت صلاته. وأما الزمان فبكون العبادة في وقتها كالصلاة مثلاً. وأما المكان فتكون العبادة في مكانها كذبح الهدي. وأما السبب فبأن يكون سبب العبادة قد وجد كصلاة الكسوف لا تصلى إلا عندما يحصل الكسوف أو الخسوف.

وينتظم الشرطين معاً في الدلالة قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾[٣]، وقولهُ تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾[٤] وقوله

---

(١) أخرجه من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ البخاري في الصلح ـ باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ـ الحديث ٢٦٩٧، ومسلم في الأقضية ـ باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور ـ الحديث ١٧١٨.

(٢) أخرجه البخاري معلقاً في البيوع ـ باب النجش قبل الحديث ٢١٤٢، وأخرجه مسلم عن عائشة موصولا في الأقضية الحديث ١٧١٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١١٢.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٢٥.

تعالى: ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾[1]

فالمراد بإسلام الوجه لله الإخلاص له في العبادة.

والمراد بقوله: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي متبع لما جاء عن الله، لامبتدع وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[3].

قال الفضيل بن عياض: «أي أخلصه وأصوبه»[4].

وقد جعل الله ـ تعالى ـ العبودية وصفاً لأكمل خلقه وأحبهم إليه، وهم رسله وأنبياؤه ـ عليهم السلام، كما جعلها وصفاً لمن اصطفاه من المؤمنين.

فوصف بها نبيه محمداً ـ ﷺ ـ أفضل خلقه وخاتم رسله، في أشرف مقاماته، وهو مقام إنزال الكتاب عليه، فقال تعالى: ﴿وَإِن

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٢.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٣) سورة هود، الآية: ٧، وسورة الملك، الآية: ٢.

(٤) انظر «مجموع الفتاوى» ١٠: ١٧٣. وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن الناس ينقسمون بالنسبة لهذين الأصلين، وهما الاخلاص والمتابعة إلى أربعة أقسام أحدها أهل الإخلاص والمتابعة وهم أهل ﴿إياك نعبد﴾ حقيقة والضرب الثاني من لا إخلاص له ولا متابعة، والضرب الثالث من هو مخلص في أعماله لكنها على غير متابعة الأمر والضرب الرابع من أعماله على متابعة الأمر لكنها لغير الله. انظر «مدارج السالكين» ١: ١٠٧ـ١٠٩.

كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾[(٣)].

ووصفه بها في مقام دعائه ـ ﷺ ـ لربه، وعبادته له، ودعوته إليه فقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾[(٤)].

وأرشده إلى القيام بالعبادة في أوقات الشدة والضيق، وأمره بالاستمرار عليها حتى الموت فقال: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾[(٥)].

وقال ـ ﷺ ـ: **«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله»**[(٦)].

وعن عبدالله بن عمرو قال: **«قرأت في التوراة صفة محمد ـ ﷺ ـ: محمد رسول الله، عبدي ورسولي، سميته المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو**

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣.
(٢) سورة الكهف، الآية: ١.
(٣) سورة الفرقان، الآية: ١.
(٤) سورة الجن، الآية: ١٩.
(٥) سورة الحجر، الآيات: ٩٧ـ٩٩، انظر: «مدارج السالكين» ١: ١٢٧ـ١٣٠، «تفسير ابن كثير» ١: ٥٣.
(٦) أخرجه من حديث عمر ـ رضي الله عنه ـ البخاري في الأنبياء ـ باب (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها) الحديث ٣٤٤٥، وأحمد ١: ٢٣، ٢٤، ٤٧.

ويغفر»[١].

كما وصف الله بها سائر أنبيائه ورسله فقال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ﴾[٣]، وقال عن سليمان: ﴿ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٣٠ ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ ﴾[٥]، وقال تعالى عن المسيح: ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ ﴾[٦]، وقال عنه وعن الملائكة: ﴿ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ ﴾[٧]. وقال أيضاً عن الملائكة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ ۝٢٠٦ ﴾[٨]، وقال عنهم: ﴿ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ۝٢٠ ﴾[٩]، وقال عنهم: ﴿ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ۝٢٦ ﴾[١٠].

كما وصف الله بها الصالحين من المؤمنين فقال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ﴾[١١]، وقال تعالى: ﴿ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير ـ تفسير سورة الفتح الحديث ٤٨٣٨.
(٢) سورة ص، الآية: ٤٥.
(٣) سورة ص، الآية: ١٧.
(٤) سورة ص، الآية: ٣٠.
(٥) سورة ص، الآية: ٤١.
(٦) سورة الزخرف، الآية: ٥٩.
(٧) سورة النساء، الآية: ١٧٢.
(٨) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٦.
(٩) سورة الأنبياء، الآيتان: ١٩ـ٢٠.
(١٠) سورة الأنبياء، الآية: ٢٦.
(١١) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

ٱللَّهِ﴾(١).

وجعل لهم البشارة المطلقة فقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾(٢).

كما جعل لهم الأمن المطلق فقال: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۝٦٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٦٩﴾(٣).

وعزل عنهم سلطان الشيطان فقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝٤٢﴾(٤).

وجعل ﷺ احسان العبودية أعلى مراتب الدين فقال في حديث جبريل وقد سأله عن الإحسان فقال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» متفق عليه(٥).

وقوله ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ معطوف على ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وهو وما بعده من الآيات للعبد كما سبق بيانه.

ومعنى ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾: أي نخصك بطلب العون منك في جميع أمورنا(٦) الدينية والدنيوية في جميع الأوقات

---

(١) سورة الإنسان، الآية: ٦.
(٢) سورة الزمر، الآيتان: ١٧-١٨.
(٣) سورة الزخرف، الآيتان: ٦٨-٦٩.
(٤) سورة الحجر، الآية: ٤٢.
(٥) أخرجه من حديث عمر بن الخطاب ـ البخاري في الإيمان ـ باب سؤال جبريل النبي ـ ﷺ ـ الحديث ٥٠، ومسلم في الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ـ الحديث (١)، وأخرجه مسلم ـ أيضاً ـ من حديث أبي هريرة ـ الحديث ٩.
(٦) انظر: «تفسير الطبري» ١: ١٦١-١٦٢، «معالم التنزيل» ١: ٤١، «المحرر الوجيز» ١: ٧٦، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٤٥، «البحر المحيط» ١: ٢٣.

والأحوال، ونعتمد عليك في جلب المنافع ودفع المضار، مع تمام الثقة بك يا ربنا في تحصيل ذلك[١]، ونعلن لك عجزنا وضعفنا وبراءتنا من حولنا وقوتنا وحول كل مخلوق وقوته، فلا حول ولا قوة إلا بالله. ولهذا شرع للمسلم أن يقول عند قول المؤذن: حي على الصلاة حي على الفلاح: «لا حول ولا قوة إلا بالله»[٢].

وفي الدعاء في الحديث: **«اللهم لا تكلني إلى نفسي ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين»**[٣].

قال ابن القيم[٤] ـ رحمه الله ـ: «فإن قلت فما معنى التوكل والاستعانة؟ قلت: هو حال للقلب ينشأ عن معرفته بالله، والإيمان بتفرده بالخلق والتدبير والضر والنفع والعطاء والمنع، وأنه ما شاء كان، وإن لم يشأ الناس، وما لم يشأ لم يكن، وإن شاءه الناس فيوجب له هذا اعتماداً عليه، وتفويضاً إليه، وطمأنينة به، وثقة به، ويقيناً بكفايته لما توكل عليه فيه، وأنه مليء به، ولا يكون إلا بمشيئته شاءه الناس أم أبوه. فتشبه حالته حالة الطفل مع أبويه، فيما ينوبه من رغبة ورهبة هما مَليّان بهما، فانظر في تجرد قلبه عن الالتفات إلى غير أبويه، وحبسه همه على إنزال ما ينوبه بهما فهذه حال المتوكل، ومن كان هكذا مع الله فالله كافيه ولا بد.

---

(١) انظر: «مدارج السالكين»: ١: ١٠٠، «تيسير الكريم الرحمن»: ١: ١.

(٢) أخرجه البخاري في الأذان من حديث معاوية الحديث ٦١٣، ومسلم في الصلاة من حديث عمر بن الخطاب الحديث ٣٨٥.

(٣) أخرجه من حديث أبي بكرة أحمد: ٥: ٤٢. وليس فيه «ولا إلى أحد من خلقك».

(٤) في «مدارج السالكين» ١: ١٠٦ ـ ١٠٧.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[١] أي كافيه، والحسب: الكافي، فإن كان مع هذا من أهل التقوى كانت له العاقبة الحميدة».

وذكرت الاستعانة بعد العبادة مع أن الاستعانة من العبادة من باب ذكر الخاص بعد العام، وتقديم حقه تعالى على حق عباده وحاجتهم، ومن باب تقديم الغاية المقصودة على الوسيلة، وتقديم الأهم على المهم.

والعبادة والاستعانة متلازمتان: فلا تتحقق أحداهما دون الأخرى فالعبادة لا تتحقق بدون الاستعانة بالله، وعونه للعبد، ولا يحصل العون من الله بدون عبادته، وطلب العون منه[٢].

وبهما معاً يتحقق الإيمان فبالعبادة الخالصة لله براءة من الشرك، وبالاستعانة بالله دون سواء براءة من الحول والقوة، وتمام التفويض إلى الله ـ عز وجل ـ وهما كمال الطاعة، وبهما تحصل السعادة الأبدية والنجاة من جميع الشرور.

قال ابن القيم[٣]: «وتقديم العبادة على الاستعانة في الفاتحة من باب تقديم الغايات على الوسائل، إذ العبادة غاية العباد التي خلقوا لها، والاستعانة وسيلة إليها، ولأن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾» متعلق بألوهيته

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٣.

(٢) ولهذا قال الطبري ١: ١٦٣: «إنه يستوى تقديم أحدهما على الآخر».

(٣) في «مدارج السالكين» ١: ١٠٠ـ١٠٢، وانظر «التفسير القيم» ص٦٦ـ٦٨، «معالم التنزيل» ١: ٤١، «البحر المحيط» ١: ٢٥، «تفسير ابن كثير» ١: ٥٣.

واسمه «الله»، و ﴿ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ متعلق بربوبيته واسمه «الرب». فقدم ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ على ﴿ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾، كما تقدم اسم «الله» على «الرب» في أول السورة[1]، ولأن ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ قسم الرب، فكان من الشطر الأول، الذي هو ثناء على الله تعالى، لكونه أولى به و ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ قسم العبد، فكان من الشطر الذي له وهو ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ﴾ إلى آخر السورة، لأن العبادة المطلقة تتضمن الاستعانة من غير عكس، فكل عابد لله تعالى عبودية تامة مستعين به، ولا ينعكس، لأن صاحب الأغراض والشهوات قد يستعين به على شهواته فكانت العبادة أكمل وأتم، ولهذا كانت قسم الرب، ولأن الاستعانة جزء من العبادة، من غير عكس، ولأن الاستعانة طلب منه، والعبادة طلب له، ولأن العبادة لاتكون إلا من مخلص، والاستعانة تكون من مخلص ومن غير مخلص، ولأن العبادة حقه الذي أوجبه عليك، والاستعانة طلب العون على العبادة، وهو بيان صدقته التي تصدق بها عليك، وأداء حقه أهم من التعرض لصدقته. ولأن العبادة شكر نعمته عليك، والله يحب أن يشكر. والإعانة فعله بك، وتوفيقه لك.

فإذا التزمت بعبوديته، ودخلت تحت رقها أعانك عليها، فكان التزامها والدخول تحت رقها سبباً لنيل الإعانة، وكلما كان العبد أتم عبودية كانت الإعانة من الله له أعظم. والعبودية محفوفة بإعانتين إعانة

---

(١) انظر «مجموع الفتاوى» ١٤ : ١٣، «دقائق التفسير» ١ : ١٧٧.

قبلها على التزامها، والقيام بها، وإعانة بعدها على عبودية أخرى، وهكذا أبدا حتى يقضي العبد نحبه. ولأن ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ له و ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ به، وما له مقدّم على ما به، لأن ماله متعلق بمحبته ورضاه، وما به متعلق بمشيئته، وما تعلق بمحبته أكمل مما تعلق بمجرد مشيئته، فإن الكون كله متعلق بمشيئته، والملائكة والشياطين والمؤمنون والكفار والطاعات والمعاصي. والمتعلق بمحبته طاعاتهم وإيمانهم. فالكفار أهل مشيئته، والمؤمنون أهل محبته، ولهذا لايستقر في النار شيء لله أبدا، وكل ما فيها فإنه به تعالى وبمشيئته. فهذه الأسرار يتبين بها حكمة تقديم ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾».

وقد قرن الله ـ تعالى ـ بين عبادته وبين الاستعانة به، والتوكل عليه، وأكد ذلك في مواضع كثيرة من القرآن الكريم[(١)].

قال الله تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾[(٢)]. وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝ ﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ۝﴾[(٤)]، وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ

(١) انظر «مجموع الفتاوى» ١:٢٢، ١٤:٨، «مدارج السالكين» ١:٩٩-١٠٠، «تفسير ابن كثير» ١:٥٢ وانظر ما يأتي في ذكر الفائدة الثامنة والعشرين من فوائد الفاتحة.

(٢) سورة هود، الآية: ١٢٣.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٩.

(٤) سورة الرعد، الآية: ٣٠.

بِحَمْدِهِۦ﴾(١).

وقال شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝٨٨﴾(٢).

وقال المؤمنون فيما ذكره الله عنهم: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٤﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾(٤).
وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ۝٣٠﴾(٥).

قال الزمخشري(٦) في كلامه على قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ «فإن قلت لم قرنت الاستعانة بالعبادة؟ قلت: ليجمع بين ما يتقرب به العباد إلى ربهم، وبين ما يطلبونه ويحتاجون إليه من جهته».

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾:

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٥٨.
(٢) سورة هود، الآية: ٨٨.
(٣) سورة الممتحنة، الآية: ٤.
(٤) سورة المزمل، الآية: ٩.
(٥) سورة الرعد، الآية: ٣٠.
(٦) في «تفسيره» ١: ١٠، وانظر: «البحر المحيط» ١: ٢٥.

اهدنا: فعل أمر معناه الدعاء[١]، لأن الأمر إذا صدر من الأعلى إلى الأدنى فهو أمر، وأما إذا جاء من الأدنى إلى الأعلى فهو دعاء، وإن كان من المتساويين فهو التماس.

والفاعل: ضمير مستتر وجوباً تقديره: «أنت» و «نا» ضمير متصل في محل نصب مفعول أول للفعل «اهد». والمفعول الثاني «الصراط». والأصل في الفعل «هدى» أنه يتعدى إلى مفعولين الأول بنفسه، ويتعدى إلى المفعول الثاني تارة بنفسه كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ ﴾[٣].

وتارة يتعدى إلى المفعول الثاني بحرف الجر، إما باللام كقوله ـ تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[٤]، وكقوله ـ تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾[٥]، وإما بإلى كقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٢١٣ ﴾[٦]. وقوله: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٤ ﴾[٧]، وقوله: ﴿ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» ١: ٧٧.
(٢) سورة الفتح، الآية: ٢.
(٣) سورة البلد، الآية: ١٠.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٩.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢١٣، وسورة النور، الآية: ٤٦.
(٧) سورة الحج، الآية: ٥٤.

﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾[٥].

قال الطبري[٦]: «والعرب تقول: هديت فلاناً الطريق، وهديته للطريق، وهديته إلى الطريق».

والهداية تنقسم إلى قسمين:

هداية البيان والدلالة والارشاد، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾[٧] أي: أفلم يتبين لهم. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[٨] أي: لتستدلوا بها وتسترشدوا.

وهذه الهداية عامة. فالله ـ تعالى هاد، بمعنى مبين ومرشد للعباد

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨٧.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٦١.
(٣) سورة النحل، الآية: ١٢١.
(٤) سورة الصافات، الآية: ٢٣.
(٥) سورة الشورى، الآية: ٥٢.
(٦) في «تفسيره» ١: ١٦٩، وانظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٤٧، «البحر المحيط» ١: ٢٥.
(٧) سورة طه، الآية: ١٢٨.
(٨) سورة الأنعام، الآية: ٩٧.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴾[4].

والرسل هداة إلى الله تعالى، كما قال تعالى ـ عن أفضلهم نبينا محمد ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[5] وقال: ﴿ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴾[6]. وقال موسى ـ عليه السلام مخاطباً فرعون ﴿ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾[7].

والدعاة إلى الله من المؤمنين هداة كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾[8].

والقسم الثاني هداية التوفيق والإلهام والقبول. وهذه خاصة بالله ـ تبارك وتعالى ـ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[9]، وقال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى

---

(١) سورة فصلت، الآية: ١٧.
(٢) سورة الإنسان، الآية: ٣.
(٣) سورة البلد، الآية: ١٠.
(٤) سورة الليل، الآية: ١٢.
(٥) سورة الشورى، الآية: ٥٢.
(٦) سورة مريم، الآية: ٤٣.
(٧) سورة النازعات، الآية: ١٩.
(٨) سورة غافر، الآية: ٣٨.
(٩) سورة القصص، الآية: ٥٦.

مَن يَشَآءُ ﴾[١]. فنفى عن رسوله ـ ﷺ ـ هذه الهداية التي بمعنى التوفيق، وأثبتها تعالى لنفسه، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩ ﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠ ﴾[٤] أي: هدى كل شيء لما خُلق له وألهمه كقوله: ﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ ﴾[٥] : أي هدى كل مخلوق لما قدّر له.

قال الشاعر:

ولا تعجلنـــي هـــداك المليـــك فـــإن لكـــل مقـــام مقـــالا[٦]

أي: وفقك المليك ـ تبارك وتعالى ـ.

وهذه الهداية الحقة التي من وفق لها ظفر بخيري الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ﴾[٧]، ويجمع الهدايتين قوله

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٢.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٣١.
(٣) سورة النحل، الآية: ٩.
(٤) سورة طه، الآية: ٥٠.
(٥) سورة الأعلى، الآية: ٣.
(٦) ذكره الطبري في «تفسيره» ١: ١٦٧ بدون نسبة. ونسبه المفضل في «الفاخر» ص٢٥٣ لطرفة بن العبد، وليس في ديوانه. ونسبه الشنقيطي في «الدرر اللوامع» ١: ١٦٢ طبعة بيروت ١٣٩٣هـ إلى الحطيئة، وليس في ديوانه. وهو بغير نسبة في «المقتضب للمبرد» ٣: ٢٢٤ تحقيق عظيمة ـ القاهرة ١٩٨٦م، «العقد الفريد» ٥: ٤٩٣ ـ القاهرة ١٣٨٥هـ.
(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٧٨.

تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝ ﴾[1] أي وجدك ضالاً لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلمك ما لم تكن تعلم، ووفقك لأحسن الأعمال والأخلاق[2].

وكذا قوله ـ تعالى ـ هنا ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ﴾ يشمل الهدايتين وينتظم القسمين لأن فعل الهداية إذا عدِّي بحرف تعيَّن معناه وتخصص بحسب معنى الحرف فإذا عدي بإلى تضمن الإيصال إلى الغاية المطلوبة، وإذا عدي باللام تضمن الاختصاص والتعيين، فإذا عدي بنفسه كما في قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ﴾ تضمن ما يجمع ذلك كله أي بَيِّنْ لنا ودُلنا وأَرْشدنا إلى الصراط المستقيم، وأَلهمْنا ووفقْنا فيه وثبتْنا عليه[3].

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله[4] أن للهداية عشر مراتب الأولى هداية العلم والبيان للحق والثانية أن يقدره الله عليه، والثالثة أن يجعله مريداً له، والرابعة أن يجعله فاعلاً له، والخامسة أن يثبته على ذلك، والسادسة أن يصرف عنه الموانع والعوارض، والسابعة أن يهديه في الطريق نفسها هداية خاصة أخص من الأولى فإن الأولى هداية إلى الطريق إجمالاً وهذه هداية فيها وفي منازلها تفصيلاً، والثامنة أن يشهده

---

(١) سورة الضحى، الآية: ٧.

(٢) انظر: «تيسير الكريم الرحمن» ٧: ٦٤٢ـ٦٤٣.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١: ١٦٦ـ١٦٩، «المحرر الوجيز» ١: ٧٧، «بدائع الفوائد» ٢: ٢٠ «تفسير ابن كثير» ١: ٥٤، «تيسير الكريم الرحمن» ١: ٣٦.

(٤) في «مدارج السالكين» ٣: ٥٥٣.

المقصود في الطريق فلا يحجب عنه بالوسيلة، والتاسعة أن يشهده فقره وضرورته إلى هذه الهداية فوق كل ضرورة ، والعاشرة أن يشهده الطريقين المنحرفين عن طريقها وهما طريق أهل الغضب وطريق أهل الضلال.

﴿ ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ الصراط مفعول ثاني لـ﴿اهدنا﴾ كما تقدم و«أل» في الصراط للعهد العلمي الذهني أي الصراط المعلوم المعهود، لأن اللام إذا دخلت على موصوف اقتضت أنه أحق بتلك الصفة من غيره. وإنما جاء الصراط معرفاً لأن المقام مقام دعاء وطلب. ويأتي الصراط منكراً إذا كان المقام مقام إخبار كقوله تعالى: ﴿ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ ﴾[1] وكقوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ﴾[2] وكقوله: ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾[3].

قرأ ابن كثير (السراط) بالسين في جميع القرآن، وقرأ حمزة بإشمام السين بين الزاي والصاد، وقرأ بقية القراء (الصراط) بالصاد[4].

ومعنى الصراط: الطريق المسلوك، والسبيل الواضح مأخوذ من الاستراط وهو الابتلاع، لأنه يبتلع السائر فيه، والماشي عليه: أي

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٨٧.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٦١، انظر «بدائع الفوائد» ٢: ١٢-١٣.
(٤) انظر: «معالم التنزيل» ١: ٤١، «الكشاف» ١: ١١، «المحرر الوجيز» ١: ٧٩، «زاد المسير» ١: ١٤، «أنوار التنزيل» ١: ١١.

يضمه بين جانبيه[١].

﴿المستقيم﴾: صفة للصراط منصوبة مثله.

والمستقيم: هو أقرب خط يصل بين نقطتين[٢]. وهو المعتدل المستوي، الذي لا اعوجاج فيه، ولا التواء[٣].

قال جرير[٤] يمدح هشام بن عبدالملك

أميـر المـؤمنيـن علـى صـراط   إذا اعـوج المـوارد مستقيـم

وقال الآخر: فصد عن نهج الصراط القاصد.

فالصراط المستقيم: هو الطريق المعتدل الواضح الذي لا اعوجاج فيه، ولا التواء، وهو صراط الله كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٦].

وهو الصراط الذي عليه ربنا تبارك وتعالى كما قال هود عليه

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» ١: ٢٤، «المفردات في غريب القرآن» مادة «سرط»، «معالم التنزيل» ١: ٤١، «الكشاف» ١: ١١، «المحرر الوجيز» ١: ٧٩، «زاد المسير» ١: ١٤، «لسان العرب» مادة: «سرط» «بدائع الفوائد» ٢: ١٦، «أنوار التنزيل» ١: ١١.

(٢) انظر: «مدارج السالكين» ١: ٣٣، «التفسير القيم» ص٦٠.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١: ١٧٠، «تفسير ابن كثير» ١: ٥٤، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٤٨، «أنوار التنزيل» ١: ١١.

(٤) انظر: «ديوانه» ص٢١٨، تحقيق د. نعمان طه، القاهرة ١٩٦٩، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٤٧، والموارد: طرق الماء.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٦) سورة الشورى، الآية: ٥٣.

السلام: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٦﴾[(١)].

وهو الصراط المؤدي إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ۝٤١﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾[(٣)]. أي أن السبيل القاصد، وهو المستقيم المعتدل، يرجع إلى الله ـ تعالى ويوصل إليه كما قال طفيل الغنوي.

مضوا سلفاً قصد السبيل عليهم وصرف المنايا بالرجال تقلب

أي ممرنا عليهم ،ووصولنا إليهم.

وقال الآخر:

فهن المنايا أي واد سلكته عليها طريقي أو على طريقها[(٤)]

قال ابن القيم[(٥)]: «ولا تكون الطريق صراطاً حتى تتضمن خمسة أمور: الاستقامة والإيصال إلى المقصود، والقرب، وسعته للمارين عليه، وتعينه طريقاً للمقصود. ولا يخفى تضمن الصراط المستقيم لهذه الأمور الخمسة:

---

(١) سورة هود، الآية:٥٦، انظر: «مجاز القرآن» ١:٢٤، «تفسير الطبري» ١:١٧١، «المحرر الوجيز» ١:٧٩.

(٢) سورة الحجر، الآية:٤١.

(٣) سورة النحل، الآية:٩.

(٤) انظر: «مدارج السالكين» ١:٣٩، «التفسير القيم» ص١٤،١٨، «بدائع الفوائد» ٢:٤٠.

(٥) في «مدارج السالكين» ١:٣٢، وانظر «التفسير القيم» ص١٠، «بدائع الفوائد» ٢:١٦.

فوصفه بالاستقامة يتضمن قربه، لأن الخط المستقيم هو أقرب فاصل بين نقطتين، وكلما تعوج طال وبعد، واستقامته تتضمن إيصاله إلى المقصود، ونصبه لجميع من يمر عليه يستلزم سعته، وإضافته إلى المنعم عليهم، ووصفه بمخالفة صراط أهل الغضب والضلال يستلزم تعينه طريقاً».

والمراد بالصراط المستقيم: طريق الحق والإيمان، والدين القيم، ومعرفة ما جاء به الرسول ـ ﷺ ـ عن ربه في الكتاب والسنة والعمل به وفق ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ـ ﷺ[1] ـ إخلاصاً لله ومتابعة لرسوله ـ ﷺ ـ كما قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[2].

وهو الطريق الموصل إلى ساحل النجاة، وإلى الغاية المنشودة والهدف المقصود، وهي: السعادة في الدنيا والآخرة، والحصول على مرضاة الله وجنته، بأقل وقت وأخصر طريق.

قال ابن القيم[3] بعد أن ذكر قسمي الهداية، وهما هداية البيان والدلالة، وهداية التوفيق والإلهام ـ قال: «وللهداية مرتبة أخرى ـ وهي آخر مراتبها ـ وهي الهداية يوم القيامة إلى طريق الجنة، وهو الصراط

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١:١٧١، «مجموع الفتاوى» ١٠:١٠٧، ١٤:٣٨ـ٣٩، ٧:١٦٦، «تفسير ابن كثير» ١:٥٦.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٣) في «مدارج السالكين» ١:٣٢، وانظر: «التفسير القيم» ص٩ـ١٠، «تفسير ابن كثير» ١:٥٦.

الموصل إليها، فمن هدي في هذه الدار إلى صراط الله المستقيم، الذي أرسل به رسله، وأنزل به كتبه هدي هناك إلى الصراط المستقيم الموصل إلى جنته، ودار ثوابه، وعلى قدر ثبوت العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم، وعلى قدر سيره على هذا الصراط يكون سيره على ذلك الصراط».

كما ذكر في كتابه «بدائع الفوائد»[١] أن الهداية أربعة أنواع: الهداية العامة المشتركة كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝﴾[٢] أي هداه لما خلق له من الأعمال وهذه تشمل الحيوان والجماد. ثم ذكر هداية البيان والدلالة والتعريف لنجدي الخير والشر، وهداية التوفيق والإلهام، ثم قال: والرابع غاية هذه الهداية وهي الهداية إلى الجنة والنار إذا سبق أهلهما إليهما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾[٣] وقال أهل الجنة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا﴾[٤] وقال تعالى عن أهل النار ﴿۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ۝﴾[٥].

---

(١) ٢: ٣٥ ـ ٣٧.

(٢) سورة طه، الآية: ٥٠.

(٣) سورة يونس، الآية: ٩.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.

(٥) سورة الصافات، الآية: ٢٣، كما ذكر ابن القيم في «مدارج السالكين» ١: ٦٢ـ٧٨: أن للهداية الخاصة والعامة عشر مراتب: مرتبة التكليم من الله لعبده، ومرتبة الوحي =

فالمعنى العام لقوله ـ تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ أي بين لنا وأرشدنا إلى سلوك الطريق المستقيم بالعلم النافع والعمل الصالح بمعرفة الحق والعمل به، ووفقنا فيه وثبتنا عليه، وزدنا هداية وإيماناً وعلما، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾[4].

فالعبد في كل لحظة، وفي كل حال، وعند كل مسألة محتاج أعظم الحاجة إلى الهداية إلى الصراط المستقيم.

وذلك بأن يهتدي لمعرفة الحق والحكم في كل مسألة، ويوفق للعمل بما طلب منه سواء كان ذلك فعلاً أو تركا.

قال الطبري[5] في كلامه على قوله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾: «ومعناه نظير معنى قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾» في أنه مسألة من العبد ربه بالتوفيق للثبات على العمل بطاعته. وإصابة الحق

= المختص بالأنبياء، ومرتبة إرسال الرسول الملكي إلى الرسول البشري، ومرتبة التحديث، ومرتبة الإفهام، ومرتبة البيان العام، ومرتبة البيان الخاص والتوفيق، ومرتبة إسماع القلوب، ومرتبة الإلهام، ومرتبة الرؤيا الصادقة.

(١) سورة الكهف، الآية: ١٣.

(٢) سورة مريم، الآية: ٧٦.

(٣) سورة محمد، الآية: ١٧.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٢٤.

(٥) في «تفسيره» ١ : ١٦٦.

والصواب، فيما أمره به ونهاه عنه فيما يستقبل من عمره».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[١]: «وأما سؤال من يقول: فقد هداهم الله فلا حاجة بهم إلى لسؤال وجواب من أجابه بأن المطلوب دوامها كلام من لايعرف حقيقة الأسباب وما أمر الله به، فإن «الصراط المستقيم» أن يفعل العبد في كل وقت ما أمر به في ذلك الوقت من علم وعمل، ولا يفعل ما نهي عنه، وهذا يحتاج في كل وقت إلى أن يعلم ويعمل ما أمر به في ذلك الوقت، وما نهى عنه، وإلى أن يحصل له إرادة جازمة لفعل المأمور، وكراهة جازمة لترك المحظور، فهذا العلم المفصل والإرادة المفصلة لا يتصور أن تحصل للعبد في وقت واحد، بل كل وقت يحتاج إلى أن يجعل الله في قلبه من العلوم والإرادات ما يهتدي به في ذلك الصراط المستقيم. نعم حصل له هدى مجمل بأن القرآن حق، والرسول حق، ودين الإسلام حق، وذلك حق، ولكن هذا المجمل لايغنيه إن لم يحصل له هدى مفصل في كل ما يأتيه ويذره من الجزئيات التي يحار فيها أكثر عقول الخلق، ويغلب الهوى والشهوات أكثر عقولهم لغلبة الشهوات والشبهات عليهم».

وقال ابن القيم[٢] بعد أن ذكر قسمي الهداية: «وهما هدايتان مستقلتان، لايحصل الفلاح إلا بهما، وهما متضمنتان تعريف ما لم

---

(١) في «مجموع الفتاوى» ١٤: ٣٧ـ٣٨، وانظر ٣٢٠ـ٣٢١، ١٠: ١٠٧ «أمراض القلوب وشفاؤها» لابن تيمية ص١١ـ١٢.

(٢) في «مدارج السالكين» ١: ٣١ـ٣٢، وانظر «التفسير القيم» ص٩، «بدائع الفوائد» ٢: ٣٧ـ٣٩.

نعلمه من الحق تفصيلا وإجمالاً، وإلهامنا له، وجعلنا مريدين لاتباعه ظاهراً وباطناً، ثم خلق القدرة لنا على القيام بموجب الهدى بالقول والعمل، ثم إدامة ذلك لنا وتثبيتنا عليه إلى الوفاة. قال: ومن هنا يعلم اضطرار العبد إلى سؤال هذه الدعوة فوق كل ضرورة» وبطلان قول من يقول: إذا كنا مهتدين فكيف نسأل الهداية؟ فإن المجهول لنا من الحق أضعاف المعلوم، وما لانريد فعله تهاوناً وكسلا مثل ما نريده، أو أكثر منه، أو دونه، وما لا نقدر عليه مما نريده ـ كذلك، وما نعرف جملته ولا نهتدي لتفاصيله فأمر يفوت الحصر، ونحن محتاجون إلى الهداية التامة، فمن كملت له هذه الأمور كان سؤال الهداية له سؤال التثبيت والدوام».

وقال ابن كثير[١]: «فإن العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله في تثبيته على الهداية ورسوخه فيها وتبصره وازدياده منها واستمراره عليها. كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾[٢].

وقال السعدي[٣]: «اهدنا إلى الصراط المستقيم، واهدنا في الصراط، فالهداية إلى الصراط لزوم دين الإسلام وترك ما سواه من الأديان، والهداية في الصراط تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علماً وعملاً».

---

(١) في «تفسيره» ١: ٥٦ـ٥٧.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٦.
(٣) في «تفسيره» ١: ٣٦.

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ صراط بدل كل من الصراط في قوله ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾، أو عطف بيان[١]. و﴿الذين﴾ مضاف إليه، وما بعده صلة الموصول.

وفائدة هذا التوكيد والإيضاح والبيان، فهو تفسير للصراط المستقيم، وبيان أنه صراط المنعم عليهم[٢]، وفي ذلك شهادة له بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده[٣].

وإنما عرّف الصراط في الموضع الأول «بأل»، وهنا بالإضافة، لأن طريق الحق واحد أما طُرق الشر فهي كثيرة، متعددة متشعبة، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾[٤].

وعن النواس بن سمعان عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «**ضرب الله مثلا صراطا مستقيماً وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول: ياأيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعوجوا، وداعٍ يدعو فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب، قال: ويحك، لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب**

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ١: ١٦٤، «الكشاف» ١: ١١، «تفسير ابن كثير» ١: ٥٧.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١: ١٧٧، «الكشاف» ١: ١١، «بدائع الفوائد» ٢: ٢٨ـ٢٩.

(٣) انظر: «الكشاف» ١: ١١.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

المفتحة محارم الله، وذلك الداعي على الصراط كتاب الله، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم»[١].

وهكذا غالباً ما يُذكر طريق الحق بالافراد بينما يذكر طريق الشر متعددا، وقد يذكر أحياناً طريق الخير بالتعدد، ويراد به فروع الشريعة.

﴿ **ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ** ﴾ **الإنعام**: إيصال النعمة. والنعمة في الأصل الحالة التي يستلذها الإنسان من لين العيش، والخفض والدعة والمال ونحوها[٢].

والنعمة: اسم جنس يقع على القليل والكثير، وإذا أضيفت إلى معرفة دلت على الإنعام المطلق التام أي على عموم النعم الدينية والدنيوية والأخروية[٣]، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾[٥]، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[٦].

والإنعام خاص بإيصال النعمة والإحسان والخير إلى الغير من بني

---

(١) أخرجه الترمذي في الأمثال باب (١) الحديث ٢٨٥٩، وأحمد ٤: ١٨٢، والطبري في «تفسيره» الحديثان ١٨٦ـ١٨٧. قال ابن كثير في «تفسيره» ١: ٥٦ «إسناده حسن وصححه الحاكم».

(٢) انظر «لسان العرب» مادة «نعم»، «البحر المحيط» ١: ٢٦، «أنوار التنزيل» ١: ١١.

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» ١: ١١. «إجتماع الجيوش الإسلامية» ١ـ ٣.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٥) سورة المائدة، الآية: ١١.

(٦) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤، وسورة النحل، الآية: ١٨.

آدم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾[(١)].

ولا يسمى الإحسان إلى غير الناطقين إنعاماً فلا تقول: أنعمت على الفرس.

﴿عليهم﴾ قرأ حمزة بضم الهاء ﴿عليهُم﴾، وقرأ الباقون بكسرها ﴿عليهِم﴾[(٢)].

والمُنعَم عليهم: هم الذين وفقهم الله لسلوك الطريق المستقيم، للهدى ودين الحق. كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾[(٣)] أي إلى العلم النافع والعمل الصالح، إلى معرفة الحق والعمل به، إلى الإيمان بالله تعالى، إلى طاعة الله وطاعة رسوله - ﷺ -. وتلك أجل نعمة وأعظمها، فهي سبب للسعادة في الدارين، وافلوز بأعلى الدرجات في جنات النعيم.

وهم المذكورون في قوله - تعالى -: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[(٤)].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.

(٢) انظر: «الإقناع في القراءات السبع» ٢: ٥٩٥، «المحرر الوجيز» ١: ٨٣، «زاد المسير» ١: ١٦، «المهذب في القراءات السبع» ص ٤٦.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٨.

(٤) سورة النساء، الآيات ٦٦ - ٧٠. انظر «تفسير الطبري» ١: ١٧٧ - ١٧٩، «الجامع لأحكام =

وهم المذكورون في قوله تعالى في سورة مريم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾[1] أي الذين أنعم الله عليهم بأجل نعمة وأعظمها، وهي: نعمة الإيمان، كما قال تعالى ردا على الأعراب: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[2].

«والنبيين» جمع نبي، ويدخل فيهم الرسل من باب أولى، لأن كل رسول نبي ولا عكس، ويأتي في مقدمتهم أولو العزم، كما قال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[3].

وهم المذكورون في قوله ـ تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾[4].

«**والصِّدِّيقين**»: جمع صدّيق، يدخل فيهم من ثبت بالكتاب أو السنة وصفه أو تسميته بذلك منهم مريم ابنة عمران التي قال الله عنها: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ

= القرآن» ١: ١٤٩، «إجتماع الجيوش الإسلامية» ١ ـ ٣، «بدائع التغيير» ٢: ١٠٠، «تفسير ابن كثير» ١: ٥٧.

(١) سورة مريم، الآية: ٥٨.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٧.

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٧.

كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾[١].

ومنهم أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ لأن الرسول ـ ﷺ ـ سماه «الصديق» كما سيأتي الحديث في ذلك.

«والشهداء» جمع شهيد، وهو من قتل في سبيل الله، ويأتي في مقدمة الشهداء عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ـ رضي الله عنهما ـ حيث شهد لهما الرسول ـ ﷺ ـ بذلك كما روى أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ صعد أُحُدًا وأبو بكر وعمر وعثمان ـ رضي الله عنهم ـ فرجف بهم. فقال النبي ـ ﷺ ـ: «**اسكن أُحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان**» رواه البخاري[٢].

ومنهم أيضاً: علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ، وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص.

كما روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان على جبل حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص، فتحركت الصخرة، وفي رواية «فتحرك» فقال رسول الله ـ ﷺ: «**اسكن حراء**» وفي رواية: «**اهدأ فما عليك إلا نبي وصديق وشهيد**» **رواه مسلم**[٣].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٥.

(٢) في فضائل الصحابة ـ فضل أبي بكر رضي الله عنه، والأبواب بعده ـ الأحاديث ٣٦٧٥، ٣٦٨٦، ٣٦٩٩.

(٣) في فضائل الصحابة ـ فضائل طلحة والزبير ـ الحديث ٢٤١٧.

ومنهم أيضاً: حمزة عم النبي ـ ﷺ ـ، وأنس بن النضر، ومصعب ابن عمير ـ رضي الله عنهم ـ وغيرهم ممن قتل أو يقتل في سبيل الله، وكذا كل من قتل دون ماله كما في حديث عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ، قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «**من قتل دون ماله فهو شهيد**» متفق عليه[1].

لكن ينبغي أن يعلم أنه لا تجوز الشهادة لشخص بعينه أنه شهيد، وإن قتل في المعركة، لأن النيات مغيبة عنا لكن يرجى له ذلك، إلا من ثبت له الشهادة بذلك من النبي ـ ﷺ ـ فقد عقد البخاري: باب لا يقال فلان شهيد، وأخرج فيه عن سهل بن سعد الساعدي ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ التقى هو والمشركون فاقتتلوا فلما مال رسول الله ـ ﷺ ـ إلى عسكره، ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ رجل لايدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه. فقالوا: ما أجزأ منا اليوم أحد، كما أجزأ فلان، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**أما إنه من أهل النار**» الحديث، وفيه: أنه استعجل الموت لما جرح فقتل نفسه[2].

وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: «لما كان يوم خيبر قُتل نفر من أصحاب النبي ـ ﷺ ـ فقالوا: فلان شهيد، وفلان شهيد،

---

(١) أخرجه البخاري في المظالم ـ الحديث ٢٤٨٠، ومسلم في الإيمان ـ الحديث ١٤١.

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد الحديث ٢٨٩٨، ومسلم في الإيمان ـ باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ـ الحديث ١١٢. وأخرج مسلم أيضا نحوه من حديث أبي هريرة الحديث ١١١.

حتى مروا على رجل، فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**كلا إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة**» رواه مسلم[(١)].

وروى أبو العجفاء أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ خطب، فقال: «تقولون في مغازيكم: فلان شهيد، ومات فلان شهيدا، ولعله يكون قد أوقر راحلته، ألا لا تقولوا ذلكم، ولكن قولوا كما قال رسول الله ﷺ: «**من مات في سبيل الله أو قتل فهو في الجنة**»[(٢)].

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾:

«غير» صفة للاسم الموصول «الذين» مبيِّنة أو مقيِّدة على معنى أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة، وهي نعمة الإيمان، وبين السلامة من الغضب والضلال، وقيل هي بدل من الاسم الموصول على معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال والتقدير: غير صراط المغضوب عليهم[(٣)].

والصحيح أنها صفة، وإنما صح مجيء «غير» صفة لمعرفة وهو الاسم الموصول مع أن «غيراً» لاتتعرف لشدة إبهامها ـ لما في من

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان ـ باب غلظ تحريم الغلول، وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، الحديث ١١٤.

(٢) أخرجه النسائي في النكاح ـ الحديث ٣١٤١، وأحمد ١: ٤١، ٤٨، وقال الحافظ ابن حجر: «وهو حديث حسن». وصححه الألباني.

(٣) انظر «معاني القرآن» للفراء ١: ٧، «معاني القرآن» للأخفش ١: ١٦٤ـ١٦٥، «تفسير الطبري» ١: ١٨٠ـ١٨١، ١٨٤، «المدخل لعلم تفسير كتاب الله» ص٨٩ «الكشاف» ١: ١١، «أنوار التنزيل» ١: ١١.

الابهام ورائحة النكرة، ولأن «غيراً» أضيفت إلى «المغضوب» وهي معرفة، ووقعت بين ضدين منعم عليهم ومغضوب عليهم فضعف إبهامها كما قال ابن هشام[١]. أو زال إبهامها وتعرفت كما قال ابن السراج[١] . واختاره ابن القيم[٢] .

و«غير» ملازمة للإفراد والتذكير، وللإضافة لفظاً أو تقديراً، وهي لا تعرّف وإن أضيفت إلى معرفة عند أكثر من اللغة، ولا تدخل عليها الألف واللام[٣] .

وقد روى عن ابن كثير أنه قرأها بالنصب «غيرَ» على الحال، وثبت عنه وعن بقية القراء السبعة قراءتها بالكسر «غيرِ»[٤] .

«غير» مضاف و«المغضوب» مضاف إليه مجرور. و «عليهم» متعلق بـ«المغضوب»، قرأها حمزة بالضم «عليهُم» وقرأها بقية السبعة بالكسر «عليهِم» كقراءة «عليهِمُ» في قوله: ﴿أنعمت عليهم﴾[٥] .

وإنما وصف الله تبارك وتعالى صراط المنعم عليهم بقوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ لتأكيد كمال صراط المنعم عليهم، لأن الصفات السلبية يؤتى بها لإثبات كمال ضدها، كما في قوله ـ تعالى:

---

(١) انظر: «مغنى اللبيب» ١: ١٥٨.
(٢) انظر: «بدائع المحيط» ٢: ٢٣ـ ٢٨.
(٣) انظر: «البحر المحيط» ١: ٢٨.
(٤) انظر: «الكشاف» ١: ١١، «المحرر الوجيز» ١: ٨٥، «تفسير ابن كثير» ١: ٥٧.
(٥) راجع ما سبق في الكلام على قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾[١] .

فقوله : ﴿ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ صفة سلبية جيء بها لاثبات كمال ضدها ، وهي الحياة .

وكقوله ـ تعالى : ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾[٢] . فهو لإثبات كمال قيّوميته ـ تبارك وتعالى .

والغضب : ضد الرضا[٣] .

وفي الحديث : «**ألا وإن الغضب جمرة توقد في ابن آدم ، ألا ترون إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه**[٤]» .

والغضب صفة من صفات الله ـ تعالى ـ يجب إثباتها لله ، كما يليق بجلاله وعظمته ، ولا تشبه صفات المخلوقين .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ ﴾[٥] .

وفي حديث أبي هريرة في الشفاعة : «**إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم**

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٥٨ .

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥ .

(٣) انظر: «لسان العرب» مادة: غضب .

(٤) أخرجه من حديث أبي سعيد الخدري ـ الترمذي في الفتن باب ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة الحديث ٢١٩١ . وقال: «حديث حسن صحيح»، وأحمد ٣: ١٩، ٦١ .

(٥) سورة طه، الآية: ٨١ .

يغضب قبله مثله». متفق عليه[١].

والمراد بالمغضوب عليهم من استوجبوا غضب الله، ووصفوا به، ممن فسدت إرادتهم فعدلوا عن الحق بعد أن عرفوه وعلموه.

وفي مقدمتهم اليهود، قال عدي بن حاتم: سألت رسول الله ـ ﷺ ـ عن قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قال: هم اليهود، ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ قال: هم النصارى»[٢].

وقد وصف الله تعالى اليهود بالغضب وحكم عليهم به في مواضع من كتابه. قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩٠﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا

---

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة مطولا في الأنبياء الحديث ٣٣٤٠، ومسلم في الإيمان الحديث ١٩٤.

(٢) إسناده صحيح. والحديث أخرجه الترمذي في تفسير سورة الفاتحة ـ الحديثان ٢٩٥٣، ٢٩٥٤، وأحمد ٤: ٣٧٨ـ٣٧٩، والطبري في «تفسيره» الأحاديث ١٩٣ـ١٩٥، ٢٠٧ـ٢٠٩، والطيالسي ـ الحديث ١٠٤٠، والطبراني في الكبير ٧: ٩٨ـ١٠٠.
وقد أخرج الطبري ـ الأحاديث ١٩٦ـ١٩٩، ٢١٠ـ٢١٣ عن عبدالله بن شقيق أنه أخبره من سمع النبي ـ ﷺ ـ يقول نحو حديث عدي قال ابن حجر في «الفتح» ٨: ١٥٩: «وزواه أحمد» وأخرجه ابن مردويه فيما ذكر ابن كثير ١: ٥٩ من رواية عبدالله بن شقيق عن أبي ذر ـ موصولاً ـ وقد أشار إلى رواية أبي ذر الحافظ ابن حجر في الموضع السابق وقال: «إسناده حسن».

(٣) سورة البقرة، الآية: ٦١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٩٠.

ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿ ۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ﴾(٥).

وإنما وصفوا بالغضب ووصموا به، واستوجبوه، لأنهم عرفوا الحق وتركوه كفراً وحسداً، كما قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾(٦). وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۘ ﴾(٧).

وعن زيد بن عمرو بن نفيل أنه خرج إلى الشام، يسأل عن الدين، ويتبعه، فلقي عالما من اليهود، فسأله عن دينهم، فقال: إني لَعَلِّي أن أدين دينكم فأخبرني. فقال: لاتكون على ديننا حتى تأخذ نصيبك من غضب الله. قال زيد: ما أفر إلا من غضب الله، ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٢.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٠.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٢.
(٤) سورة المجادلة، الآية: ١٤.
(٥) سورة الممتحنة، الآية: ١٣.
(٦) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.
(٧) سورة البقرة، الآية: ١٤٦، وسورة الأنعام، الآية: ٢٠.

وأني أستطيعه، فهل تدلني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفا. قال زيد: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله، فخرج فلقي عالماً من النصارى، فذكر مثله. فقال: لن تكون على ديننا حتى تأخذ نصيبك من لعنة الله. قال ما أفر إلا من لعنة الله..» الحديث رواه البخاري[١].

﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾: أي ولا صراط الضالين.

فـ الواو: عاطفة و «لا» زائدة إعراباً عند البصريين مؤكدة لمعنى النفي المفهوم من «غير»[٢] لئلا يتوهم عطف الضالين على ﴿ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[٣] وليَدلَ على أن ثم مسلكين فاسدين، وهما: طريق المغضوب عليهم وطريق الضالين[٤] ولرفع توهم أن الضالين وصف للمغضوب عليهم وأن ذلك من عطف الصفات بعضها على بعض[٥].

وقال الكوفيون هي بمعنى «غير» مؤكدة أيضاً[٦]. ويؤيده قراءة عمر ﴿غير المغضوب عليهم وغير الضالين﴾[٧].

---

(١) في مناقب الأنصار ـ باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل ـ الحديث ٣٨٢٧.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١: ١٨٩، «مشكل إعراب القرآن» ١: ٧٢، «الكشاف» ١: ١٢، «المحرر الوجيز» ١: ٨٧، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٥١، «البحر المحيط» ١: ٢٨، ٢٩، «أنوار التنزيل» ١: ١١، «فتح الباري» ٨: ١٥٩.

(٣) انظر «المحرر الوجيز» ١: ٨٧، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٥١، «البحر المحيط» ١: ٢٩، «تفسير ابن كثير» ١: ٥٨.

(٤) انظر «تفسير ابن كثير» ١: ٥٧، ٥٨.

(٥) انظر «بدائع الفوائد» ٢: ٣٤ـ٣٥.

(٦) انظر «فتح الباري» ٨: ١٥٩.

(٧) أخرجها أبو عبيد في «فضائل القرآن»، وسعيد بن منصور في سننه فيما نقل ابن كثير.=

قال الحافظ ابن كثير[١]: «والصحيح من مذاهب العلماء أنه يغتفر الإخلال بتحرير ما بين الضاد والظاء، لقرب مخرجيهما.. لمن لا يميز ذلك»

والضالين: جمع ضال. والضلال هو التيه والجهل والبعد عن الحق[٢] والعدول عن الطريق المستقيم، والانحراف عن المنهج القويم.

يقال: ضل الطريق: أي تاه وانحرف، كما يقال ضال، بدون إضافة قرينة، وإذا أطلق فالمراد به العدول عن الطريق المستقيم، طريق الحق.

ويطلق الضلال على النسيان، كما قال تعالى: ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾[٣] أي أن تنسى إحداهما.

ويطلق على الاختفاء وغياب الشيء كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ﴾[٤] أي غُيِّبنا فيها، وصرنا تراباً.

ومنه قول الشاعر:

ألـــم تســـأل فتخبـــرك الـــديـــارُ عن الركب المُضلل أين ساروا[٥]

= ١: ٥٨. قال ابن كثير «هذا إسناد صحيح» قال وكذلك حكي عن أبي بن كعب أنه قرأ كذلك، وهو محمول على أنه صدر منهما على وجه التفسير». وانظر: «مشكل إعراب القرآن» ١: ٧٢، «معالم التنزيل» ١: ٤٢، «الكشاف» ١: ١٢، «المحرر الوجيز» ١: ٨٧.

(١) في «تفسيره» ١: ٥٩.

(٢) انظر «لسان العرب» مادة: «ضل»، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٣٠، «البحر المحيط» ١: ٢٨، ٢٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٤) سورة السجدة، الآية: ١٠.

(٥) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٥٠.

والمراد بالضالين: من فقدوا العلم، فتركوا الحق عن جهل، وعبدوا الله على غير هدى، وعلى غير بصيرة[١]. قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾[٢].

ويأتي في مقدمة الضالين النصارى[٣] كما في حديث عدي بن حاتم ـ المتقدم قريباً أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال في قوله: ﴿ولا الضالين﴾ هم «**النصارى**».

وهكذا وصف الله النصارى بالضلال في غير هذا الموضع. قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾[٤].

قال ابن كثير[٥] بعد أن ذكر تفسير المغضوب عليهم باليهود والضالين بالنصارى: «وقال ابن أبي حاتم لا أعلم بين المفسرين في تأويل ذلك اختلافاً».

وإذا كان سبب ضلال النصارى في الأصل هو الجهل، فلا يمنع أن يكون طرأ عليهم في هذا الزمن مع الجهل العناد والإصرار. واتباع الهوى،

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١: ١٩٢-١٩٥، «المحرر الوجيز» ١: ٨٦، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ٨٦، «تفسير ابن كثير» ١: ٥٧، ٥٨.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣٢.

(٣) درج كثير من الكتاب المسلمين متأثرين بغيرهم من كتابِ غيرِ المسلمين على تسمية النصارى بالمسيحيين، وهذا خطأ لأن القرآن سماهم النصارى، ولم يسمهم المسيحيين، لأن المسيح منهم بريء.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٧٧.

(٥) في «تفسيره» ١: ٥٩، وانظر: «فتح الباري» ٨: ١٥٩.

كما هو واقع الآن.

وكل من اليهود والنصارى مغضوب عليهم وضالون، وكذا كل من حاد عن منهج الله عن علم، أو عن جهل إلا أن أخص أوصاف اليهود الغضب، ومثلهم من ترك الحق بعد معرفته، وأخص أوصاف النصارى الضلال[١] ومثلهم من عبدالله على جهل.

ولا يلزم من هذا أن لا يوجد من بين اليهود من هو جاهل ضال، ومن بين النصارى من هو عالم، ولا يمنع من هذا أن يكفر نصراني، وهو يعرف الإسلام كما يعرف ابنه وزوجته.

ولما كان اليهود تركوا الحق بعد معرفته، وكانوا أجرأ على محارم الله ـ تعالى ـ، وأقسى قلوباً كانوا أحق بوصف الغضب، وأولى بأن يقدم وصفهم على وصف النصارى الضالين مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[٢].

قال ابن القيم[٣]: «والمغضوب عليه ضال عن هداية العمل، والضال مغضوب عليه لضلاله عن العلم الموجب للعمل، فكل منهما ضال مغضوب عليه، ولكن تارك الحق بعد معرفته أولى بوصف الغضب وأحق

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١: ١٩٥، «تفسير ابن كثير» ١: ٥٧ـ٥٨.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٨٢.

(٣) في «مدارج السالكين» ١: ٣٣ـ٣٤، وانظر «التفسير القيم» ص١١، «بدائع الفوائد» ٢: ٢٩ـ٣٢، «تفسير ابن كثير» ١: ٥٨.

به، ومن هنا كان اليهود أحق به، وهو متغلظ في حقهم. . والجاهل بالحق أحق باسم الضلال، ومن هنا وصف النصارى به. . . ».

وقد ذكر ابن القيم[١] من الوجوه في تقديم المغضوب عليهم على الضالين أن اليهود متقدمون على النصارى من حيث الزمان، وأنهم كانوا هم الذين يلون النبي ﷺ من أهل الكتابين لأنهم كانوا في المدينة أما النصارى فكانت ديارهم نائية، ولأنه تقدم ذكر المنعم عليهم والغضب ضد الانعام والسورة هي السبع المثاني يذكر فيها الشيء وضده.

وكل من كان عنده علم فلم يعمل به، بل اتبع هواه، وجانب شرع الله عن علم وبصيرة ومعرفة ففيه شبه من اليهود، ومتوعد بالغضب بقدر معصيته، وله منه نصيب بقدر شبهه فيهم.

وكل من عبدالله على جهل وضلال ـ معذور بجهله ـ يه شبه من النصارى وموصوف بالضلال على قدر معصيته، وله نصيب منه بقدر شبهه فيهم. ولهذا كان السلف ـ رضي الله عنهم يقولون «من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى»[٢].

وما أكثر من تشبه باليهود وبالنصارى من هذه الأمة. وصدق المصطفى ـ ﷺ ـ حيث قال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لا تبعتموهم. قلنا: يارسول الله اليهود**

---

(١) انظر «بدائع الفوائد» ٢: ٣٣.

(٢) المصدر السابق ٢: ٣٢.

والنصارى؟ قال: فمن» متفق عليه[١].

وقال ـ ﷺ ـ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة. قلنا من هي يارسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي»[٢].

ومما يدل على شمول الغضب لليهود وغيرهم، وشمول الضلال للنصارى وغيرهم أن الله توعد بالغضب في القرآن الكريم مرتكبي بعض الكبائر والكفرة والمنافقين والمشركين من هذه الأمة، ووصف كثيراً منهم بالضلال، كما وصفهم بذلك رسول الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ

---

(١) أخرجه من حديث أبي سعيد الخدري: البخاري في الأنبياء ـ باب ما ذكر عن بني إسرائيل الحديث ٣٤٥٦، ومسلم في العلم باب اتباع سنن اليهود والنصارى ـ الحديث ٢٦٦٩.

(٢) أخرجه أبو داود في السنة ـ باب شرح السنة ـ الحديث ٣٨٤٢ ـ ٤٥٩٦، والترمذي في الإيمان ـ ماجاء في افتراق هذه الأمة الحديث ٢٦٤٠ وقال: «حديث صحيح»، وابن ماجه في الفتن وافتراق الأمم الحديث ٣٢٢٥ ـ ٣٩٩١. قال الألباني: «حسن صحيح».

(٣) سورة النساء، الآية: ٩٣.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ١٦.

ٱللَّهِ ﴾[(١)]، وقـــال تعـــالـــى: ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ ﴾[(٣)].

وقال ـ ﷺ ـ: «**من حلف على يمين يقتطع بها مال امرىء مسلم لقي الله وهو عليه غضبان**» متفق عليه[(٤)].

وقال ﷺ: «**إذاباتت المرأة هاجرة فراش زوجها بات الذي في السماء ساخطاً عليها**»[(٥)].

وقـال الله تعـالـى: ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ ﴾[(٦)]، وقـــال تعـــالـــى: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾[(٧)]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾[(٨)]، وقال تعالى:

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٦.
(٢) سورة النور، الآية: ٩.
(٣) سورة الفتح، الآية: ٦.
(٤) أخرجه البخاري في الشهادات من حديث عبدالله بن مسعود الحديثان: ٢٦٦٦، ٢٦٦٧، ومسلم في الإيمان ـ الحديث ١٣٨.
(٥) أخرجه مسلم في النكاح ـ تحريم امتناعها من فراش زوجها ـ الحديث ١٤٣٦.
(٦) سورة البقرة، الآية: ١٠٨.
(٧) سورة النساء، الآية: ١١٦.
(٨) سورة النساء، الآية: ١١٣.

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾[٢].

وقال ﷺ في حديث أبي بكرة: «**ألا فلا ترجعوا بعدي ضُلالا يضرب بعضكم رقاب بعض**» متفق عليه[٣].

قال ابن القيم[٤]: «والغضب نتيجة فساد القصد، والضلال نتيجة فساد العلم، فاعتلال القلوب ومرضها نتيجة لأحد هذين الفسادين، وبالهداية للصراط المستقيم الشفاء من مرض الضلال، وبالتحقق بـ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ علماً ومعرفة وعملاً وحالاً الشفاء من مرض فساد القصد».

---

(١) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣، ١٠٤.
(٢) سورة الأحقاف، الآية: ٥.
(٣) أخرجه البخاري في حديث طويل في خطبته ﷺ في حجة الوداع ـ في الأضاحي ـ الحديث ٥٥٥٠، ومسلم في القسامة ـ باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ـ الحديث ١٦٧٩.
(٤) «مدارج السالكين» ١: ٧٩-٨٠ بتصرف.

المبحث الثامن

ما يؤخذ من سورة الفاتحة من فوائد وأحكام

١ـ مشروعية الابتداء في بالبسملة في الكتب والرسائل والخطب والمواعظ ونحوها تأسيا بكتاب الله تعالى، حيث ابتدأ عز وجل كتابه بها ومشروعية الاستفتاح بها عند قراءة أي سورة من سور القرآن، لأن الله افتتح بها سورة الفاتحة وغيرها من السور عدا سورة براءة فلا تشرع البسملة معها.

٢ـ مشروعية حمد الله ـ تبارك وتعالى ـ في افتتاح الكتب والرسائل والخطب والمواعظ ونحوها تأسياً بكتاب الله ـ حيث افتتحه جل وعلا بالحمد.

٣ـ حمد الله ـ تعالى ـ لنفسه[1]، وثناؤه عليها، وتمجيده لها، لما له من صفات الكمال. قال تعالى: ﴿الحمد لله﴾، وقد جاء هذا كثيرا في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾[3].

ولم يأذن في ذلك لأحد من خلقه، بل نهاهم في محكم كتابه

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١: ١٣٩، «أحكام القرآن» للجصاص ١: ٢٣، «أحكام القرآن» لابن العربي ١: ٤، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٣٥، «تفسير ابن كثير» ١: ٥٢.

(٢) سورة القصص، الآية: ٧٠.

(٣) سورة الروم، الآية: ١٨.

فقال: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾[1]. وقال ﷺ: «**احثوا في وجوه المداحين التراب**»[2] وقال ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبدالله ورسوله**[3]».

٤ـ أمر الله ـ تعالى ـ عباده أن يحمدوه ويثنوا عليه ويُمجّدوه ـ لما له من صفات الكمال، وتعليمهم كيفية ذلك، لأن قوله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ وإن كانت هذه جملة خبرية، فهي متضمنة لمعنى الطلب[4].

وهكذا جل الآيات التي حمد الله ـ تعالى ـ بها نفسه هي متضمنة تعليم عباده وأمرهم أن يحمدوه.

ولهذا رغب المصطفى ـ ﷺ ـ بالحمد لله. فعن أبي مالك قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها**[5]».

---

(١) سورة النجم، الآية: ٣٢.
(٢) أخرجه مسلم في الزهد من حديث المقداد بن الأسود ـ الحديث ٣٣٠٢.
(٣) أخرجه البخاري في الأنبياء ـ الحديث ٣٤٤٥.
(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١: ٣٩، «أحكام القرآن» للجصاص ١: ٢٣، «أحكام القران» لابن العربي ١: ٤، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٣٥ـ١٣٦، «تفسير ابن كثير» ١: ٥٢.
(٥) أخرجه مسلم في الطهارة ـ باب فضل الوضوء الحديث ٢٢٣ من حديث أبي مالك الأشعري.

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها**»[١].

٥ـ أن الوصف الكامل مستحق لله على الدوام، وفي جميع الأحوال لقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ فهي جملة اسمية تفيد الاستمرار والدوام والكمال فهو المحمود على الدوام وبكل حال كما قال تعالى: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ﴾[٢].

٦ـ في قوله تعالى: ﴿الحمد لله﴾ رد على الجبرية، الذين يقولون: إن الله جبر العبد على أفعاله، ومن ثم عاقبه عليها ـ تعالى الله عن قولهم علوا كبيراً، ووجه الرد عليهم: أن في إثبات حمده ووصفه بصفات الكمال ما يقتضي أنه لايعاقب عباده على ما لا قدرة لهم عليه، ولا هو من فعلهم[٣].

٧ـ أن الحمد لا ينبغي أن يكون إلا لمن هو أهل له، ولمقتضٍ لذلك، وإلا فهو زور وباطل، لأن الله لما حمد نفسه ذكر ما يقتضي ذلك، وأنه تعالى أهل لذلك لكونه ـ تعالى ـ: الله رب العالمين ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في الذكر ـ باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب ـ الحديث ٢٧٣٤.

(٢) سورة القصص، الآية: ٧٠.

(٣) انظر: «مدارج السالكين» ١: ٩١ـ٩٢.

(٤) انظر: «الكشاف» ١: ٩، «أنوار التنزيل» ١: ٩.

قال ابن القيم[١] رحمه الله: «في ذكر هذه الأسماء بعد الحمد، وإيقاع الحمد على مضمونها ومعناها ما يدل على أنه محمود في إلهيته، محمود في ربوبيته، محمود في رحمانيته، محمود في ملكه، وأنه إله محمود ورب محمود، ورحمن محمود، وملك محمود، فله بذلك جميع أقسام الكمال، كمال من هذا الاسم بمفرده، وكمال من اقتران أحدهما بالآخر..».

٨ـ يؤخذ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ الاقرار والاعتراف من العبد لله جل وعلا بالكمال من جميع الوجوه وبالفضل والإنعام والإحسان، والإقرار من العبد على نفسه بضعفه وفقره وحاجته إلى ربه في أمور دينه ودنياه. وهذا من أجل أنواع العبادة لله وأفضلها، بأن يعترف العبد لله بالكمال المطلق من جميع الوجوه، ويدخل على ربه من باب الذلة والانكسار، ولا يعجب بعمله. وهذا هو أصل معنى العبادة لله تعالى ـ كما تقدم. وقد كان هذا دأب الأنبياء والمرسلين والصالحين من أممهم يدعون ربهم متذللين خاضعين سائلين ربهم المغفرة. قال ﷺ: **«أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً إنه لايغفر الذنوب إلا أنت»**[٢].

٩ـ إثبات توحيد الأسماء والصفات «توحيد العلم» لأن الله افتتح

---

(١) في «مدارج السالكين» ١: ٥٩ـ٦١، وانظر «التفسير القيم» ص٣٤ـ٣٧. وانظر «الكلام عن مسألة السماع» ص١٩٥ـ١٩٧.

(٢) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين ـ الحديث ٧٧١ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وانظر «أمراض القلوب وشفاؤها» لابن تيمية ص١١ـ١٢.

السورة بقوله تعالى ﴿الحمد لله﴾ ومعناه ـ كما تقدم ـ وصفه تعالى بصفات الكمال، كما ذكر تعالى فيها خمسة من أسمائه، وهي «الله»، و«الرب» و«الرحمن» و«الرحيم» و«الملك» وهذه الأسماء دالة على بقية أسمائه تعالى، وكل منها يؤخذ منه إثبات صفة من صفاته ـ تعالى فاسمه ـ تعالى «الله» يدل على إثبات صفة الألوهية له ـ تبارك وتعالى، واسمه «الرب» يدل على إثبات صفة الربوبية العامة له تعالى صفة ذاتية له تعالى وصفة فعلية، واسماه «الرحمن» «الرحيم» يدل الأول على إثبات صفة الرحمة الذاتية له ـ تعالى ويدل الثاني «على إثبات صفة الرحمة الفعلية له عز وجل» كما قال تعالى: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ على القراءتين يدل على أنه مالك يوم الدين ومليكه.

وأن من صفاته تعالى الذاتية والفعلية أنه مالك، وملك يوم الدين. كما يدل قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ على إثبات صفة الغضب له ـ تعالى ـ، كما يليق بجلاله وعظمته. وفي إثبات أسمائه تعالى وصفاته رد على نفاتها من المعطلة وغيرهم.

وقد ذكر ابن القيم[2] ـ رحمه الله ـ اشتمال الفاتحة على أنواع التوحيد الثلاثة ثم ذكر أنه دلّ من هذه السورة على توحيد الأسماء والصفات شيئان مجمل ومفصل، قال: «أما المجمل فإثبات الحمد له

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٢١.

(٢) انظر «مدارج السالكين» ١: ٤٨ـ٥٩، وانظر: «التفسير القيم» ص٢٦ـ٣٥، ٥٥.

سبحانه، وأما المفصل فذكر صفة الإلهية والربوبية والرحمة والملك، وعلى هذه مدار الأسماء والصفات. فأما تضمن الحمد لذلك، فإن الحمد يتضمن مدح المحمود بصفات كماله ونعوت جلاله، مع محبته، والخضوع له، فلا يكون حامداً من جحد صفات المحمود، ولا من أعرض عن محبته والخضوع له، وكلما كانت صفات كمال المحمود أكثر كان حمده أكمل، وكلما نقص من صفات كماله نقص من حمده بحسبها، ولهذا كان الحمد كله لله حمداً لايحصيه سواه لكمال صفاته وكثرتها.. ثم ذكر دلالة هذه الأسماء الخمسة وغيرها من أسمائه تعالى على إثبات الذات والصفات له جلا وعلا ثم بين دلالة اسمه تعالى «الله» على جميع أسمائه الحسنى وصفاته العليا، ولهذا تضاف إليه جميع أسمائه كما قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[1]، ثم ذكر ما هو أخص من الصفات بكل اسم من هذه الأسماء.

١٠ـ إثبات توحيد الألوهية، «توحيد العبادة» يؤخذ من اسمه ـ تعالى: ﴿الله﴾ لأن معناه كما تقدم: المألوه المعبود محبة وتعظيماً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[2]: «والله هو الإله المعبود، فهذا الاسم أحق بالعبادة، ولهذا يقال: الله أكبر، والحمد لله، سبحان الله، لا إله إلا الله، كما يؤخذ توحيد العبادة من قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ كما سيأتي ـ إن شاء الله.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٢) في «مجموع الفتاوى» ١٤: ١٢.

١١ـ إثبات توحيد الربوبية بقسميه العام لجميع الخلق، والخاص بأولياء الله ـ تعالى ـ لقوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝﴾ وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ فهو تعالى رب جميع الخلق خالقهم ومالكهم والمتصرف فيهم ومربيهم بجميع النعم، وفي هذا رد على الملحدين الذين ينكرون وجود الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيراً. إذ إن كل ما في الكون من المخلوقات دليل على وجوده وكماله في ذاته وصفاته، كما قيل:

فواعجباً كيف يعصى الإله   أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية   تدل على أنه واحد

بل إنه تعالى دليل على كل شيء، ولهذا قالت الرسل لأممهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[(٢)]: «كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء»، وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

وكيف يصح في الأذهان شيء   إذا احتاج النهار إلى دليل

وهو تعالى مرب لأوليائه المتقين وحزبه المفلحين تربية خاصة بتوفيقهم للإيمان والعمل الصالح، ودفع الصوارف عنهم مما يبعث في قلوبهم الطمأنينة إلى رعاية الله الدائمة وربوبيته القائمة وحفظه الذي لا

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١٠.
(٢) انظر: «مدارج السالكين» ١: ٨٧.

يغيب[1].

وإذا ثبتت الربوبية صفة عامة له تبارك وتعالى صفة ذاتية، وصفة فعلية وجب توجه جميع الخلق إليه في جميع حوائجهم، وفي جميع عباداتهم لأن من لازم ربوبيته لجميع خلقه، أن يكون هو الإله المعبود، لأن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، كما أن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، ولهذا لما قال تعالى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أتبع ذلك بوصفه تعالى بقوله ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢﴾ إشارة إلى أن المستحق للعبادة هو المتفرد بالربوبية والملك والخلق والتدبير، وعلى هذا فما دل من السورة على إثبات توحيد الألوهية ففيه دلالة بالتضمن على توحيد الربوبية، وما دل منها على توحيد الربوبية ففيه دلالة بالالتزام على توحيد الألوهية كما أن في إثبات ربوبيته رداً على المشركين معه في إلهيته الذي يعبدون غيره مع إقرارهم بربوبيته. كما أن في إثبات ربوبيته للعالمين دليلاً على مباينته لخلقه بذاته، وبربوبيته وصفاته وأفعاله، وفي هذا رد على من نفى مباينته لخلقه. كما أن في إثبات ربوبيته أيضاً رداً على أهل الاشراك في ربوبيته من المجوس والقدرية وغيرهم الذين يثبتون مع الله خالقاً آخر. فالقدرية المجوسية يقولون: العبد يخلق فعل نفسه، فلا تدخل أفعالهم تحت ربوبيته ـ تعالى الله عن ذلك[2].

---

(١) انظر: «في ظلال القرآن» ١:١٨.
(٢) انظر: «مدارج السالكين» ١:٤٨، ٨٦ـ٩٠، «التفسير القيم» ص٤٩ـ٥٣.

١٢ـ إثبات علم الله تعالى الشامل، وقدرته التامة من قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ إذ إن مقتضى ربوبيته للعالمين وخلقه لهم أن يكون عالماً بهم وبأحوالهم، وأن يكون ذا قدرة تامة نافذة فيهم، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ۝١٢﴾[(١)].

١٣ـ إثبات أنه تعالى الأول بلا بداية لأن قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ معناه أنه خالقهم وموجدهم من العدم بعد أن لم يكونوا شيئاً كما قال ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾[(٢)] أي قد أتى على الإنسان. وهذا يدل على أنه تعالى هو الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾[(٣)].

١٤ـ أن الأحق بالاستعانة والمسألة هو اسم «الرب» لأن من معانيه المربي الخالق المالك الرازق المدبر الناصر الهادي.

ولهذا كان جل دعاء الأنبياء والصالحين وسؤالهم بهذا الاسم[(٤)].

كما قال الأبوان عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٢٣﴾[(٥)].

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ١٢.
(٢) سورة الإنسان، الآية: ١.
(٣) سورة الحديد، الآية: ٣.
(٤) انظر: «دقائق التفسير» ١: ١٧٦ـ١٧٧، «تيسير الكريم الرحمن» ١: ٣٤.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.

وقال نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾[١].

وقال الخليل عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾[٢].

وقال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾[٣].

وقال عيسى عليه السلام: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾[٤].

وقال تعالى لنبينا محمد ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾[٥].

وقال نبينا محمد ـ ﷺ ـ: **«اللهم أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً إنه لايغفر الذنوب إلا أنت»**[٦].

وذكر الله عن المؤمنين قولهم: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا

---

(١) سورة نوح، الآية: ٢٨.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٤٠ـ٤١.

(٣) سورة القصص، الآية: ١٦.

(٤) سورة المائدة، الآية: ١١٤.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٨٠.

(٦) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين الحديث ٧٧١ من حديث علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه.

وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾[1].

وقولهم: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾[2]. ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾[3].

١٥ـ في قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ إشارة إلى تساوي الخلق في الربوبية العامة التي بمعنى الخلق والملك والتدبير. وهذا يدل على أن البشر تجمعهم الربوبية فربهم واحد كما أن أباهم واحد، لافخر لجنس على جنس إلا بالتقوى[4].

وفي هذا رد على من يفتخر بحسبه ونسبه. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ﴾[5].

وعن أبي هريرة ـ رضي اللهعنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبيّة[6] الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن**

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٧.
(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٣-١٩٤.
(٤) انظر: «الأركان الأربعة» للندوي ص٣٩.
(٥) سورة الحجرات، الآية: ١٣.
(٦) عبية الجاهلية: أي تكبرها.

تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان، التي تدفع بأنفها النتن»[١].

١٦ـ في إثبات حمده وربوبيته للعالمين وتوحيده رد على من قال بقدم العالم فإن في إثبات حمده ما يقتضي ثبوت أفعاله الاختيارية، والفعل متأخر عن فاعله وفي إثبات ربوبيته للعالمين ما يقتضي أن كل ما سواه مربوب مخلوق بالضرورة، وكل مخلوق حادث بعد أن لم يكن، وفي إثبات توحيده ما يقتضي عدم مشاركة شيء من العالم له في خصائص الربوبية، والقدرة من خصائص الربوبية، فالتوحيد ينفي ثبوته لغيره ضرورة، كما ينفي ثبوت الربوبية والإلهية لغيره[٢].

١٧ـ في إثبات رحمته ـ تعالى ـ ورحمانيته رد على الجبرية في أن الله يعاقب العبد على ما لا قدرة له عليه، ولا هو من فعله، بل يكلفه ما لايطيق ثم يعاقبه عليه. وهذا باطل فإن في ثبوت رحمته ورحمانيته ما يقتضي أنه تعالى ـ لايكلف العبد ما لا قدرة له عليه، ولا يعاقبه بما ليس من فعله، وما لا قدرة له عليه[٣]، بل إنه تعالى ـ برحمته يعفو حتى عن بعض ما فعله العبد، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن

---

(١) أخرجه أبو داود في الأدب ـ باب التفاخر بالأحساب ـ الحديث ٥١١٦، والترمذي في المناقب ـ باب فضل الشام واليمن ـ الحديث ٣٩٥٥، وأحمد ٢: ٣٦١، ٥٢٤، وقال الترمذي «حسن غريب»، ونُقل عن المنذري تصحيحه، و«حسنه الألباني».

(٢) انظر: «مدارج السالكين» ١: ٩٦-٩٧، «التفسير القيم» ص٦٢.

(٣) انظر: «مدارج السالكين» ١: ٩٢.

مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾[1].

١٨ـ إثبات يوم القيامة، والرد على من أنكر البعث والمعاد الجسماني والتأكيد على أنه محقق الوقوع، ولهذا جعله كالموجود القائم في الحال فقال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ وخصه بالذكر مع أنه تعالى مالك الدنيا والآخرة معاً لانقطاع أملاك الخلائق كلهافي ذلك اليوم، ولعظم ذلك اليوم كما قال تعالى: ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾﴾[2].

١٩ـ يؤخذ من قوله ـ تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ الدلالة على أن الملك الحقيقي لله جل وعلا يظهر في ذلك اليوم إذ تنقطع جميع الأملاك سوى ملكه جل وعلا، وأن كل ملك دون ذلك الملك فهو حقير زائل، وأن الدنيا بما فيها من أملاك لا تساوي شيئاً بالنسبة للاخرة، وأنها بما فيها من أيام لاتعد شيئاً بالنسبة ليوم الدين يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾[5].

٢٠ـ إثبات محاسبة الله للعباد ومجازاته لهم على أعمالهم بالعدل، لقوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ والدين معناه الجزاء بالعدل:

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٠.
(٢) سورة البروج، الآية: ٢.
(٣) سورة الفرقان، الآية: ٢٦.
(٤) سورة غافر، الآية: ١٦.
(٥) سورة النبأ، الآية: ٣٩.

أي كما تدين تدان، إن خيرا فخير وإن شراً فشر، كما قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝ ﴾[1].

٢١ـ إثبات كتابة الأعمال وتدوينها وإحصائها، لأن المجازاة عليها تقتضي ذلك، إذ كيف يدان عليها ويجازي إلا بعد إحصائها، كما قال تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝ ﴾[3].

٢٢ـ الحث على الاستعداد ليوم الدين بالإيمان والعمل الصالح، والتحذير من الكفر والمعاصي.

٢٣ـ في تقديم قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ على قوله ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝ ﴾ إشارة إلى أن رحمته تعالى سبقت غضبه، كما جاء في الحديث «**إن رحمتي سبقت غضبي**»[4] يؤيد ذلك تكرار ﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ في البسملة والفاتحة. وهذا مما يبعث في قلب المؤمن الطمأنينة، فيلهج بالحمد والثناء لربه الرحمن الرحيم.

وعلى هذا فينبغي للعلماء وطلبة العلم والدعاة إلى الله أن يقدموا

---

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ ـ ٨.
(٢) سورة ق، الآية: ١٨.
(٣) سورة الانفطار، الآيات: ٩ـ١٢.
(٤) أخرجه البخاري في بدء الخلق ـ الحديث ٣١٩٤ من حديث أبي هريرة، وكذا مسلم في التوبة ـ باب في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه الحديث ٢٧٥١.

للناس الترغيب برحمة الله والتبشير بها قبل الترهيب من عقوبته، بل ينبغي أن يعطى الكلام عن رحمة الله عناية أكثر لأن رحمته تعالى سبقت غضبه، لكن لاينسى الترهيب من عقوبته، ولكل مقام مقال.

٢٤ـ الجمع بين الترغيب الترهيب[١] يؤخذ ذلك من قوله تعالى: ﴿الرحمن الرحيم﴾ فهذا ترغيب، ثم قال تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾ وهذا ترهيب كما قال تعالى: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝﴾[٣] وقال تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾[٤].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ماقنط من جنته أحد**»[٥].

والغرض من الترغيب والترهيب في القرآن والسنة ليسير المسلم إلى ربه بين الرغبة والرهبة، وبين الخوف والرجاء، فلا يغلب جانب أحدهما على الآخر فيهلك.

---

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٣٩، «تفسير ابن كثير» ١: ٥٠.
(٢) سورة الحجر، الآيتان: ٤٩-٥٠.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٦٧.
(٤) سورة غافر، الآية: ٣.
(٥) أخرجه مسلم في التوبة ـ باب سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه الحديث ٢٧٥٥.

٢٥ـ في قوله ﴿إياك﴾ رد على الملاحدة والدهرية المنكرين لوجود الله، لأن هذا خطاب لموجود، بل لموجود حاضر[١] بعلمه وإحاطته مع كل المخلوقات كما قال تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾[٢]، وهو مع عباده المتقين بعونه ونصره وتأييده كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[٣].

٢٦ـ في قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ بعد الآيات قبله انتقال من الغيبة إلى الخطاب لأجل تنبيه القارىء والمستمع وهذا يدل على أنه يحسن الانتقال في الكلام أحياناً والالتفات فيه لأجل تنبيه القارىء والمستمع كما أنه أبعث على النشاط، وأدعى للإصغاء.

٢٧ـ دل قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ على إثبات نوع من أنواع العبودية وهي العبودية الخاصة وهي عبودية الطاعة والمحبة، واتباع الأوامر[٤] كما قال تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾[٦].

---

(١) انظر: «البحر المحيط» ١: ٢٥.
(٢) سورة المجادلة، الآية: ٧.
(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٨.
(٤) انظر «مدارج السالكين» ١: ١٣١ـ١٣٣.
(٥) سورة الزخرف، الآيتان: ٦٨ـ ٦٩.
(٦) سورة الزمر، الآيتان: ١٧ـ ١٨.

وقال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾[(٢)].

وقال تعالى عن إبليس: ﴿ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[(٣)].

فهؤلاء أهل طاعته تعالى وولايته، وهم عبيد إلهيته الذين خضعوا له وذلوا طوعاً واختياراً لأمره ونهيه، ولا يجيء في القرآن إضافة العباد إليه ـ تعالى ـ مطلقاً إلا لهؤلاء. وهم ومن عداهم من الخلق يجتمعون في العبودية العامة: عبودية الربوبية: الخلق والملك والتدبير والقهر والخضوع له قهراً ورغماً فهذه تشمل المؤمن والكافر. قال تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾[(٤)].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾[(٥)]. فسماهم عباده مع ضلالهم تسمية مقيدة بالإشارة. وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[(٦)]. وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٤٢.
(٣) سورة الحجر، الآيتان: ٣٩ـ٤٠.
(٤) سورة مريم، الآية: ٩٣.
(٥) سورة الفرقان، الآية: ١٧.
(٦) سورة الزمر، الآية: ٤٦.

﴾[١]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ۝٤٨﴾[٢].

وقد ذكر ابن القيم[٣] رحمه الله: مراتب (إياك نعبد) علماً وعملاً فقال: «فأما مراتبها العلمية فمرتبتان:

إحداهما: العلم بالله. والثانية: العلم بدينه.

فأما العلم به سبحانه فخمس مراتب: العلم بذاته، وصفاته، وأفعاله، وأسمائه، وتنزيهه عما لايليق به.

والعلم بدينه مرتبتان: إحداهما: دينه الأمري الشرعي، وهو الصراط المستقيم الموصل إليه. والثانية دينه الجزائي، المتضمن ثوابه وعقابه. وقد دخل في هذا العلم بملائكته وكتبه ورسله.

وأما مراتبها العملية فمرتبتان: مرتبة لأصحاب اليمين، ومرتبة للسابقين المقربين.

فأما مرتبة أصحاب اليمين فأداء الواجبات، وترك المحرمات، مع ارتكاب المباحات وبعض المكروهات، وترك بعض المستحبات.

وأما مرتبة المقربين: فالقيام بالواجبات والمندوبات، وترك المحرمات والمكروهات زاهدين فيما لاينفعهم في معادهم، متورعين عما يخافون ضرره. وخاصتهم قد انقلبت المباحات في حقهم طاعات وقربات بالنية، فليس في حقهم مباح مساوي الطرفين، بل كل أعمالهم

---

(١) سورة غافر، الآية: ٣١.

(٢) سورة غافر، الآية: ٤٨.

(٣) في «مدارج السالكين» ١: ١٣٤ـ١٣٥، وانظر: «التفسير القيم» ص٩٨ـ٩٩.

راجحة، ومن دونهم يترك المباحات مشتغلاً عنها بالعبادات، وهؤلاء يأتونها طاعات وقربات، ولأهل هاتين المرتبتين درجات لايحصيها إلا الله.

كما ذكر ابن القيم ـ رحمه الله[١]ـ أن لأهل مقام (إياك نعبد) وهم أهل هذه العبودية الخاصة ـ في أفضل العبادة وأنفعها طرقاً أربعة، فهم في ذلك أربعة أصناف: صنف عندهم أنفع العبادات وأفضلها أعظمها مشقة على النفوس، قالوا: والأجر على قدر المشقة.

والصنف الثاني قالوا: أفضل العبادات التجرد والزهد في الدنيا، وعدم الاكتراث بكل ما هو منها.

والصنف الثالث: رأوا أن أنفع العبادات وأفضلها ما فيه نفع متعد كخدمة الفقراء الاشتغال بمصالح الناس.

والصنف الرابع: قالوا أفضل العبادة العمل على مرضاة الرب في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته، فأفضل العبادات في وقت الجهاد: الجهاد وإن آل إلى ترك الأوراد من صلاة الليل وصيام النهار، بل ومن ترك إتمام صلاة الفرض كما في حالة الأمن والأفضل في وقت حضور الضيف القيام بحقه والاشتغال به عن الورد المستحب والأفضل في وقت الوقوف بعرفة الاجتهاد في التضرع والدعاء والذكر دون الصوم المضعف عن ذلك.

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» ١: ١١٠ـ١١٥.

ثم ذكر رحمه الله[١] اختلاف الناس في حكمة العبادة وفائدتها وأنهم في ذلك أربعة أصناف أيضاً الصنف الأول نفاة الحِكَم والتعليل الذين يردون الأمر إلى محض المشيئة وصرف الارادة، والصنف الثاني القدرية النفاة الذين يثبتون نوعاً من الحكمة والتعليل لكنه لايقوم بالرب ولا يرجع إليه بل يرجع إلى مجرد مصلحة المخلوق ومنفعته فعندهم أن العبادات شرعت أثماناً لما يناله العبد من الثواب العظيم كأجرة الأجير. والصنف الثالث زعموا أن حكمة العبادة ومصلحتها رياضة النفوس من الصوفية والفلاسفة، والصنف الرابع الطائفة الإبراهمية المحمدية العارفون بالله وحكمته في أمره وشرعه وخلقه وأهل البصائر في عبادته ومراده بها.

٢٨ـ وجوب إخلاص العبادة لله تعالى بجميع أنواعها اعتقاداً وقولاً وعملاً، والبراءة من الشرك ووسائله، ومن الحول والقوة ـ لقوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ففي تقديم المفعول في الموضعين وفي تكراره، مع ﴿إياك نستعين﴾ ما يؤكد تخصيصه جل وعلا بالعبادة والاستعانة والدعوة إلى عبادة الله وتخصيصه بجميع أنواع العبادة من الاستعانة وغيرها. وهي أساس دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم. قال نوح عليه السلام: ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[٢]، وكذلك قال هود[٣] . . . .

(١) انظر: «المصدر السابق» ١: ١١٥ـ١٢٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٩، وسورة المؤمنون، الاية: ٢٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٦٥، وسورة هود، الآية: ٥٠.

وصالح[(١)] وشعيب[(٢)] وإبراهيم[(٣)] عليهم السلام. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[(٤)]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[(٥)]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[(٦)].

وقد قرن الله بين ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ و ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ لأن في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تحقيق الألوهية وإبطالاً للشرك فيها، وفي قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ تحقيق الربوبية، وإبطالاً للشرك فيها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[(٧)]: «وكل واحد من العبادة والاستعانة دعاء، وإذا كان الله قد فرض علينا أن نناجيه، وندعوه بهاتين الكلمتين في كل صلاة، فمعلوم أن ذلك يقتضي أنه فرض علينا أن نعبده وأن

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٧٣، وسورة هود، الآية: ٦١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٨٥، وسورة هود، الآية: ٨٤.

(٣) كما قال تعالى في سورة العنكبوت ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾ الآية: ١٦.
وانظر: «مدارج السالكين» ١: ١٢٧، «طريق الهجرتين» ص٦٧.

(٤) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٦) سورة المؤمنون، الآيتان: ٥١-٥٢.

(٧) في «مجموع الفتاوى» ١٤: ٨، وانظر «مدارج السالكين» ١: ٩٩-١٠٠، «تفسير ابن كثير» ١: ٥٢، «الأركان الأربعة» ص٤٠.

نستعينه، إذ إيجاب القول الذي هو إقرار واعتراف ودعاء وسؤال هو إيجاب لمعناه..».

ثم ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية[1] أن الإنسان بين هذين الواجبين لا يخلو من أحوال أربعة هي القسمة: إما أن يأتي بهما جميعاً، وإما أن يأتي بالعبادة فقط، وإما أن يأتي بالاستعانة فقط، وإما أن يتركهما جميعاً.

٢٩ـ دل قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على أن العبد لا ينفك عن العبودية حتى الموت كما قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾[2] أي حتى يأتيك الموت، ولهذا قال الله عن أهل النار إنهم يقولون: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾[3] أي الموت. وهذا بإجماع المفسرين المعتبرين.

وفي الحديث الصحيح في قصة موت عثمان بن مظعون ـ رضي الله عنه ـ: أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «**أما عثمان فقد جاءه اليقين من ربه**»[4]: أي الموت وما فيه.

وفي هذا رد على الخرافيين من الصوفية الذين يزعمون أن الواحد

---

(١) «مجموع الفتاوى» ١٤: ٨، ١٠: ٣٦، وانظر: ١: ٣٦، وانظر «مدارج السالكين» ١: ١٠٣ـ١٠٧.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩٩.

(٣) سورة المدثر، الآية: ٤٦ـ٤٧.

(٤) أخرجه البخاري في الجنائز ـ الحديث ١٢٤٣، وفي مناقب الأنصار الحديث ٣٩٢٩ من حديث أم العلاء.

منهم قد يصل إلى مقام يسقط عنه التعبد والتكليف. ويفسرون اليقين في قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩﴾ بأنه وصول المرء إلى أعلى المقامات، وهو سقوط التكليف، وكونه لا يسأل عما يفعل.

قال ابن القيم[١] ـ رحمه الله ـ: «فلاينفعكّ العبد من العبودية ما دام في دار التكليف، بل عليه في البرزخ عبودية أخرى لَمَّا يسأله الملكان: «من كان يعبد؟ وما يقوله في رسول الله ـ ﷺ ـ ويلتمسان منه الجواب. وعليه عبودية أخرى يوم القيامة يوم يدعو الله الخلق كلهم إلى السجود، فيسجد المؤمنون، ويبقى الكفار والمنافقون، لا يستطيعون السجود، فإذا دخلوا دار الثواب والعقاب انقطع التكليف هناك، وصارت عبودية أهل الثواب تسبيحاً مقروناً بأنفاسهم، لا يجدون له تعباً ولانصباً. ومن زعم أنه يصل إلى مقام يسقط عنه فيه التعبد فهو زنديق كافر بالله وبرسوله، وإنما وصل إلى مقام الكفر بالله، والانسلاخ من دينه، بل وكلما تمكن العبد في منازل العبودية كانت عبوديته أعظم والواجب عليه منها أكبر وأكبر من الواجب على من دونه، ولهذا كان الواجب على رسول الله ـ ﷺ ـ، بل على جميع الرسل أعظم من الواجب على أممهم، والواجب على أولي العزم أعظم من الواجب على من دونهم، والواجب على أولي العلم أعظم من الواجب على من دونهم، وكل أحد بحسب مرتبته».

٣٠ـ حاجة جميع الخلق إلى عون الله ـ تعالى، وإمداده، وافتقار

---

(١) في «مدارج السالكين» ١: ١٣٠ـ١٣١، وانظر «التفسير القيم» ص٩٤ـ٩٥.

جميع الخلق إليه في جميع أمورهم الدينية والدنيوية لقوله ـ تعالى: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ وكما جاء في الدعاء **«اللهم لاتكلني إلى نفسي ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين»**[1].

فالعبد دائماً وأبداً في حاجة إلى عون الله ـ تعالى وإمداده، وكما قيل:

إذا لـم يكـن عـون مـن الله للفتـى فـأول مـا يجنـي عليـه اجتهـاده

٣١ـ تقديم حقه تعالى على حق العبد، وتقديم العام على الخاص، والغاية على الوسيلة، والأهم على المهم لقوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾.

٣٢ـ لما كانت عبادة الله تعالى هي أشرف مقام يصل إليه العبد أتبع قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ بقوله ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ لئلا يتعاظم المرء في نفسه ويداخله العجب بعبادته، وليعلم أن ما حصل له من التذلل لربه والخضوع له إنما هو بعون الله وتوفيقه.

٣٣ـ دل قوله ـ تعالى: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ على إثبات القدر، وأن الله فاعل حقيقة، وإبطال قول القدرية الذين يقولون: إن العبد يخلق فعل نفسه. فإن استعانتهم به إنما تكون على شيء هو بيده، وتحت قدرته ومشيئته، فلو كان بيدهم الفعل فكيف يستعينون على إيجاده بمن ليس ذلك الفعل بيده[2].

---

(١) أخرجه أحمد ٥ : ٤٢ دون: «ولا إلى أحد من خلقك».

(٢) انظر: «مدارج السالكين» ١ : ٩٠، «التفسير القيم» ص٥٤، «شفاء العليل» ص٥٢ـ٥٣، =

٣٤ـ في نسبة العبادة والاستعانة إلى العباد في قوله (نعبد) و(نستعين) دليل على أن ذلك من فعلهم، وأن لهم على ذلك قدرة واختياراً ومشيئة، وأن العبد حقيقة هو العابد والمستعين، والله هو المعبود والمستعان به، وفي ذلك إبطال لقول الجبرية الذين يقولون إن العبد مجبور على أفعاله[1]. قال بعض السلف من أقرّ بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ فقد بريء من الجبر والقدر[2].

٣٥ـ في تقديم قوله ـ تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ على قوله ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ دلالة على أن من آداب الدعاء والسؤال أن يقدم السائل بين يدي سؤاله ما يكون سبباً للإجابة من حمد الله والثناء عليه وتمجيده، وإعلان إخلاص العبادة له، والاستعانة به، والبراءة من الشرك ومن الحول والقوة، ثم يسأل حاجته الدينية أو الدنيوية[3].

ومثـل ذلــك أن يقدم بين يدي سؤاله الاعتراف بالخطأ والذنب كما قــال الأبــوان ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ

= «البحر المحيط» ١:٢٥.

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١:١٦٢ـ١٦٣، ١٦٨، «مدارج السالكين» ١:٩٢، «التفسير القيم» ص٥٦، «البحر المحيط» ١:٢٥.

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١:١٤٥.

(٣) انظر: «أحكام القرآن» للجصاص ١:٢٣.

ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[1].

وقال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾[2].

وقال ذو النون: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾[3]. ومثل ذلك إعلان السائل شدة حاجته، كما قال موسى عليه السلام ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾[4] ويتفرع عن هذه الفائدة أنه ينبغي عندما يتقدم الإنسان إلى شخصٍ يسأله حاجة مما هو عليه قادر أن يقدم بين يدي سؤاله ما يكون سبباً للإجابة كالثناء عليه والدعاء له وذكر السائل شدة حاجته. قال الشاعر:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك إن شيمتك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يوماً ... كفاه من تعرضه الثناء[5]

قال ابن القيم[6]: «ولما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم أجل المطالب، ونيله أشرف المواهب: علّم الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه وتمجيده، ثم ذِكْر عبوديتهم وتوحيدهم فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم. تَوسّلٌ إليه بأسمائه وصفاته، وتوسل إليه بعبوديته. وهاتان الوسيلتان، لا يكاد يرد

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.
(٢) سورة القصص، الآية: ١٦.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.
(٤) سورة القصص، الآية: ٢٤.
(٥) انظر: «تفسير ابن كثير» ١: ٥٤.
(٦) في «مدارج السالكين» ١: ٤٦-٤٧، وانظر «التفسير القيم» ص٢٣-٢٤.

معهما الدعاء، ويؤيدهما الوسيلتان المذكورتان في حديثي الاسم الأعظم. . .

أحدهما: حديث بريدة قال: «سمع النبي - ﷺ - رجلا يدعو، ويقول: **اللهم أسألك بأني أشهد أنك الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. فقال: «والذي نفسي بيده، لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى»**[١].

والثاني: حديث أنس أن رسول الله - ﷺ - سمع رجلاً يدعو: **«اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض، ذا الجلال والإكرام، ياحي ياقيوم، فقال: «لقد سأل الله باسمه الأعظم»**[٢].

ففي هذين الحديثين توسل إلى الله بتوحيده وأسمائه وصفاته.

قال ابن القيم[٣]: «وقد جمعت الفاتحة الوسيلتين، وهما: التوسل

---

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة ـ باب الدعاء الحديث ١٤٩٣، والنسائي في الصلاة، باب الدعاء الحديث ١٣٢٤، والترمذي في الدعوات باب جامع الدعوات الحديث ٣٤٧٥، وابن ماجه في الدعاء، باب اسم الله الأعظم، الحديث ٣٨٥٧، وأحمد ٥: ٣٤٩، وابن حبان ٨٨٨،٨٨٩، والحاكم ١: ٥٠٤ وصححه ووافقه الذهبي، وكذا صححه الألباني.

(٢) أخرجه أبو داود في الباب السابق الحديث ١٤٩٥، والنسائي في الباب السابق الحديث ١٣٢٦، وابن ماجه في الباب السابق الحديث ٣٨٥٨، وأحمد ٣: ١٥٨، ٢٤٥، ٢٦٥، وابن حبان الحديث ٨٩٠، والحاكم ١: ٥٠٣ـ٥٠٤، وصححه ووافقه الذهبي وكذا صححه الألباني.

(٣) في: «مدارج السالكين» ١: ٤٦ـ٤٧.

بالحمد والثناء عليه وتمجيده، والتوسل إليه بعبوديته وتوحيده. ثم جاء سؤال أهم المطالب، وأنجح الرغائب ـ وهو الهداية ـ بعد الوسيلتين. فالداعي به حقيق بالإجابة».

٣٦ـ وجوب دعاء الله والتضرع إليه، وسؤاله الهداية، التي هي أجل المطالب لقوله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ﴾ أي اهدنا إليه وفيه، وذلك بالتوفيق إلى سلوك طريق الإيمان، دون سواه، وإلى فعل التفاصيل الدينية بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، فالعبد في كل لحظة وعند أي عمل في حاجة أن يوفقه الله ويهديه إلى الصراط المستقيم ويهديه فيه، ولولا هداية الله وعونه وتوفيقه للعبد لانقطعت به الأسباب، وضل عن جادة الصواب، فحاجة العبد إلى سؤال الله هذه الهداية ضرورية لسعادته وفلاحه في الدنيا والآخرة أشد من حاجته إلى الرزق والطعام والشراب وغير ذلك[١].

٣٧ـ في قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ﴾ رد على القدرية المجوسية القائلين بأن العبد يخلق فعل نفسه، ولو كان يخلق فعل نفسه ما كان في حاجة إلى أن يسأل الهداية[٢].

٣٨ـ أن الهدى الحقيقي الصحيح هو ما جاء عن الله ـ تعالى لقوله ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ﴾ فمن التمس الهدى من غير الله، فهو

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» ١٤: ٣٩، ١٧: ١٣١ـ١٣٢، ٨: ٢١٥ـ٢١٦، «بدائع الفوائد» ٢: ١٨.

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٤٩.

على ضلال كمن يحتكم إلى القوانين الوضعية التي وضعها البشر، وصدق الله العظيم: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ ﴾[(١)].

٣٩ـ مشروعية دعاء المسلم لإخوانه المسلمين حين يدعو لنفسه يؤخذ هذا من التعبير بضمير الجمع في قوله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ﴾[(٢)]. وفي هذا، وفي قوله قبله ﴿نعبد﴾ و ﴿نستعين﴾ إشارة إلى فضل الجماعة[(٣)]. كما أن في الآيتان بضمير الجمع فيهما تعظيماً لله تعالى وثناء عليه بسعة مجده وكثرة عبيده وكثرة سائليه[(٤)].

٤٠ـ ربط الأعمال ونجاحها بأسبابها، وربط الأسباب بمسبباتها يؤخذ هذا من قوله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ﴾. فبهداية الله للعبد وتوفيقه له يسلك الطريق المستقيم فيعرف الحق ويعمل به.

٤١ـ أن صراط الله والطريق الموصل إليه عدل مستقيم لا اعوجاج فيه وهو الإيمان بالله تعالى ـ ومعرفة الحق والعمل به والعلم النافع والعمل الصالح، وهو المؤدي إلى السعادة في الدنيا والآخرة، بخلاف طرق الباطل فهي ملتوية معوجة، وتؤول بصاحبها إلى الشقاء والهلاك في الدنيا والآخرة.

٤٢ـ يؤخذ من قوله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ﴾ بعد قوله في أول السورة ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٠.

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» ١: ٥٣.

(٣) انظر: «تأملات في سورة الفاتحة» ص ٩١ـ٩٩.

(٤) انظر: «بدائع الفوائد» ٢: ٣٩.

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ أن من كانت هذه صفته لم يكن أحد أحق منه بالعبادة والاستعانة وطلب الهداية.

٤٣ـ أن الصراط المستقيم الذي يسأل العبد ربه الهداية إليه هو صراط الذين أنعم عليهم بطاعته تعالى، وطاعة رسوله ـ ﷺ ـ فأنْعِم به من طريق، وأكرم بها من نعمة. قال تعالى في سورة النساء: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ۝٧٠﴾(١). وقد أضاف سبحانه وتعالى الصراط إلى الاسم الموصول في قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ ليعم السؤال الهداية إلى صراط جميع المنعم عليهم بجميع تفاصيله(٢).

٤٤ـ أن الهداية للطريق المستقيم بالإيمان بالله والعمل الصالح هي أعظم نعمة على العبد ولا تنال إلا بإنعام الله وتوفيقه للعبد، قال تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. وقال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾(٣). فمن وفق ورزق هذه النعمة، وهي نعمة الإيمان بالله فهو المُوفَّق، وإن فاته ما دونها من النعم، ومن حرمها ولم يُوفَّق لها فهذا هو الخاسر المغبون وإن حصل له شيء مما دونها من النعم،

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩ـ٧٠.

(٢) انظر: «بدائع الفوائد» ٢: ١٧ـ١٨.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٧.

بل إن التوفيق لهذه النعمة سبب للتوفيق لما دونها من النعم، وإن حرمانها سبب وعلامة على حرمان ما دونها من النعم.

وهذه هي النعمة المطلقة التي بها سعادة المرء في الدنيا والآخرة، وهي التي خص الله بها أولياءه، أما مطلق النعمة فهو عام لهم ولغيرهم.

قال ابن القيم[١] ـ رحمه الله ـ: «وفي تخصيصه لأهل الصراط المستقيم بالنعمة ما دل على أن النعمة المطلقة هي الموجبة للفلاح الدائم، وأما مطلق النعمة فعلى المؤمن والكافر، فكل الخلق في نعمة، فهذا فصل النزاع، في مسألة هل لله على الكافر نعمة أم لا؟. فالنعمة المطلقة لأهل الإيمان، ومطلق النعمة تكون للمؤمن والكافر، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[٢]. والنعمة من جنس الإحسان، بل هي الإحسان، والرب تعالى إحسانه على البر والفاجر والمؤمن والكافر، وأما الإحسان المطلق فللذين اتقوا والذين هم محسنون».

٤٥ـ في قوله تعالى: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ مبنياً للفاعل الاستعطاف بنسبة النعم إلى الله والاعتراف بنعمه السابقة على العباد، فكأنه يقول أسألك يارب الهداية ياسابق الإنعام والفضل والإحسان، كما في الدعاء

---

(١) في «مدارج السالكين» ١:٣٥، وانظر: «التفسير القيم» ص١٢، «بدائع الفوائد» ٢:٢٢.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

«اللهم اهدني فيمن هديت[(١)]».

٤٦ـ التنويه بعلو شأن المنعم عليهم وفضلهم ورفعة قدرهم، وعلو درجاتهم يؤخذ هذا من قوله: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾.

٤٧ـ الترغيب بسلوك الطريق المستقيم ببيان الرفقة فيه وسالكيه وأَنْعِم بهم من رفقة.

قال ابن القيم[(٢)]: «ولما كان طالبَ الصراط المستقيم طالبَ أمرٍ أكثرُ الناس ناكبون عنه مريداً لسلوكِ طريقٍ مرافقه فيها في غاية القلة والعزة، والنفوس مجبولة على وحشة التفرد وعلى الأنس بالرفيق نبه الله سبحانه على الرفيق في هذه الطريق، وأنهم هم ﴿ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩ ﴾[(٣)] فأضاف الصراط إلى الرفيق السالكين له، وهم الذين أنعم الله عليهم، ليزول عن الطالب للهداية، وسلوك الصراط وحشة تفرده عن أهل زمانه وبني جنسه، وليعلم أن رفيقه في هذا الصراط هم الذين أنعم الله عليهم، فلا يكترث بمخالفة الناكبين عنه له، فإنهم هم الأقلون قدرا، وإن كانوا الأكثرين عدداً، كما قال بعض السلف: «عليك بطريق الحق،

---

(١) أخرجه من حديث الحسن بن علي أبو داود في الصلاة، القنوت في الوتر الحديث ١٤٢٥، والنسائي في قيام الليل، الحديث ١٦٤٧، وابن ماجه ـ ماجاء في الوتر الحديث ١١٧٨، وأحمد ١:١٩٩ وهو حديث صحيح.

(٢) في «مدارج السالكين» ١:٤٤ـ٤٥ وانظر «التفسير القيم» ص٢١.

(٣) سورة النساء، الآية:٦٩.

ولا تستوحش لقلة السالكين، وإياك وطريق الباطل ولا تغتر بكثرة الهالكين» وكلما استوحشت في تفردك فانظر إلى الرفيق السابق واحرص على اللحاق بهم، وغض الطرف عمن سواهم، فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإذا صاحوا بك في طريق سيرك فلا تلفت إليهم، فإنك متى التفت إليهم أخذوك وعاقوك.

وقد ضربت لذلك مثلين، فليكونا منك على بال:

المثل الأول: رجل خرج من بيته إلى الصلاة، لا يريد غيرها. فعرض له في طريقه شيطان من شياطين الإنس، فألقى عليه كلاماً يؤذيه، فوقف ورد عليه، وتماسكا. فربما كان شيطان الإنس أقوى منه، فقهره، ومنعه عن الوصول إلى المسجد، حتى فاتته الصلاة. وربما كان الرجل أقوى من شيطان الإنس، ولكن اشتغل بمهاوشته عن الصف الأول، وكمال إدراك الجماعة. فإن التفت إليه أَطْمَعَه في نفسه، وربما فترت عزيمته. فإن كان له معرفة وعلم زاد في السعي والجمز[١]، بقدر التفاته أو أكثر. فإن أعرض عنه، واشتغل بما هو بصدده، وخاف فوت الصلاة أو الوقت: لم يبلغ عدوه منه ما شاء.

المثل الثاني: الظبي أشد سعياً من الكلب، ولكنه إذا أحس به التفت إليه فيضعف سعيه. فيدركه الكلب، فيأخذه.

والقصد أن في ذكر هذا الرفيق: ما يزيل وحشة التفرد، ويحث على السير والتشمير للحاق بهم، وهذه إحدى الفوائد في دعاء القنوت

---

(١) الجمز: سرعة السير والعدو ـ انظر «اللسان» مادة «جمز».

«**اللهم اهدني فيمن هديت**[١]»: أي أدخلني في هذه الزمرة، واجعلني رفيقاً لهم ومعهم..».

٤٨ـ أن طريق الحق واحد، ولهذا ذُكر بالإفراد وعُرِّف في الموضعين الأول بأل، والثاني بالإضافة. قال تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: أي الطريق المعهود المعروف.

بخلاف طرق الباطل، فهي كثيرة متشعبة ولهذا ذكرها بالجمع بينما أفرد طريق الحق في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[٢].

قال ابن القيم[٣]: «وذكر الصراط المستقيم مفردا معرفا تعريفين، تعريفاً باللام، وتعريفاً بالإضافة، وذلك يفيد تَعَيّنه واختصاصه، وأنه صراط واحد، وأما طرق أهل الغضب والضلال فإنه سبحانه يجمعها ويفردها كقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[٤]».

وعن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: «**خط لنا رسول الله ـ ﷺ ـ خطاً، وقال: هذه سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن**

---

(١) سبق تخريجه قريباً.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.
(٣) في «مدارج السالكين» ١: ٣٧ـ٣٨، وانظر: «التفسير القيم» ص١٤.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

يساره، وقال: هذا سبل، على كل سبيل شيطان يدعو إليه، ثم قرأ قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[1]».

٤٩ـ أن الصراط تارة يضاف إلى سالكيه، كما في قوله ـ تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ وتارة يضاف إلى الله ـ تعالى ـ الذي نصبه وشرعه ووضعه لعباده كما في قوله ـ تعالى: ﴿ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ ﴾[4].

٥٠ـ وجوب الاعتراف بالنعمة لموليها ومسديها لقوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ فالمنعم الحق بجميع النعم هو الله ـ جل وعلا ـ كما قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ ﴾[6].

٥١ـ في إثبات حمده بصفات الكمال، وإثبات ربوبيته وملكه، وكونه مستعانا به، مسؤولاً أن يهديَ عباده الصراط المستقيم، وكونه

---

(١) رواه أحمد ١:٤٣٥، ٤٦٥، وابن حبان ٦، ٧، والحاكم ٢:٢٣٩، ٣١٨. وصححه ووافقه الذهبي. وفيه عاصم بن بهدلة متكلم في حفظه. وللحديث شاهد من حديث جابر عند أحمد ٣:٣٩٧، وابن ماجه «في المقدمة ـ الحديث (١١) وصححه الألباني.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٥٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢٦.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣، انظر: «مدارج السالكين» ١: ٣٣، «التفسير القيم» ص١٠.

(٥) سورة النحل، الآية: ٥٣.

(٦) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤، وسورة النحل، الآية: ١٨.

منعماً ـ في ذلك كله دلالة على أنه تعالى فاعل مختار بقدرته ومشيئته، ورد على القائلين بالموجب بالذات دون الاختيار والمشيئة ـ تعالى الله عما يقول الجاهلون علوا كبيراً[١].

٥٢ـ استدل الشنقيطي ـ رحمه الله[٢] ـ بقوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝ ﴾ على صحة إمامة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ قال: «لأنه داخل في الذين أمرنا الله في هذه السورة بأن نسأل أن يهدينا صراطهم. قال: فدل على أن صراطهم هو الصراط المستقيم، وقد بين الرسول ـ ﷺ ـ أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ من الصديقين، فاتضح أنه داخل في الذين أنعم الله عليهم لقوله ـ تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝ ﴾[٣]. قال: فهو ـ رضي الله عنه ـ على الصراط المستقيم، وإمامته حق».

٥٣ـ إثبات كمال الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، لقوله تعالى بعد أن ذكر هذا الصراط ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝﴾ أي غير صراط المغضوب عليهم، ولا صراط الضالين.

لأن الصفات السلبية يؤتى بها لاثبات كمال ضدها كقوله تعالى:

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» ١: ٩٢، «التفسير القيم» ص٥٧.
(٢) في «أضواء البيان» ١: ٤٢ـ٤٣.
(٣) سورة النساء، الآية: ٦٩.

﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾(١) لإثبات كمال قيوميته وكقوله ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾(٢) ونحو ذلك.

٥٤ـ ينبغي للعبد بعد أن يسأل الله ـ تعالى ـ أن يهديه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم فحققوا التوحيد وأن يسأله أيضا أن يجنبه صراط المغضوب عليهم ممن عرفوا الحق ولم يعملوا به، من اليهود وغيرهم، وصراط الضالين الذين عبدوا الله على جهل وضلال من النصارى وغيرهم، لقوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ وهذا هو أفضل دعاء دعابه العبد ربه وأوجبه وأنفعه(٣).

٥٥ـ إثبات صفة الغضب لله ـ كما يليق بجلاله وعظمته، وهي من الصفات الفعلية المتعلقة بالمشيئة لكن لايشتق منها اسم على الإطلاق فلا يقال: الغضبان ـ أوالغاضب. قال تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وقال تعالى: ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾(٥).

٥٦ـ ينبغي للعبد أن يسلك من الطرق أحسنها وأصلحها وأقومها،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٥٨.
(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» ١٧: ١٣٢.
(٤) سورة الفتح، الآية: ٦.
(٥) سورة النساء، الآية: ٩٣.

وأن يختار لنفسه القدوة الحسنة، والأسوة الصالحة، بسلوك طريق النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وأن يحذر من طرق الكفر والبغي والضلال، التي هي مسالك اليهود والنصارى وغيرهم.

٥٧ـ أن من أخص صفات اليهود الغضب، لأنهم عرفوا الحق وتركوه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[١]. وأن من أخص أوصاف النصارى الضلال، لأنهم عبدوا الله على جهل وضلال كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٧٧﴾[٢].

ولهذا وصف الله في سورة الفاتحة كلاً من اليهود والنصارى بأخص أوصافهم فقال ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ يعني اليهود ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ يعني النصارى. وإلا فكل من الطائفتين مغضوب عليه وضال.

٥٨ـ أن كل من سلك مسلك أحد الطائفتين شمله وصف تلك الطائفة كما قال سفيان: «من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود. ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى».

وفي الحديث من «تشبه بقوم فهو منهم»[٣].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٠.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٧.

(٣) أخرجه أبو داود في اللباس ـ باب في لبس الشهرة ـ الحديث ٤٠٣١ من حديث ابن =

فيجب الحذر من التشبه بهم، إذ ليس بين الله وبين أحد من الخلق نسب بل إن الآية توجب سؤال الله السلامة من جميع مسالك الكفر والضلال والحذر من ذلك.

٥٩- دل قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾ وما بعده على أن الناس ينقسمون بحسب معرفة الحق والعمل به إلى ثلاثة أقسام: قسم أنعم الله عليهم بمعرفة الحق والعمل به، وقسمان مخذولان، أحدهما: من عرفوا الحق وتركوه كفرا وعنادا، وهم اليهود، ومن سلك مسلكهم، ولهذا استحقوا غضب الله تعالى. والقسم الثاني: من ضلوا عن الحق وجهلوه من النصارى، ومن سلك مسلكهم، ولهذا وصفهم الله بالضلال[1].

٦٠- في إسناد النعمة إلى الله تعالى، وإضافتها إليه في قوله: ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ إشارة إلى تفرده بالإنعام، وتكريم المُنْعَم عليه. وفي حذف فاعل الغضب في قوله ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ ﴾ إشارة إلى أن الغضب عليهم لا يختص به تعالى - بل ملائكته وأنبياؤه ورسله يغضبون لغضبه، كما أن في ذلك إشعاراً بإهانة المغضوب عليهم وتحقيرهم.

كما أن في إسناد النعمة إلى الله تعالى، وحذف فاعل الغضب وإسناد الضلال إلى من قام به في قوله ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ تعليم لحسن الأدب مع الله بإسناد الخير والنعم إليه، وحذف الفاعل فيما

= عمر، وكذا أحمد ٢: ٥، وصححه الألباني.

(١) انظر «مدارج السالكين» ١: ٣٤.

يقابل ذلك أو إسناده إلى من قام به كما قال ﷺ «**والخير كله بيديك والشر ليس إليك**»[(١)].

أي أن الشر في مفعولات الله، لا في فعله، فإن فعله كله خير وحكمة، وكما قال إبراهيم الخليل ـ عليه السلام، فيما حكى الله عنه: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾[(٢)].

٦١ـ بلوغ القرآن غاية الإيجاز مع الفصاحة والبيان. فإن الله وصف كلا من الطوائف الثلاث بوصف يستلزم الجزاء وسببه بأوجز لفظ في قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

قال ابن القيم[(٣)]: «وتأمل سراً بديعاً في ذكر السبب والجزاء للطوائف الثلاثة بأوجز لفظ وأخصره، فإن الإنعام عليهم يتضمن إنعامه بالهداية التي هي العلم النافع والعمل الصالح، وهي الهدى ودين الحق، ويتضمن كمال الإنعام بحسن الثواب والجزاء فهذا تمام النعمة، ولفظ ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يتضمن الأمرين.

وذكر غضبه على المغضوب عليهم يتضمن أيضاً أمرين الجزاء

---

(١) أخرجه مسلم في الصلاة، الحديث ٧٧١، وأبو داود في الصلاة الحديثان ٧٦٠، ٧٦١، والنسائي في الافتتاح الحديث ٨٦٢، والترمذي في الصلاة الحديث ٢٦٦.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٧٩ـ٨٠. انظر «تفسير الطبري» ١: ١٩٥، ١٩٧، «المحرر الوجيز» ١: ٨٨، «مدارج السالكين» ١: ٣٤ـ٣٦، «بدائع الفوائد» ٢: ١٨ـ٢٠ «تفسير ابن كثير» ١: ٦٠.

(٣) في «مدارج السالكين» ١: ٣٦ـ٣٧، وانظر «التفسير القيم» ص١٣ـ١٤.

بالغضب الذي موجبه غاية العذاب والهوان، والسبب الذي استحقوا به غضبه سبحانه فإنه أرحم وأرأف من أن يغضب بلا جناية منهم ولا ضلال. فكأن الغضب عليهم مستلزم لضلالهم، وذكر الضالين مستلزم لغضبه عليهم، وعقابه لهم، فإن من ضل استحق العقوبة التي هي موجب ضلاله وغضب الله عليه.

٦٢ـ الترغيب في سلوك سبيل المنعم عليهم والمؤمنين والترهيب من سلوك طريق المغضوب عليهم والضالين يؤخذ هذا من المقابلة بين الهداية والنعمة والغضب والضلال[١].

٦٣ـ دلت السورة على إثبات النبوات ووجوب الإيمان بالكتب والرسل، والرد على منكري النبوات. وذلك في مواضع كثيرة منها، ما يلي:

أولاً: من قوله ـ تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إذ لا سبيل إلى معرفة حمده، ووصفه بصفاته إلا عن طريق كتبه ورسله، كما أن في إثبات حمده التام ووصفه بصفات الكمال ما يقتضي كمال حكمته، وأن لا يخلق الخلق عبثاً، ولا يتركهم سداً، لا يؤمرون، ولا ينهون، ولهذا نزه ـ تعالى نفسه عن هذا في مواضع من كتابه، وبين أن من أنكر الرسالة والنبوة فإنه ما قدره حق قدره قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» ١:٣٦ـ٣٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩١.

﴿إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾[1].

قال ابن القيم[2] ـ رحمه الله ـ تعالى: «فمن أعطى الحمد حقه علماً ومعرفة وبصيرة استنبط منه: «أشهد أن محمداً رسول الله» كما يستنبط منه «أشهد أن لا إله إلا الله» وعلم قطعا أن تعطيل النبوات في منافاته للحمد كتعطيل الصفات، وكإثبات الشركاء والأنداد».

ثانياً: من قوله ـ تعالى: ﴿الله﴾ ومعناه: المألوه المعبود، ولا سبيل إلى معرفة كيفية عبادته، وما يعبد به إلا من طريق الرسل والنبوات.

ثالثاً: من قوله ـ تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢﴾ إذ الرب يتعهد مربوبه بالتربية والإصلاح، ومقتضى ذلك إرسال الرسل، وإنزال الكتب، لدعوة الناس إلى الخير، وتحذيرهم من الشر في دينهم ودنياهم.

وقال ابن القيم[3]: «فلا يليق به أن يترك عباده سدا هملا، لا يعرفهم ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم، وما يضرهم فيهما، فهذا هضم للربوبية، ونسبة الرب ـ تعالى ـ إلى ما لايليق به، وما قدره حق قدره، من نسبه إليه».

رابعاً: من قوله ـ تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ فإن مقتضى

---

(١) سورة الرعد، الآية:١٩. انظر: «مدارج السالكين» ١: ٣٠ـ٣٤، ٩٤ـ٩٦، «التفسير القيم» ص٧ـ١١، ٥٨ـ٦١.

(٢) في «مدارج السالكين» ١: ٩٤.

(٣) في «مدارج السالكين» ١: ٣٠.

رحمته ألا يترك العباد بلا رسل تبلغهم وحي الله، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1].

قال ابن القيم[2]: «فإن رحمته تمنع إهمال عباده، وعدم تعريفهم ما ينالون به غاية كمالهم، فمن أعطى اسم «الرحمن» حقه عرف أنه متضمن لإرسال الرسل، وإنزال الكتب، أعظم من تضمنه علم إنزال الغيث، وإنبات الكلأ، وإخراج الحب، فاقتضاء الرحمة لما تحصل به حياة القلوب والأرواح أعظم من اقتضائها لما تحصل به حياة الأبدان والأشباح، لكن المحجوبون إنما أدركوا من هذا الاسم حظ البهائم والدواب، وأدرك منه أولو الألباب أمراً وراء ذلك».

خامساً: من قوله: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ فإن من تمام ملكه أن يكون له رسل وكتب يبثها في أقطار مملكته لتبليغ أوامره ونواهيه.

سادساً: من قوله ـ تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ إذ كيف يحاسب ويجازي الخلق إلا بعد إقامة الحجة عليهم بإرسال الرسل، كما قال ـ تعالى: ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾[3].

قال ابن القيم[4]: «فإنه اليوم الذي يدين الله العباد فيه بأعمالهم فيثيبهم على الخيرات، ويعاقبهم على المعاصي والسيئات، وما كان الله

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.
(٢) في «مدارج السالكين» ١: ٣١
(٣) سورة النساء، الآية: ١٦٥.
(٤) في «مدارج السالكين» ١: ٣١.

ليعذب أحدا قبل إقامة الحجة عليه. والحجة إنما قامت برسله وكتبه وبهم استحق الثواب والعقاب، وبهم قام سوق يوم الدين، وسبق الأبرار إلى النعيم، والفجار إلى الجحيم».

سابعاً: من قوله ـ تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لأن الله لم يتعبد خلقه بالجهل، ولا طريق لمعرفة كيفية عبادته وبماذا يعبد إلا بواسطة الرسل والكتب.

ثامناً: من قوله ـ تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ فإن من أقسام الهداية هداية البيان والدلالة والإرشاد، ولا يكون ذلك إلا من طريق الرسل والكتب المنزلة عليهم من عند الله ـ تعالى. ولا يمكن معرفة الطريق المستقيم الموصل إلى الله، والمؤدي إلى السعادة في الدارين إلا من طريق الرسل والكتب.

تاسعاً: من قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وهم النبيون ومن ذكر الله معهم في قوله ـ تعالى في سورة النساء: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾[1]، فإن معرفة المنعم عليهم ومعرفة طريقهم، ومعرفة النعمة التي من أجلها استحقوا أن يذكروا بها على سبيل التشريف والتعظيم. كل ذلك لا يمكن معرفته إلا من طريق الرسل والكتب.

عاشراً: من قوله ـ تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

ﭐلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ إذ لا يمكن معرفة طريق المغضوب عليهم، وطريق الضالين ليجتنبهما العبد إلا من طريق الرسل والكتب.

الحادي عشر: من قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ لأن انقسام الناس إلى هذه الأقسام الثلاثة إنما حصل بسبب إرسال الرسل، فمن عرف الحق الذي جاؤوا به واتبعه فهو من أهل النعمة، ومن عرفه وعانده فهو من أهل الغضب، ومن جهل الحق فهو من أهل الضلال.

ويتفرع عن هذا أنه إذا كانت السورة متضمنة إثبات الرسالات والنبوات اقتضى ذلك إثبات صفة التكلم والتكليم له جلا وعلا. قال ابن القيم[1]: «فإن حقيقة الرسالة تبليغ كلام المرسِل، فإذا لم يكن ثم كلام فماذا يبلغ الرسول؟ بل كيف يعقل كونه رسولا. ولهذا قال غير واحد من السلف: من أنكر أن يكون الله متكلماً أو أن يكون القرآن كلامه، فقد أنكر رسالة محمد ـ ﷺ ـ، بل ورسالة جميع الرسل التي حقيقتها تبليغ كلام الله تبارك وتعالى».

٦٤ـ تضمنت السورة الدلالة على سعة علم الله ـ عز وجل ـ وخبرته وتعلق علمه بالجزئيات، والرد على من أنكر ذلك من وجوه لأن كونه محموداً موصوفاً بصفات الكمال يقتضي أن يعلم أحوال العالم وتفاصيل جزئياته، وكونه إلهاً معبوداً يقتضي أن يعلم من يعبده ممن يعبد سواه، وكونه ربا للعالمين يقتضي أن يكون عالما بتفاصيل

---

(١) في «مدارج السالكين» ١: ٩٦.

مخلوقاته مدبراً لها، وكونه رحماناً رحيماً يقتضي أن يعلم أحوال المرحومين، وكونه مالكاً ليوم الدين يقتضي أن يعرف أحوال مملكته ورعيته ليجازي كلا بعمله، كما أن كونه مستعاناً به ومسؤولاً الهداية وهادياً ومنعماً على من أطاعه ويغضب على من عصاه، كل ذلك يدل على تعلق علمه بالجزئيات وشموله لها[١].

٦٥ـ اشتمل قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ وما بعده إلى آخر السورة على الرد على جميع طوائف الكفر والضلال. وذلك على سبيل الإجمال لأن الحق في معرفة ما جاء به المصطفى ـ ﷺ ـ والسير على نهجه، وما عداه من المسالك والسبل الملتوية والمعوجة مردودة باطلة.

وقد عقد ابن القيم[٢] رحمه الله، فصلا في اشتمال الفاتحة على الرد على جميع المبطلين من أهل الملل والنحل والرد على أهل البدع والضلال من هذه الأمة. قال: وهذا يعلم بطريقين مجمل ومفصلٌ.

وبعد أن ذكر رحمه الله ما فيها من رد على جميع المبطلين بطريق الإجمال بينَّ اشتمالها على الرد على جميع المبطلين بطريق التفصيل، فذكر الرد منها على الملاحدة وإبطال قولهم وبيان ضلالهم، والرد على المجوس والقدرية وعلى الجهمية وأهل الإشراك في ربوبيته وإلهيته

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» ١: ٩٣ـ٩٤، «التفسير القيم» ص٥٨.

(٢) في «مدارج السالكين» ١: ٨٥ ـ ٩٨، وانظر «التفسير القيم» ص٤٩ـ٦٥، وانظر «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» ٤: ١٢٢٢ـ١٢٢٥، «تيسر الكريم الرحمن» ١: ٣٨.

وعلى الجهمية معطلة الصفات، وعلى الجبرية، وعلى القائلين بالموجب بالذات دون الاختيار والمشيئة وإثبات أن الله فاعل مختار والرد على منكري تعلق علمه بالجزئيات، ومنكري النبوات وإثبات صفة التكلم لله عز وجل، والرد على من قال بقدم العالم، وكل هذا سبقت الإشارة إليه.

وختم ابن القيم هذا الفصل في بيان تضمنها للرد على الرافضة. قال: «وذلك من قوله ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ إلى آخرها. قال: ووجه تضمنه إبطال قولهم: أنه سبحانه قسم الناس إلى ثلاثة أقسام: «منعم عليهم» وهم أهل الصراط المستقيم، الذين عرفوا الحق واتبعوه. «ومغضوب عليهم» وهم الذين عرفوا الحق ورفضوه، و«ضالون» وهم الذين جهلوه فأخطأوه. فكل من كان أعرف للحق، وأتبع له كان أولى بالصراط المسقيم، ولا ريب أن أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم هم أولى بهذه الصفة من الروافض فإنه من المحال أن يكون أصحاب رسول الله ﷺ ـ ورضي الله عنهم ـ جهلوا الحق وعرفه الروافض، أو رفضوه وتمسك به الروافض.

ثم إنا رأينا آثار الفريقين تدل على أهل الحق منهما. فرأينا أصحاب رسول الله ﷺ فتحوا بلاد الكفر وقلبوها بلاد إسلام، وفتحوا القلوب بالقرآن والعلم والهدى، فآثارهم تدل على أنهم أهل الصراط المستقيم ورأينا الرافضة بالعكس في كل زمان ومكان، فإنه قط ما قام للمسلمين عدو من غيرهم إلا كانوا أعوانهم على الإسلام، وكم جرّوا على الإسلام وأهله من بلية... ولهذا فسر السلف الصراط المستقيم وأهله بأبي بكر وعمر وأصحاب رسول الله ﷺ، ورضي الله عنهم، وهو

كما فسروه، فإنه صراطهم الذي كانوا عليه، وهو عين صراط نبيهم. . . وأشد الأمة مخالفة له الرافضة. . . فقد تبين أن الصراط المستقيم طريق أصحابه وأتباعه، وطريق أهل الغضب والضلال طريق الرافضة. وبهذه الطريقة ـ بعينها ـ يرد على الخوارج فإن معاداتهم الصحابة معروفة».

٦٦ـ تضمنت السورة شفاء القلوب، كما تضمنت شفاء الأبدان، قال ابن القيم[١]: «فأما اشتمالها على شفاء القلوب فإنها اشتملت عليه أتم اشتمال فإن مدار اعتلال القلوب وأسقامها على أصلين: فساد العلم وفساد القصد. ويترتب عليهما داءان قاتلان وهما الضلال والغضب فالضلال نتيجة فساد العلم والغضب نتيجة فساد القصد، وهذان المرضان هما ملاك أمراض القلوب جميعها. فهداية الصراط المستقيم تتضمن الشفاء من مرض الضلال، ولذلك كان سؤال هذه الهداية أفرض دعاء على كل عبد وأوجبه عليه كل يوم وليلة في كل صلاة، لشدة ضرورته وفاقته إلى الهداية المطلوبة، ولا يقوم غير هذا السؤال مقامه. والتحقق بـ ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ علماً ومعرفة وعملا وحالا يتضمن الشفاء من مرض فساد القلب والقصد . . . إلى أن قال: ثم إن القلب يعرض له مرضان عظيمان إن لم يتداركهما العبد تراميا به إلى التلف ولابد، وهما الرياء والكبر، فدواء الرياء بـ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ ودواء الكبر بـ ﴿ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ وكثيرا ما كنت أسمع شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول:

---

(١) في «مدارج السالكين» ١: ٧٩ـ٨٢.

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ تدفع الرياء ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ تدفع الكبرياء». فإذا عوفي من مرض الرياء بـ﴿إياك نعبد﴾ ومن مرض الكبرياء والعجب بـ ﴿إياك نستعين﴾ ومن مرض الضلال والجهل بـ ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾ عوفي من أمراضه وأسقامه، ورفل في أثواب العافية، وتمت عليه النعمة، وكان من المنعم عليهم، غير المغضوب عليهم، وهم أهل فساد القصد الذين عرفوا الحق وعدلوا عنه، والضالين وهم أهل فساد العلم، الذين جهلوا الحق ولم يعرفوه.

وحق لسورة تشتمل على هذين الشفاءين أن يستشفى بها من كل مرض، ولهذا لما اشتملت على هذا الشفاء الذي هو أعظم الشفاءين كان حصول الشفاء الأدنى بها أولى».

ثم ذكر الدليل من السنة على شفائها للأبدان، وهو حديث أبي سعيد الخدري في قصة اللديغ. وقد سبق ذكره في أسماء الفاتحة، كما استشهد بقواعد الطب وما دلت عليه التجربة.

الفصل الثاني

الأحكام التي تتعلق بسورة الفاتحة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حكم قراءة الفاتحة في الصلاة.

المبحث الثاني: وفيه مسائل:

أ ـ من لم يستطع قراءة الفاتحة في الصلاة.

ب ـ قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة.

ج ـ قول: «آمين» بعد قراءة الفاتحة.

هـ ـ قراءة ما زاد على الفاتحة في الصلاة.

المبحث الأول

حكم قراءة الفاتحة في الصلاة

أولاً: حكم قراءة الفاتحة في حق الإمام والمنفرد:

جمهور أهل العلم على وجوب قراءة الفاتحة في حق الإمام والمنفرد، وأنه لاتصح صلاتهما بدونها[١].

منهم مالك[٢]، والشافعي[٣]، وأحمد في المشهور، بل الصحيح عنه[٤]، وإسحاق[٥]، وعبدالله بن المبارك[٦]، والأوزاعي[٧]، وأبو ثور[٨]، وداود[٩]، وغيرهم.

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» ١: ٢٧ـ٢٨، «نيل الأوطار» ٢: ٢٣٤ـ٢٣٨.

(٢) انظر: «المدونة» ١: ٦٥ـ٦٧، «الكافي في فقه أهل المدينة» ١: ١٠٧، «الاستذكار» ٢: ١٦٨، «التمهيد» ١١: ٣١، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١١٩.

(٣) انظر: «الأم» ١: ١٠٧، «أحكام القرآن» للشافعي ص٧٧، «المهذب» ١: ٧٩، «تفسير ابن كثير» ١: ٢٧ـ٢٨.

(٤) انظر: «مسائل الإمام أحمد» رواية ابنه عبدالله ص٧١، الفقرات: ٢٥٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، «مسائل الإمام أحمد» رواية النيسابوري ١: ٥١، «مسائل الإمام أحمد» لأبي داود ص٣٢، «المسائل الفقهية» ١: ١١٧، «المغني» ٢: ١٥٦، «تنقيح التحقيق» ٢: ٨٥٩، «آداب المشي إلى الصلاة» ص٨٨.

(٥) انظر: «الأوسط» ٣: ١٠١، «الاستذكار» ٢: ١٦٨.

(٦) انظر: «سنن الترمذي» ٢: ٢٦

(٧) انظر: «المغني» ٢: ١٥٦، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١١٩.

(٨) انظر: «الاستذكار» ٢: ١٦٨.

(٩) انظر: «المحلى» ٣: ٢٣٦.

مستدلين بقوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ﴾[١]، وبحديث أبي هريرة في الصحيحين في قصة المسيء في صلاته وفيه: «**ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن**»، وقوله بعد ذلك «**ثم افعل ذلك في صلاتك كلها**»[٢] وهذا صريح في القراءة في كل ركعة، والفاتحة أيسر القرآن.

كما استدلوا بحديث عبادة في الصحيحين: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**» وحديث أبي هريرة عند مسلم: «**كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج**»، وغيرهما من الأحاديث[٣].

كما استدلوا ـ أيضا ـ بمداومة الرسول ـ ﷺ ـ وخلفائه على قراءتها، كما في حديث أنس وعائشة ـ رضي الله عنهما[٤]ـ وبما ثبت من النقل عن عامة السلف من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من المداومة على قراءتها، بل ومن القول بوجوبها، وأنه لاتصح الصلاة بدونها[٥].

واختلفوا هل تجب قراءتها في كل ركعة؟ وهذا قول أكثرهم،

---

(١) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

(٢) سيأتي تخريج هذا الحديث ضمن أدلة القول الأول من المسألة التالية، وانظر: «خير الكلام في القراءة خلف الإمام» للبخاري، فقرة: ٢٠١.

(٣) سيأتي ذكر هذه الأحاديث وتخريجها في المسألة التالية ضمن أدلة القول الأول.

(٤) سبق تخريجهما في المبحث الرابع من الفصل الأول من هذا الباب.

(٥) انظر: «المصنف» لعبدالرزاق ١: ٩٣ـ٩٥، ١٢٠، وما بعدها، و«المصنف» لابن أبي شيبة ١: ٣٦٠ـ٣٦١، ٣٧٣ـ٣٧٥، «خير الكلام في القراءة خلف الإمام» للبخاري، «الأوسط» ٣: ٩٨ وما بعدها، «المحلى» ٣: ٢٣٦ وما بعدها، «القراءة خلف الإمام» للبيهقي، «الاستذكار» ٢: ١٦٦ وما بعدها، «نيل الأوطار» ٢: ٢٣٤ وما بعدها.

وقيل: يكفي قراءتها في أكثر الركعات، وبهذا قال مالك، وقيل: يكفي قراءتها في ركعتين، وقيل: تكفي قراءتها في ركعة واحدة من الصلاة. والصحيح الأول.

وذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا تتعين قراءة الفاتحة، وأن الغرض أو الواجب: هو قراءة أقل ما تيسر من القرآن. ورُوي هذا عن الحسن[١] والأوزاعي والثوري[٢]، وقال به أبو حنيفة، وأصحابه.

قال أبو حنيفة: أقل ما تيسر مقدار آية. وقال صاحباه أبو يوسف ومحمد: أقله ثلاث آيات، أو آية طويلة[٣]، ورُوي عن الإمام أحمد مثل قول أبي حنيفة[٤].

واستدل من ذهب إلى هذا القول بقوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾[٥]. وقوله ـ ﷺ ـ للمسيء في صلاته: «**ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن**» متفق عليه[٦].

---

(١) أخرجه عبدالرزاق، الأثر ٢٦٣٠.

(٢) ذكره عنهما ابن الجوزي في «تفسيره» ١: ١٨، والقرطبي في «تفسيره» ١: ١١٨، وابن كثير ١: ٢٨.

(٣) انظر: «أحكام القرآن» للجصاص ١: ١٨-٢٣، «المبسوط» ١: ١٨-١٩، «فتح القدير» لابن الهمام ١: ٣٣١-٣٣٢.

(٤) انظر: «المسائل الفقهية» ١: ١١٧، «التحقيق» ص٣١٦، «زاد المسير» ١: ١٨.

(٥) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

(٦) أخرجه من حديث أبي هريرة البخاري في الصلاة ـ باب أمر النبي ـ ﷺ ـ الذي لا يتم الركوع بالإعادة ـ الحديث ٧٩٣، ومسلم في الصلاة ـ باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ـ الحديث ٣٩٧، وأبو داود ـ الحديث ٨٥٦، والنسائي ـ الحديث ٨٥١.

وحملوا حديث عبادة «**لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب**» وما في معناه على أن المعنى لا صلاة كاملة: أي على نفي الكمال لا على نفي الجواز[١].

والصحيح ما ذهب إليه جمهور أهل العلم، من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، بأنه تتعين قراءة الفاتحة في الصلاة، وأن الصلاة لا تصح بدونها. للأدلة الصريحة الصحيحة الدالة على ذلك. والتي فيها تفسير لقوله تعالى: ﴿مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ ولقوله ـ ﷺ ـ «**ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن**» إذ لا أيسر من قراءة الفاتحة[٢] ولهذا حمله مسلم وغيره على وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة وبوّب له بهذا. كما تقدم في تخريجه ـ وأيضاً ـ قد يحمل «ما تيسر» في الآية والحديث على ما زاد على الفاتحة[٣]، كما قال أبو سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ «**أمرنا أن نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر**»[٤].

ولم أر ما يدعو لذكر الأدلة كلها على وجوب قراءة الفاتحة، وأنها ركن لاتصح الصلاة بدونها وتفصيل القول فيها، خاصة في حق الإمام والمنفرد، نظراً لضعف الخلاف في هذه المسألة، فليس مع المخالف من الأدلة ما يستلزم بسط القول في ذكر أدلة الوجوب التي لا تحصى كثرة من السنة الصريحة الصحيحة، والآثار الثابتة الصحيحة عن سلف

---

(١) انظر: «أحكام القرآن» للجصاص ١: ٢١ـ٢٣، وانظر: «الاستذكار» ٢: ١٦٨.

(٢) انظر: «المحلى» ٣: ٢٣٩ وما بعدها.

(٣) انظر: «القراءة خلف الإمام» للبيهقي ص١٦، «التحقيق» ١: ٣١٩، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٢٣.

(٤) سبق تخريجه في أسماء الفاتحة في المبحث الثاني من الفصل الأول من هذا الباب.

هذه الأمة من الصحابة والتابعين. ونظراً لأن هذه الأدلة سيأتي ذكرها ضمن أدلة القول الأول والثاني في المسألة التالية وهي حكم قراءة الفاتحة في حق المأموم. لأن دلالة هذه الأدلة على وجوب قراءة الفاتحة في حق الإمام والمنفرد أولى من دلالتها على وجوب قراءة الفاتحة في حق المأموم.

ثانياً: حكم قراءة الفاتحة في حق المأموم:

اختلف أهل العلم ـ رحمهم الله ـ قديماً وحديثاً في هذه المسألة لسببين هما:ـ

أـ السبب الأول: ظاهر النصوص الواردة في هذه المسألة، فبعضها يوجب قراءة الفاتحة في الصلاة، وبعضها يوجب الإنصات لقراءة القرآن. الأمر الذي جعل أهل العلم تختلف أقوالهم في توجيه هذه الأدلة، والتوفيق بينها.

ب ـ السبب الثاني: كثرة المروي عن الصحابة والتابعين في هذه المسألة، واختلاف النقل عنهم فيها: فمنهم من رُوِيَ عنه جواز القراءة خلف الإمام مطلقاً، ومنهم من رُوِيَ عنه جواز القراءة خلف الإمام في السرية دون الجهرية، ومنهم من رُوي عنه المنع من القراءة خلف الإمام مطلقاً. بل منهم من رُوِيَ عنه أكثر من قول في هذه المسألة.

وبناء على هذا كثر الاختلاف في هذه المسألة إلى يومنا هذا. وقد ألف فيها كثير من أهل الغلم، وبسطوا القول فيها، منهم من أفردها بالتأليف، كالإمام البخاري في كتابه «خير الكلام في القراءة خلف الإمام»، والبيهقي في كتابه «القراءة خلف الإمام»، واللكنوي من علماء

الحنفية في العصر الحاضر في كتابه «إمام الكلام فيما يتعلق بالقراءة خلف الإمام».

وقد ذكر شارح سنن الترمذي المباركفوري في «تحفة الأحوذي»١ :٢٥٦: أنه ألف فيها كتاباً مبسوطاً سماه «تحقيق الكلام في وجوب القراءة خلف الإمام».

ومنهم من بسط القول فيها ضمن مؤلَّف، ولم يفردها بالتأليف، كابن المنذر في «الأوسط»، والطحاوي في «شرح معاني الآثار»، وابن عبدالبر في «التمهيد» و «الاستذكار» والحازمي في «الاعتبار»، ومن أحسن ما كتب فيها ماكتبه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «مجموع الفتاوى». وقد أفرد بعضهم جواب شيخ الإسلام عن هذه المسألة فطبعه برسالة مستقلة، وهي نفس ما في الفتاوى.

وممن بحث في هذه المسألة من المعاصرين الشيخ عبدالمحسن بن محمد المنيف في كتابه «أحكام الإمامة والائتمام في الصلاة».

ويمكن إجمال الخلاف في هذه المسألة وأدلتها في أقوال ثلاثة هي:ـ

١ـ **القول الأول**: أن المأموم يقرأ الفاتحة خلف الإمام مطلقا في الصلاة السرية والجهرية.

وهذا القول مروي عن جمع من الصحابة والتابعين، مع اختلاف في النقل عن أكثرهم. وكذا احتمال النقل عن بعضهم أن يكون مرادا به هذا القول وهو القراءة خلف الإمام مطلقاً، أو القول الذي بعده وهو القراءة في السرية فقط. فممن رُويَ عنه هذا القول: عمر بن الخطاب ـ

رضـي الله عنـه(١)، وعبـادة بـن ....

---

(١) أخرجه عن عمر ـ عبدالرزاق في المصنف ـ في الصلاة ـ القراءة خلف الإمام الأثر ٢٧٧٦ ـ عن الثوري عن سليمان الشيباني عن جوّاب عن يزيد بن شريك أنه قال لعمر: «أقرأ خلف الإمام؟ قال: نعم. قلت: وإن قرأت ياأمير المؤمنين؟ قال: نعم وإن قرأت».

وقد أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ـ في الصلاة ـ من رخص في القراءة خلف الإمام ١:٣٧٣، والدارقطني ١:٣١٧، وابن المنذر في الأوسط الأثر ١٣٢٢، والطحاوي في شرح معاني الآثار ١:٢١٨ـ٢١٩، والبيهقي في القراءة خلف الإمام الآثار ١٨٦ـ١٨٩ كلهم من طريق سليمان الشيباني بإسناده.

وفي لفظ الدارقطني قال: وإن جهرت؟ قال: وإن جهرت قال الدارقطني «إسناده صحيح، رواته كلهم ثقات».

قلت: وجوّاب: بالجيم المعجمة فواو مشدّدة ثم ألف وباء معجمة تحتية هو ابن عبيدالله: صدوق رمي بالإرجاء، انظر «التقريب» ١:١٣٥.

وأخرج عبدالرزاق في الأثر ٢٧٧٧، والبيهقي في الأثر ١٩٠ عن ابن التيمي عن ليث عن أشعث عن أبي يزيد عن الحارث بن سويد وزيد التيمي قالا: أمرنا عمر ابن الخطاب أن نقرأ خلف الإمام» وقال البيهقي: «ورواة حديث الشيباني أوثق من بعض هذا».

وأخرج ابن المنذر في الأوسط الأثر ١٣٢٣ ـ عن عباية بن رداد قال: كنا في مسير مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لاتجوز صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب وشيء معها. قال فقال رجل: ياأمير المؤمنين: أرأيت إن كنت خلف إمام؟ قال: اقرأ في نفسك».

هذه الآثار من أصح ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذه المسألة وأنه يرى القراءة خلف الإمام في الصلاة السرية والجهرية.

وهل يرى القراءة في الجهرية مطلقاً سكت الإمام أو لم يسكت هذا هو الظاهر ويحتمل أنه يرى ذلك في سكتات الإمام فالله أعلم.

وقد روي عن عمر ـ رضي الله عنه ـ بأسانيد لا تثبت خلاف هذا فقد أخرج عبد الرازق الأثر ٢٨٠٤ ـ من طريق أبي إسحاق الشيباني ـ عن رجل قال: «عهد عمر بن الخطاب أن لا تقرؤا مع الإمام» وفيه رجل لم يسم.

=

الصـامـت(١) . . . .

= وأخرج أيضاً ـ الأثر ٢٨٠٦ ـ من طريق داود بن قيس عن محمد بن عجلان قال: قال عمر بن الخطاب: وددت أن الذي يقرأ خلف الإمام في فيه حجر» وفيه داود بن قيس: مقبول انظر «التقريب» ١ : ٢٣٤ ومحمد بن عجلان: صدوق، انظر «التقريب» ٢ : ١٩٠.

وأخرج ابن أبي شيبة ١ : ٣٧٦ ـ عن نافع وأنس بن سيرين قالا: قال عمر بن الخطاب: «تكفيك قراءة الإمام» وهذا منقطع لأن نافعاً ـ وهو مولى ابن عمر ـ وأنس بن سيرين لم يدركا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقد حمل ابن عبدالبر في «التمهيد» ١١ : ٣٥ ما رواه يزيد بن شريك عن عمر على القراءة حال السر، وحمل ما رواه عبدالرزاق عن عمر من النهي عن القراءة أن المراد بذاك حال الجهر. ثم قال: «وليس في هذا الباب شيء يثبت من جهة الإسناد عن عمر، وعنه فيه اضطراب».

قلت: وحمل ما رواه يزيد على القراءة حال السر فيه نظر لأن قوله فيه «قال: وإن قرأت، قال: وإن قرأت» وفي لفظ: «قال: وإن جهرت قال: وإن جهرت» صريح في أنه في الصلاة الجهرية، وإن لم يكن صريحاً في القراءة وإن لم يسكت الإمام.

وما رواه عبدالرزاق من طريق أبي إسحاق الشيباني في النهي عن القراءة خلف الإمام، فيه رجل لم يسم فهو ضعيف فلا يحتج به على النهي عن القراءة خلف الإمام حال الجهر.

(١) أخرجه عبدالرزاق في المصنف ـ في الصلاة ـ الأثر ٢٧٧١، عن جعفر بن سليمان عن ابن عون قال: حدثنا رجاء بن حيوة قال: صليت إلى جانب عبادة بن الصامت فسمعته يقرأ مع الإمام، فلما قضينا صلاتنا قلنا ياأبا الوليد أتقرأ مع الإمام؟ قال: ويحك إنه لا صلاة إلا بها».

وفي إسناده جعفر بن سليمان الضبعي صدوق زاهد لكنه كان يتشيع انظر «التقريب» ١ : ١٣١. وبقية رجاله ثقات فيهم ابن عون هو عبدالله بن عون.

وأخرجه أيضاً بهذا اللفظ ابن ابي شيبة ١ : ٣٧٥ بإسناد صحيح من طريق شيخة وكيع عن ابن عون وكذا أخرجه ابن المنذر في «الأوسط» الأثر ١٣٢٧، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثران ٢٠١، ٢٠٢ ـ من طريق ابن عون، لكن في إسناده: محمد بن الربيع بين رجاء بن حيوة وعبادة بن الصامت.

وأخرج البخاري في جزء القراءة خلف الإمام ـ الأثر ٦٥ من طريق صدقة بن خالد حدثنا زيد بن واقد عن حزام بن حكيم ومكحول عن ربيعة الأنصاري عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ وكان على إيلياء فأبطأ عبادة عن صلاة الصبح فأقام أبو نعيم =

وأبـــو هـــريـــرة[(١)]، وعبـــدالله بـــن عبـــاس[(٢)]، وعبـــدالله ابـــن

= وكان أول من أذن ببيت المقدس فجئت مع عبادة حتى صف الناس وأبو نعيم يجهر بالقراءة فقرأ عبادة بأم القرآن حتى فهمتها منه فلما انصرف قلت سمعتك تقرأ بأم القرآن فقال نعم صلى بنا النبي ﷺ بعض الصلوات التي يجهر فيها بالقرآن فقال: «**لايقرأن أحدكم إذا جهر بالقراءة إلا بأم القرآن**» وقد اختلف أهل العلم في صحة رفع هذا الحديث كما سيأتي بيانه في ذكر أدلة أصحاب هذا القول.

وأخرجه الدارقطني ١: ٣١٩-٣٢٠ - من طريق زيد بن واقد بإسناده، وقال: «كلهم ثقات، هذا إسناد حسن».

وأخرج ابن عبدالبر في «الاستذكار» ٢: ١٩٠ عن الأوزاعي قال: «أخذت القراءة مع الإمام عن عبادة بن الصامت ومكحول».

وأما ما أخرجه عبدالرزاق - في الآثر ٢٧٧٠ - عن بشر بن رافع قال أخبرني درع بن عبدالله عن أبي أمية الأزدي قال قال لي عبادة بن الصامت اقرأ بأم القرآن في كل صلاة أو قال في كل ركعة قال قلت: أتقرأ بها يا أبا الوليد مع الإمام. قال: لا أدعها إماما ولا مأموماً.

فإن في إسناده بشر بن رافع - شيخ عبدالرزاق - وهو ضعيف الحديث انظر التقريب ١: ٩٩.

(١) أخرجه عن أبي هريرة - مسلم في الصلاة - باب وجوب قراءة فاتحة الكتاب - الحديث ٣٩٥، وابن أبي شيبة ١: ٣٧٥، والبخاري في القراءة خلف الإمام - الآثار ٧٢، ١٣١، ٥٧٢، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الحديث ٢١٩ - عن أبي هريرة في حديثه عن النبي - ﷺ - أنه قال: «**من صلى صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج... ثم سأل الراوي أبا هريرة عما إذا كان وراء الإمام فقال أبو هريرة: اقرأ بها في نفسك...**» الحديث وسيأتي قريباً وقد أخرج ابن المنذر في «الأوسط» الأثر ١٣١٣ - عن أبي هريرة قال: «أقرأ خلف الإمام فيما يخافت به» ومفهوم هذا إن صح عن أبي هريرة يقوي قول من قال: إن قوله اقرأ بها في نفسك محمول على ما إذا أسرّ الإمام. وهكذا ذكر ابن عبدالبر في «الاستذكار» ٢: ١٨٩ - أنه اختلف فيه عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة - في الصلاة - من رخص في القراءة خلف الإمام ١: ٣٧٥ عن وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن العيزار بن حريث العبدي عن ابن عباس قال: «اقرأ خلف الإمام بفاتحة الكتاب» وإسناده صحيح. وأخرجه ابن المنذر في «الأوسط» الأثر ١٣٢٤ من طريق إسماعيل بإسناده.

وهو محتمل لقراءة الفاتحة «خلف الإمام في السرية والجهرية، أو في السرية فقط كما =

عمـــــرو(١)، ومعـــــاذ بـــــن جبـــــل(٢)، وأبـــــي ابـــــن

= في رواية الطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١:٢٠٦ ـ من طريق إسماعيل بن أبي خالد بإسناده عن ابن عباس قال: «اقرأ خلف الإمام بفاتحة الكتاب في الظهر والعصر» ويؤيد هذا ما أخرجه الطحاوي أيضاً: ١:٢٢٠ ـ من طريق حماد بن سلمة عن أبي جمرة قال: قلت لابن عباس: «أقرأ والإمام بين يدي فقال: لا»

وأما ما أخرجه عبدالرزاق ـ الأثر ٢٧٧٣ عن التيمي، وابن أبي شيبة ١:٣٧٣، وابن المنذر في «الأوسط» الأثر ١٣٢٥. من طريق ليث عن عطاء عن ابن عباس قال: «لابد أن يقرأ فاتحة الكتاب خلف الإمام جهر أو لم يجهر».

ففي إسناده: ليث وهو ابن أبي سليم قال ابن عبدالبر في «التمهيد» ١١:٤٠ «ضعيف ليس بحجة». وقال ابن حجر «صدوق» اختلط أخيراً فلم يتميز حديثه فترك «التقريب» ٢:١٣٨.

وبقية رجاله ثقات فيهم التيمي هو معتمر بن سليمان، وعطاء هو ابن أبي رباح.

(١) أخرجه البيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثران ٢٣٦، ٣٠١ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبدالله بن عمرو بن العاص «أنه كان يقرأ خلف رسول الله ﷺ إذا أنصت، فإذا قرأ لم يقرأ، فإذا أنصت قرأ».

وأخرج عبدالرزاق في المصنف الأثران ٢٧٧٤، ٢٧٧٥ من طريق الثوري عن الأعمش، ومن طريق ابن عيينة عن حصين بن عبدالرحمن ـ كلاهما عن مجاهد قال «سمعت عبدالله بن عمرو قرأ خلف الإمام في الظهر والعصر».

وقد أخرجه عن مجاهد البخاري في جزء القراءة خلف الإمام الأثر ٦٠، والدارقطني، وابن المنذر في والأوسط ـ الأثر ١٣١٤، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١:٢١٩، والبيهقي في القراءة خلف الإمام ـ الآثار ٢١٥ـ٢١٨.

وهذان الأثران يدلان على أن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه يقرأ خلف الإمام في الصلاة السرية وفي الجهرية إذا سكت الإمام وانظر «الاستذكار» ٢:١٨٩.

(٢) أخرجه البيهقي القراءة خلف الإمام الأثر ٢٠٠ ـ من طريق شعبة عن أبي الفيض قال: سمعت أبا شيبة المهدي يقول: سأل رجل معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ عن القراءة خلف الإمام فقال: إذا قرأ فاقرأ بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد، وإذا لم تسمع فاقرأ في نفسك ولا تؤذ من عن يمينك ولا من عن شمالك.

أخرجه ابن أبي شيبة ١:٣٧٤ـ من طريق غندر عن شعبة عن أبي الفيض قال سمعت أبا شيبة المهدي يحدث عن معاذ أنه قال في الرجل يصلي خلف الإمام إذا كان يسمع قراءته قرأ قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الناس، وقل أعوذ برب الفلق. قال شعبة =

كعـــب(١)، وحـــذيفـــة بـــن اليمـــان(٢)، وعبـــدالله بـــن الـــزبيـــر(٣)، وأنس بن مالك(٤)، وهشام بن عامر(٥) ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

= أو نحوها وإذا كان لا يسمع القراءة فليقرأ ولا يؤذي من عن يمينه ومن عن شماله، وهذا لو صح عن معاذ فهو خلاف ما دل عليه الكتاب والسنة من وجوب الإنصات لقراءة الإمام مطلقاً إلا في حال قراءة المأموم للفاتحة إذا لم يكن للإمام سكتات عند بعض أهل العلم. ولم يقل أحد منهم بجواز قراءة غير الفاتحة إذا كان الإمام يقرأ.

(١) أخرجه البخاري في جزء القراءة. الأثر ٥٣، والدارقطني ١:٣١٧ـ٣١٨، وابن المنذر في «الأوسط» ١:١٣٢٦، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ١٩٩ ـ من طريق أبي سنان عبدالله بن أبي الهذيل قال: قلت لأبي بن كعب: «اقرأ خلف الإمام؟ قال نعم» وهذا يحتمل القراءة خلف الإمام مطلقاً أو في السرية أما ما أخرجه عبد الرزاق في المصنف الأثر ٢٧٧٢، والبيهقي من طريقه في القراءة خلف الإمام الأثر ١٩٨ ـ عن أبي بن كعب «أنه كان يقرأ خلف الإمام في الظهر والعصر» ففي إسناده شيخ عبدالرزاق يحيى بن العلاء رمي بالوضع. كما في «التقريب» ٢:٣٥٥.
وكذا ما أخرجه البخاري في «جزء القراءة» الأثر ٥٢ ـ من طريق زياد البكائي عن أبي فروة عن أبي المغيرة عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه كان يقرأ خلف الإمام فهذا ضعيف لأن زياداً البكائي في حديثه لين عن غير ابن إسحاق كما في «التقريب» ١:٢٦٨، وأبا فروة هو يزيد بن سنان الرهاوي ضعيف كما في «التقريب» ٢:٣٦٦.

(٢) أخرجه البخاري في جزء القراءة ـ الأثر ٥٦ ـ عن حذيفة أنه كان يقرأ خلف الإمام. وانظر فقرة: ٢٥. وهذا محتمل للقراءة مطلقاً في الصلاة السرية والجهرية سكت الإمام أو لم يسكت ومحتمل أنه في السرية فقط.

(٣) ذكره عنه البخاري في جزء القراءة، فقرة: ٣٢ حيث قال: قال مجاهد: «إذا لم يقرأ خلف الإمام أعاد الصلاة» ثم قال: وكذلك قال عبدالله بن الزبير وهذا إن ثبت عن عبدالله بن الزبير فهو محتمل للقراءة خلف الإمام مطلقاً في السرية والجهرية، ومحتمل أنه في السرية فقط كما ذكره البخاري عنه في الفقرة ٤٧ ـ أنه قال: «اقرأ في الظهر والعصر خلف الإمام».

(٤) أخرجه البيهقي في «القراءة خلف الإمام» ـ الأثر ٢٢٣ ـ عن أنس: «أنه كان يأمر بالقراءة خلف الإمام» وهذا أيضاً محتمل.

(٥) أخرجه البيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثران ٢٣١، ٢٣٢ ـ عن هشام بن عامر قال: «إنا لنقرأ خلف الإمام». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢:١١١: «رواه =

كما رُويَ عن جمع من التابعين منهم: مجاهد بن جبر[(١)]، وسعيـــد ابـــن جبيـــر[(٢)]، والحســـن البصـــري[(٣)]، ومكحـــول[(٤)]،

= الطبراني في الكبير ورجاله موثقون». وهذا أيضاً محتمل للقراءة في السرية فقط أو في الحالين.

(١) ذكره عن مجاهد ـ البخاري في جزء القراءة، فقرة ٣٢ و ٥٨ ـ بلفظ: «إذا لم يقرأ خلف الإمام أعاد الصلاة». وفي لفظ: «إذا نسي فاتحة الكتاب لا تعد تلك الركعة» وهذا أيضاً محتمل.

(٢) أخرجه عن سعيد بن جبير ـ عبدالرزاق ـ الأثران ٢٧٨٩، ٢٧٩٤ عن سعيد بن جبير أنه قال: «لابد أن تقرأ بأم القرآن مع الإمام، ولكن من مضى كانوا إذا كبر الإمام سكت ساعة، لا يقرأ قدر ما يقرؤون أم القرآن» وفي إسناده: عبدالله بن عثمان بن خيثم «صدوق» كما في التقريب ١:٤٣٢ وبقية رجاله ثقات. وقد أخرجه أيضاً البيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٢٣٧، وابن عبدالبر في «التمهيد» ١١:٤٠ وذكره البخاري في «جزء القراءة» فقرة ٣٤، ٢٧٣.

(٣) أخرجه عن الحسن ابن أبي شيبة ١:٣٧٤، والبيهقي في القراءة خلف الإمام الأثر ٢٤٢ ـ عن الحسن أنه كان يقول: اقرأ خلف الإمام في كل ركعة بفاتحة الكتاب بنفسك وإسناده عند ابن أبي شيبة صحيح.
وأخرج عبدالرزاق في المصنف ـ الأثران ٢٧٩٠، ٢٧٩٢، وابن عبدالبر في «التمهيد» ١١:٤١ ـ من طريق معمر عمن سمع الحسن يقول: «اقرأ بأم القرآن جهر الإمام أو لم يجهر فإذا جهر ففرغ من أم القرآن فاقرأ بها أنت».

(٤) أخرجه عبدالرزاق ـ الأثر ٢٧٦٩ ـ عن مكحول أنه كان يقرأ بفاتحة الكتاب فيما جهر الإمام وفيما لا يجهر، وأخرجه أبو داود في الصلاة ـ الحديث ٨٢٥، والبيهقي في القراءة خلف الإمام الأثر ٢٤٠ عن مكحول: «اقرأ يعني الفاتحة فيما جهر به الإمام إذا قرأ بفاتحة الكتاب وسكت سراً وإن لم يسكت اقرأ بها قبله ومعه وبعده لا تتركنها على حال».
وفي رواية في الأثر ٢٤٦ ـ عن موسى بن يسار قال سمعت مكحولاً يقرأ بأم الكتاب خلف الإمام وإنه ليقرأ» وأخرج ابن عبدالبر في «الاستذكار» ٢:١٩٠ ـ عن الأوزاعي قال: «أخذت القراءة مع الإمام عن عبادة بن الصامت ومكحول».

وأبو المليح[١]، وأبو سلمة بن عبدالرحمن[٢]، وميمون بن مهران[٣]، ومـــالـــك بـــن عـــون[٤]، والشعبـــي[٥]، وأبـــو مجلـــز[٦]، وسعيـــد بـــن أبـــي عـــروبـــة، والحكـــم بـــن عتيبـــة[٧]، وعـــروة ابـــن

---

(١) أبو المليح هو: أبو المليح بن أسامة الهذلي.
وقد أخرج هذا القول عنه ابن أبي شيبة ١:٣٧٥ ـ من طريق إسماعيل بن عُليّة عن يحيى بن أبي إسحاق قال صليت المغرب والحكم بن أيوب إمامنا، وأبو مليح إلى جنب ابن أسامة فسمعته يقرأ بفاتحة الكتاب. وفي إسناده: يحيى بن أبي إسحاق: «صدوق ربما أخطأ» كما في «التقريب» ٢:٣٤٢.

(٢) أخرجه عن أبي سلمة بن عبدالرحمن: البخاري في جزء القراءة ـ الأثر ٢٧٤، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٢٣٩ قال: «للإمام سكتتان فاغتنموا القراءة فيهما بفاتحة الكتاب» وهذا ظاهر أن المأموم يقرأ الفاتحة في الصلاة الجهرية لكن في سكتات الإمام.

(٣) ذكره عن ميمون البخاري في جزء القراءة، فقرة ٣٠ ـ أنه يرى القراءة خلف الإمام وإن جهر.

(٤) ذكره عن مالك بن عون ـ البخاري في جزء القراءة، فقرة ٤٦، وابن المنذر في «الأوسط» ٣:١٠٨، ١١٠.

(٥) أخرجه البيهقي في «القراءة خلف الإمام» ـ الأثر ٢٤٤ ـ عن الشعبي قال: «اقرأ في خمسهن وراء الإمام».
وقد أخرج ابن أبي شيبة ١:٣٧٤، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٢٤٣ ـ عن الشعبي أنه كان يقول: «اقرأ خلف الإمام في الظهر والعصر بفاتحة الكتاب وسورة، وفي الأخريين بفاتحة الكتاب».
وفي رواية لهما «أنه كان يُحسّن القراءة خلف الإمام» وفي رواية لابن أبي شيبة فقط أنه يقول: «أنت بالخيار».

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة ١:٣٧٥ ـ عن أبي مجلز، قال: «إن قرأت فحسن، وإن لم تقرأ أجزأتك قراءة الإمام».
إن صح هذا عن أبي مجلز فهو يحتمل أنه أراد القراءة في الصلاة السرية أو فيها وفي الجهرية في حال سكوت الإمام. ويبعد أن يحمل ذلك منه على القراءة في الجهرية في حال قراءة الإمام وعدم سكوته لأنه يرى فيما يظهر من كلامه أن القراءة سنة.

(٧) ذكره البخاري في جزء القراءة عن سعيد في الفقرة ٤٦، وعن الحكم في الفقرة ٢٧٣.

الزبير[١]، وعطاء[٢]. وقال بهذا القول الإمام الشافعي في الجديد، وأكثر أصحابه[٣]. والأوزاعي[٤]، والليث بن سعد[٥]، وأبو ثور[٦]، وهو رواية عن مالك[٧] وأحمد[٨].

---

(١) أخرجه ـ عبدالرزاق ـ الأثر ٢٧٩١ ـ عن طريق شريك بن أبي نمر عن عروة بن الزبير قال: «إذا قال الإمام (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قرأت بأم القرآن، أو بعدما يفرغ من السورة التي بعدها».
وقد أخرج البخاري في جزء القراءة ـ الأثر ٢٧٦، وابن أبي شيبة ١: ٣٧٤، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام ـ الأثران ٢٣٨، ٣٠٣ ـ كلهم من طريق هشام بن عروة عن أبيه قال: «اسكتوا فيما يجهر واقرؤوا فيما لا يجهر».
وأخرج البيهقي ـ أيضاً ـ الأثر ٣٣١ ـ من طريق هشام عن أبيه، أنه كان يقرأ خلف الإمام فيما لم يجهر فيه الإمام بالقراءة.

(٢) أخرجه عبدالرزاق ـ الأثر ٢٧٨٨، والبخاري في جزء القراءة ـ الأثر ١٠٧، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٣٠٤ ـ عن عطاء قال: «إذا كان الإمام يجهر فليبادر بقراءة أم القرآن، أو ليقرأ بعدما يسكت، فإذا قرأ فلينصت، كما قال الله عز وجل»، وفي رواية لعبد الرزاق: «إذا لم تفهم قراءة الإمام فاقرأ إن شئت أو سبح» وفي رواية له «أما أنا فأقرأ مع الإمام في الظهر والعصر بأم القرآن وسورة قصيرة» الأثران ٢٧٧٩، ٢٧٨٦. وقد أخرج عبدالرزاق ـ أيضاً ـ عنه قال: «تجزىء قراءة الإمام عمن وراءه .. وأحب أن تقرؤوا معه»، وفي رواية أنه سئل أيجزىء عمن وراء الإمام قراءته فيما يرفع به الصوت، وفيما يخافت؟ قال: نعم» الأثران ٢٨١٦، ٢٨١٨.

(٣) انظر: «أحكام القرآن» للشافعي ص٧٧، «المهذب» ١: ٧٩، المجموع ٣: ٢٩٤.

(٤) أخرجه عن الأوزاعي ـ البيهقي في القراءة خلف الإمام الأثر ٢٤٧، وابن عبدالبر في «الاستذكار» ٢: ١٩٠، وفي «التمهيد» ١١: ٣٩، ٤١، وذكره عنه ابن المنذر في «الأوسط» ٣: ١٠٨، ١١٠، وابن تيمية في «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٩٨، ٣١٠، ٣٣٠.

(٥) ذكره عن الليث ابن عبدالبر في «الاستذكار» ٢: ١٨٩، وفي «التمهيد» ١١: ٣٩، ٤١، وابن تيمية في «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٣٠١.

(٦) ذكره عن أبي ثور ابن المنذر في «الأوسط» ٣: ١٠٨، وابن عبدالبر في كتابيه السابقين.

(٧) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١١٩.

(٨) انظر: «مسائل الإمام أحمد رواية النيسابوري ص٥١، «مسائل الإمام أحمد» لأبي داود ص٣١ـ٣٢.

واختـار هـذا القـول بعـض المحققيـن مـن أهـل العلـم، منهـم البخـاري[١]، وأبـو بكـر بـن المنـذر[٢]، وأبـو بكـر بـن خـزيمـة[٣]، والخطابي[٤]، والبيهقي[٥]، وابن حزم[٦]، والحازمي[٧].

وأبو البركات جد شيخ الإسلام ابن تيمية[٨]، والقرطبي[٩]، وأبو الطيب محمد شمس الحق آبادي[١٠]، والشوكاني[١١]، وأحمد محمد شاكر[١٢].

واتفقوا على وجوب قراءة الفاتحة على المأموم في الصلاة السرية.

واختلفوا في حكم قراءتها في حال جهر الإمام بالقراءة، فقال بعضهم بوجوب ذلك منهم الشافعي والبخاري وابن حزم والشوكاني

---

(١) في كتابه «خير الكلام في القراءة خلف الإمام». انظر ص١٣، فقرة ١٨ وما بعدها، وفي صحيحه انظر: «صحيحه مع فتح الباري ٢: ٢٣٦».

(٢) أبو بكر بن المنذر هو: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري المتوفى سنة ٣١٨هـ. قال في كتابه «الأوسط» ٣: ١١٠-١١١: «يقرأ في السرية، وإذا لم يسمع، فإن سمع لا يقرأ إلا في سكتات الإمام وعند وقفاته، وإذا ركع إذا لم يمكن».

(٣) هو أبو بكر محمد بن إسحاق النيسابوري، صاحب الصحيح المعروف بـ«صحيح ابن خزيمة»، وانظر: «صحيحه» ٣: ٣٦.

(٤) في «معالم السنن» ١: ١٧٧.

(٥) في كتابه «القراءة خلف الإمام» ص١١٣ وما بعدها وص ٢٨٧.

(٦) في «المحلى» ٣: ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤٣.

(٧) انظر: «الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار» ص٩٩-١٠٠.

(٨) انظر «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٢٣: ٢٦٧، ٢٩٨، ٣٣٠، ٣٤٢.

(٩) في «تفسيره» ١: ١١٩، ١٢٤.

(١٠) هو صاحب كتاب: التعليق المغني على الدارقطني. انظر: ١: ٣١٨ من هذا الكتاب، حاشية سنن الدارقطني.

(١١) في «نيل الأوطار» ٢: ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٢.

(١٢) انظر: «تعليقه على سنن الترمذي» ٢: ١٢٦.

وغيرهم، وقال بعضهم باستحبابه فقط منهم الأوزاعي والليث بن سعد وأبو البركات. والأولى عندهم جميعاً أن تكون في سكتات الإمام.

الأدلة التي استدل بها أصحاب هذا القول:

أـ من الكتاب: قول الله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ﴾[١].

ب ـ ومن السنة أحاديث كثيرة جداً منها ما يأتي:

١ـ ما رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ في قصة المسيء صلاته، وأن النبي ـ ﷺ ـ قال له: «**اقرأ ما تيسر معك من القرآن**»[٢].

قالوا: ووجه الدلالة من الآية، والحديث: أن الأمر للوجوب في الآية والحديث بقراءة ما تيسر، والفاتحة هي أيسر ما تيسر من القرآن. والآية والحديث كل منهما مبيَّن مفسَّر بالأحاديث التالية، التي فيها وجوب قراءة الفاتحة.

٢ـ ما رواه عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**» متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «**لا صلاة لمن يقرأ بأم القرآن**»[٣].

وفي رواية للدارقطني[٤] والبيهقي[٥]: «**لاتجزيء صلاة لا يقرأ**

---

(١) سورة المزمل، آية: ٢٠.

(٢) سبق تخريجه في المسألة السابقة.

(٣) سبق تخريجه في أسماء الفاتحة في المبحث الثاني من الفصل الأول من هذا الباب.

(٤) في «السنن» ١: ٣٢٢ قال الدارقطني: «هذا إسناد صحيح».

(٥) في «القراءة خلف الإمام» الحديث ٢٠.

الرجل فيها بفاتحة الكتاب»[١].

قالوا: فقوله: «لا صلاة» صلاة نكرة في سياق النفي، فهو يعم[٢]. وهو نفي للصلاة الشرعية المجزئة بدليل رواية الدارقطني والبيهقي: «**لا تجزيء صلاة لا يقرأ الرجل فيها بفاتحة الكتاب**» قالوا: وهذا العموم لم يخص منه المأموم[٣].

٣ـ ما رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «**من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ـ ثلاثا، غير تمام، فقيل لأبي هريرة: إنا نكون وراء الإمام. فقال: اقرأ بها في نفسك فإني سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: قال الله تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين**» الحديث رواه مسلم[٤].

٤ـ وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «**كل صلاة لا يقرأ فيها بأم الكتاب، فهي خداج**» رواه ابن ماجه وغيره[٥].

٥ـ وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ـ ﷺ ـ

---

(١) صحح هذه الرواية يحي بن سعيد القطان. انظر «نصب الراية» ٣: ٣٦٥ـ٣٦٦، وانظر: «تنقيح التحقيق» ٢: ٨٣٧، «التعليق المغني» ١: ٣٢٣.

(٢) انظر: «تنقيح التحقيق» ٢: ٨٣٨.

(٣) انظر: «الأوسط» ٣: ١٠٧، «الاستذكار» ٢: ١٨٩.

(٤) في الصلاة ـ باب وجوب قراءة الفاتحة ـ الحديث ٣٩٥.

(٥) سبق تخريجه في أسماء الفاتحة، في المبحث الثاني، من الفصل الأول، من هذا الباب. وقال الألباني «حسن صحيح».

قال: «**كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب، فهي خداج فهي خداج**» رواه ابن ماجه وغيره[١].

قالوا: ووجه الدلالة من حديث أبي هريرة، وما في معناه من الأحاديث أن الخداج هو الفساد والنقصان الذي لاتجزىء معه الصلاة من قولهم: أخدجت الناقة إذا ولدت نتاجا فاسدا قبل وقتها، وقبل تمام الخلق[٢].

وقالوا: ومما يدل على أن المراد بالخداج النقصان، الذي لا تصح الصلاة معه ولا تجزىء، وأن ذلك يشمل المنفرد والإمام والمأموم قول أبي هريرة: «اقرأ بها في نفسك»[٣].

٦ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «**في كل صلاة يقرأ، فما أسمعنا رسول الله ـ ﷺ ـ أسمعناكم، وما أخفى عنا أخفينا عنكم، وإن لم تزد على أم القرآن أجزأت، وإن زدت فهو خير**» متفق عليه[٤].
قالوا: فقوله «وإن لم تزد على أم القرآن أجزأت» يدل على أنه لاتجزىء الصلاة بدون أم القرآن، وأن قراءتها في الصلاة أقل المجزىء. وأن الزيادة عليها خير: أي مستحبة وليست واجبة.

---

(١) سبق تخريجه في أسماء الفاتحة، في المبحث الثاني، من الفصل الأول، من هذا الباب. وقال الألباني «حسن صحيح».
(٢) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد ١:٦٥، «معالم السنن» ١:٢٠٣، «الاستذكار» ٢:١٦٧، «النهاية» مادة «خدج».
(٣) انظر: «صحيح ابن خزيمة» ١:٢٤٧ـ٢٤٨، «القراءة خلف الإمام» للبيهقي ص٣٥.
(٤) سبق تخريجه في أسماء الفاتحة، في المبحث الثاني، من الفصل الأول، من هذا الباب.

٧ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «**أمرني رسول الله ـ ﷺ ـ أن أنادي أنه لا صلاة إلا بقراءة فاتحة الكتاب، فما زاد**» رواه أبو داود[١].

٨ـ وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: «**أمرنا أن نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر**» رواه أبو داود[٢].

٩ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «**لا تجزىء صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن**» رواه ابن خزيمة وابن حبان[٣].

قالوا: فهذه الأحاديث الثلاثة كحديث أبي هريرة الذي قبلها تدل على وجوب قراءة الفاتحة، وأنه لاتصح الصلاة، بل ولا تجزىء بدونها، سواء كان المصلي إماما أو منفردا أو مأموما.

كما استدلوا بالأحاديث التي فيها النهي عن القراءة خلف الإمام ـ إذا جهر ـ فيما عدا الفاتحة.

١٠ـ فعن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال: «**كنا خلف رسول الله ـ ﷺ ـ في صلاة الفجر، فقرأ رسول الله ـ ﷺ ـ فثقلت عليه القراءة، فلما فرغ قال: لعلكم تقرؤون خلف إمامكم؟ قلنا: نعم يارسول الله. قال: لاتفعلوا إلا بفاتحة الكتاب فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ**

---

(١) سبق تخريجه في أسماء الفاتحة.
(٢) سبق تخريجه في أسماء الفاتحة.
(٣) سبق تخريجه في أسماء الفاتحة. وقال مقبل الوادعي في «تعليقه على الحديث في تفسير ابن كثير ١ :٢٧» وهو على شرط مسلم».

بها»[١].

---

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة ـ باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب، الحديثان ٨٢٣ـ٨٢٤.
والنسائي في الافتتاح ـ باب قراءة أم القرآن خلف الإمام فيما جهر به الإمام ٢: ١٤١،
والترمذي ـ في الصلاة ـ باب ماجاء في القراءة خلف الإمام ـ الحديث ٣١١، وقال: «حديث حسن»، وأحمد ٥: ٣١٣، ٣١٦، ٣٢٢.
وابن أبي شيبة ١: ٣٧٣، والبخاري في جزء القراءة خلف الإمام ـ الأحاديث ٦٤ـ٦٧، ٢٥٧ـ٢٥٨،
وابن خزيمة في «صحيحه» في الإمامة ـ باب القراءة خلف الإمام وإن جهر الإمام ١: ٣٦ـ٣٧،
وابن المنذر في «الأوسط» الحديث ١٣٢١،
والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١: ٢١٥،
والدارقطني في الصلاة ـ باب وجوب قراءة أم الكتاب في الصلاة وخلف الإمام ١: ٣١٨ـ٣٢٠ وقال: «حديث حسن، ورجاله كلهم ثقات». وابن حبان في صحيحه الحديثان ١٧٧٦ـ١٧٨٣،
والطبراني في «المعجم الصغير» ٢٣٠ـ٢٣١،
والحاكم في كتاب الصلاة ١: ٢٣٨،
والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأحاديث ١٠٨ـ١١٣، بطرقه وصحح بعضها.
وابن عبد البر في «التمهيد» ١١: ٤٤،
وابن حجر في «نتائج الأفكار» ١: ٤٣٢ـ٤٣٤ وقال: «هذا حديث حسن».
وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢: ١١٠، وقال: «رواه الطبراني في الكبير، ورجاله موثوقون».
وهذا الحديث صححه جمع من أهل العلم، وضعفه آخرون.
فقد حسنه الترمذي، وابن خزيمة، والدارقطني، والبيهقي، والهيثمي، وابن حجر، وقال ابن حجر في «تلخيص الحبير» ١: ٢٣١: «حديث عبادة الذي رواه أحمد والبخاري في جزء القراءة وصححه أبو داود والترمذي والدارقطني، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي من طريق ابن إسحاق حدثني مكحول عن محمود بن ربيع عن عبادة، وتابعه زيد بن واقد وغيره عن محكول».
وقال ابن المنير في «خلاصة البدر المنير» ١: ١١٩: «وقال الخطابي في «معالم السنن» ١: ١٧٧ «إسناده جيد، لا مطعن فيه».

=

١١ـ وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ صلى بأصحابه، فلما قضى صلاته أقبل عليهم بوجهه، فقال: **«أتقرؤون في صلاتكم والإمام يقرأ؟ فسكتوا، فقالها ثلاث مرات، فقال قائل أو قائلون: إنا لنفعل. قال: فلا تفعلوا، ويقرأ أحدكم بفاتحة الكتاب في نفسه»**(١).

= وقال الحاكم: «إسناده مستقيم».
وانظر: «تنقيح التحقيق» ٢: ٨٥١ـ٨٥٥.
وممن احتج بهذا الحديث سماحة شيخنا الشيخ/ عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز حفظه الله.
وقد ضعفه بعض أهل العلم منهم ابن عبدالبر، وابن تيمية وغيرهما.
قال الإمام أحمد: «لم يروه غير ابن اسحاق» وتعقبه ابن قدامة في «المغني» ٢: ٢٦٣ـ٢٦٤ بأنه «رواه أبو داود عن مكحول عن نافع بن محمود بن الربيع الأنصاري هو أدنى حالاً من ابن إسحاق فإنه غير معروف من أهل الحديث».
قال ابن عبدالبر في «التمهيد» ١١: ٤٦ ـ بعدما أشار إلى اضطراب إسناه: «ومثل هذا الاضطراب لايثبت فيه عند أهل العلم بالحديث شيء، وليس في هذا الحديث ما لا مطعن فيه من جهة الإسناد غير حديث الزهري عن محمود بن الربيع عن عبادة». يعني حديث «لاصلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» المتفق على صحته.
لكن ابن عبدالبر قال في «الاستذكار» ٢: ١٩٠ عن حديث عبادة الذي فيه «لاتفعلوا إلا بأم القرآن»: «متصل مسند من رواية الثقات».
وقال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٨٦ـ٢٨٧: «هذا الحديث معلل عند أئمة الحديث بأمور كثيرة، ضعفه أحمد وغيره من الأئمة... والصحيح قول النبي ـ ﷺ ـ: « لاصلاة إلا بأم القرآن» فهذا هو الذي أخرجاه في الصحيحين، ورواه الزهري عن محمود بن الربيع عن عبادة.
وأما هذا الحديث فغلط فيه بعض الشاميين وأصله أن عبادة كان يؤم ببيت المقدس، فقال هذا فاشتبه عليهم المرفوع بالموقوف على عبادة».
وقال ـ أيضاً ـ ٢٢: ٣٤٠ «الحديث لم يخرج في الصحيح، وضَعْفُه ثابت من وجوه وإنما هو قول عبادة بن الصامت».
كما ضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» الحديث ١٧٦، «ضعيف سنن الترمذي» الحديث ٤٩، «وضعيف سنن النسائي» الحديث ٣٩.

(١) أخرجه البخاري في جزء القراءة ـ الحديث ٢٥٥، وابن حبان في صحيحه الحديث =

١٢ـ وعن محمد بن أبي عائشة عن رجل من أصحاب النبي ـ ﷺ ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**لعلكم تقرؤون والإمام يقرأ. قالوا: إنا لنفعل قال: لا، إلا بأن يقرأ أحدكم بفاتحة الكتاب**»[١].

١٣ـ وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ـ ﷺ: «**أتقرؤون خلفي؟ قالوا نعم يارسول الله، إنا لنهذّه هذاً قال: لا تفعلوا إلا بأم القرآن**»[٢].

قالوا: فحديث عبادة «لا تفعلوا إلا بفاتحة الكتاب...» وما في معناه من الأحاديث التي تشهد له، كلها نص في وجوب قراءة الفاتحة على المأموم في نفسه واستثنائها من النهي عن القراءة خلف الإمام إذا جهر الإمام بالقراءة، ووجوب قراءتها إذا أسر الإمام في القراءة من باب أولى.

كما استدلوا بالأحاديث والآثار التي تدل على وجوب قراءة

= ١٨٣٥، وأبو يعلى في «مسنده» ١:١٤١، والبيهقي في «سننه» ٢:١٦٦، وفي «القراءة خلف الإمام» الأحاديث ١٣٩ـ١٥١، ٣٨٦، ٣٨٧. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢:١١٠: «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات».

(١) أخرجه عبدالرزاق ـ في الصلاة ـ باب القراءة خلف الإمام، الحديث ٢٧٦٦، وابن أبي شيبة ١:٣٧٤، وأحمد ٤:٢٣٦، وقال الهيثمي ٢:١١١: «ورجاله رجال الصحيح»، والبخاري في جزء القراءة خلف الإمام ـ الحديث ٦٧، والدارقطني ١:٣٤٠، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الحديث ١٥٤ـ١٦٠.
قال ابن عبدالبر في «الاستذكار» ٢:٩٠ «منقطع، مرسل» وقال ابن حجر في «تلخيص الحبير» ١:٢٣١: «إسناده حسن».

(٢) أخرجه البخاري في جزء القراءة ـ الحديث ٦٣، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الحديث ١٦٧.

الفاتحة خلف الإمام في الصلاة السرية.

١٤ـ وعن جابر بن عبد الله قال: «**كنا نقرأ في الظهر والعصر خلف الإمام في الركعتين الأوليين بفاتحة الكتاب وسورة، وفي الأخريين بفاتحة الكتاب**» رواه ابن ماجه[١].

قالوا: فهذا الحديث وما في معناه من الأحاديث والآثار[٢]، تدل على ملازمة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ على قراءة الفاتحة في الصلاة السرية خلف الإمام. وقول الصحابي كنا نفعل كذا في عهد الرسول ـ ﷺ ـ من قبيل المرفوع.

١٥ـ وعن عبدالله بن أبي أوفى قال: جاء رجل إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال: «**إني لا أستطيع أن آخذ من القرآن شيئاً فعلمني ما يجزئني منه، قال: قل سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم...**»[٣]

قالوا: ووجه الدلالة من هذا الحديث: أن الرسول ـ ﷺ ـ علم من لايحسن القرآن ما يقوم مقامه، ولم يأمره بالائتمام حتى تسقط عنه

---

(١) سبق تخريجه في أسماء الفاتحة في المبحث الثاني من الفصل الأول من هذا الباب. وصححه الألباني.

(٢) تجد بعضا منها في المسألة الأخيرة من المبحث الثاني في هذا الفصل حكم قراءة ما زاد على الفاتحة في الصلاة.

(٣) أخرجه أبو داود ـ في الصلاة ـ ما يجزىء الأمي والأعجمي من القراءة ـ الحديث ٨٣٢، والنسائي في افتتاح الصلاة ـ باب ما يجزىء من القراءة عمن لا يحسن القرآن ـ الحديث ٨٨٥، وعبدالرزاق ـ الحديث ٢٧٤٧، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الحديث ١٨٤ ـ وحسنه الألباني.

القراءة[١].

إلى غير ذلك من الأحاديث[٢].

١٦ـ كما استدلوا بالآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم، في القراءة خلف الإمام مطلقاً في السرية والجهرية[٣].

١٧ـ وقالوا: إن الإمام لا يتحمل عن المأموم شيئاً من الركوع والسجود، بل لا يتحمل عنه شيئاً من السنن والمستحبات، فكيف يتحمل قراءة الفاتحة التي هي من الواجبات[٤].

١٨ـ وقالوا أيضاً: إن قراءة الفاتحة خلف الإمام لا تبطل الصلاة بالإجماع، حتى ولا في الصلاة الجهرية، وإنما يفوته الاستماع فقط، وإنما تبطل الصلاة بترك قراءتها عند كثير من أهل العلم وخاصة في الصلاة السرية[٥].

قالوا: فهذه الأدلة تدل على وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة مطلقاً سواء كانت الصلاة سرية أو جهرية وسواء كان المصلي إماما أو مأموماً أو منفرداً فهي مخصّصة لعموم قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ

---

(١) انظر: «القراءة خلف الإمام» للبيهقي ص٨٨.

(٢) انظر: «القراءة خلف الإمام» للبيهقي ص٨٥.

(٣) تقدم ذكر المروي عن الصحابة والتابعين في ذكر القائلين بهذا القول.

(٤) انظر: «خير الكلام في القراءة خلف الإمام» ص٢٧، القراءة خلف الإمام للبيهقي ص٢١٩ـ٢٢٣.

(٥) انظر: «الاستذكار» ٢: ١٩٣، «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٣١٠.

﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾[١]. والسنة تخصّص القرآن بلا خلاف[٢].

ومخصّصة لعموم قوله ـ ﷺ ـ في حديث أبي موسى وحديث أبي هريرة: «**وإذا قرأ فانصتوا**»[٣].

بل ومخصّصة لعموم حديث جابر «**من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة**»[٤] على فرض صحته: أي فقراءته له قراءة فيما عدا الفاتحة التي خصها الدليل بوجوب قراءتها على كل مصل إماماً كان أو مأموماً أو منفردا. ويدل على التخصيص حديث عبادة: «**فلا تفعلوا إلا بأم القرآن فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها**»[٥].

والأولى أن يقرأ المأموم الفاتحة في سكتات الإمام إذا كان له سكتات، فإن لم يكن له سكتات قرأ معه[٦].

والأولى إذا لم يكن للإمام سكتات أن يقرأ معه حال قراءة الإمام للسورة. أما حال قراءة الإمام الفاتحة فإن الأولى بالمأموم أن يستمع، لأن قراءة الفاتحة واجبة بخلاف قراءة ما بعدها، والاستماع لقراءة

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.
(٢) وقد حمل البيهقي في «القراءة خلف الإمام» ص١١٣ وما بعدها الآية على النهي عن كلام الناس في الصلاة، لا عن الذكر والقرآن والتسبيح مستدلا بالأحاديث الصحيحة في النهي عن الكلام كحديث زيد بن أرقم وابن مسعود في الصحيحين وغيرهما.
(٣) سيأتي ذكرهما وتخريجهما ضمن أدلة القول الثاني.
(٤) سيأتي ذكره وتخريجه وذكر كلام أهل العلم عليه ضمن أدلة القول الثاني.
(٥) سبق ذكره بتمامه وتخريجه ضمن أدلة هذا القول.
(٦) انظر: «الأوسط» ٣: ١٠٧، «المحلى» ٣: ٢٣٦ـ٢٤٣، «الاستذكار» ٢: ١٩١.

الواجب أولى من الاستماع لغير الواجب[١].

وإذا نسي المأموم قراءة الفاتحة، أو سها عن ذلك، أو جهل وجوبها، سقط عنه وكفته قراءة الإمام على الصحيح. وكذا إذا أدرك الإمام راكعا لفوات محلها، لحديث أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ: «**أنه انتهى إلى النبي ـ ﷺ ـ وهو راكع فركع قبل أن يصل إلى الصف، فذكر ذلك للنبي ـ ﷺ ـ فقال: زادك الله حرصا، ولا تعد**»[٢].

وقد أجمع العلماء على هذا.

قال القرطبي[٣]: «وأما المأموم فإن أدرك الإمام راكعاً فالإمام يحمل عنه القراءة، ولإجماعهم على أنه إذا أدركه راكعاً أنه يكبر ويركع، ولا يقرأ شيئاً».

القول الثاني:

أن المأموم يقرأ خلف الإمام في الصلاة السرية، ولا يقرأ في الصلاة الجهرية، بل ينصت لقراءة الإمام.

وهذا هو الثابت ـ والله أعلم ـ عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله

---

(١) انظر «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٣١٣.

(٢) أخرجه البخاري في الأذان ـ باب إذا ركع دون الصف، الحديث ٧٨٣، وأبو داود في الصلاة ـ باب الرجل يركع دون الصف، الحديثان ٦٨٣، ٦٨٤، والنسائي في الإمامة، باب الركوع دون الصف، الحديث ٨٣٩، وأحمد ٥: ٣٩، ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٥٠.

(٣) في «تفسيره» ١: ١١٨، وانظر: «خير الكلام في القراءة خلف الإمام» فقرة ٢١، «المغني» ٢: ٢٦٢ـ٢٦٣، «إمام الكلام في القراءة خلف الإمام» ص٩٦ـ١١٥.

عنه[١] ـ.

(١) أخرجه عن علي ـ البخاري في جزء القراءة ـ الأثران ١، ٥٤، وابن أبي شيبة ١: ٣٧١، ٣٧٣، وابن المنذر في «الأوسط» الأثر ١٣١٢، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١: ٢٠٦، ٢٠٩، والدارقطني ١: ٣٢٢، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثران ١٩٨، ٤٢٥ من طريق الزهري عن عبيد الله بن أبي رافع عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: «إذا لم يجهر الإمام في الصلوات فاقرأ بأم الكتاب وسورة أخرى في الأوليين من الظهر والعصر، وبفاتحة الكتاب في الأخريين من الظهر والعصر، وفي الآخرة من المغرب وفي الأخريين من العشاء».
وقال الدارقطني: «إسناده صحيح» وقال ابن عبدالبر في «التمهيد» ١١: ٣٥: «أصح شيء عن علي ما رواه الزهري».
وهذا والله أعلم يفسر ما رواه ابن أبي شيبة ١: ٣٧٣ من طريق الحكم وحماد: «أن علياً كان يأمر بالقراءة خلف الإمام» ـ إن صح هذا ـ على أن المراد به الأمر بالقراءة خلف الإمام فيما أسر فيه بالقراءة.
كما يفسر ما رواه عبدالرزاق الأثر ٢٨٠٥ ـ عن علي «أنه كان ينهى عن القراءة خلف الإمام ـ إن صح هذا أيضاً ـ على أن المراد به القراءة حال جهر الإمام بالقراءة».
وأما ما أخرجه عبدالرزاق الآثار ٢٨٠١، ٢٨٠٤ـ٢٨٠٦، وابن أبي شيبة ١: ٣٧٦، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١: ٢١٩، والدارقطني ١: ٣٣١ـ٣٣٢ عن علي أنه قال: «من قرأ مع الإمام، أو خلف الإمام فقد أخطأ الفطرة».
فقد ضعفه أكثر أهل العلم فقال البخاري في جزء القراءة، فقرة: (٣٨) «لايصح»، وقال الدارقطني في سننه: ١: ٣٣٢: «لا يصح إسناده»، وقال ابن حبان في كتاب الضعفاء: «باطل ويكفي في ضعفه إجماع المسلمين على خلافه».
وقال ابن عبدالبر في «الاستذكار»
٢: ١٩٢: «هذا لو صح يحتمل أن يكون في صلاة الجهر، لأنه حينئذ يكون مخالفاً للكتاب والسنة، فكيف وهو غير ثابت عن علي».
وقال في «التمهيد» ١١: ٤٩ـ٥٠: «هذا الخبر لو صح كان معناه من قرأ مع الإمام فيما جهر فيه بالقراءة فقد أخطأ الفطرة، لأنه حينئذ خالف الكتاب والسنة فكيف وهو خبر غير صحيح، وقد عارض هذا الخبر عن علي ما هو أثبت منه، وهو خبر الزهري عن عبدالله بن أبي رافع عن علي».
وقال أيضاً ١١: ٥١ ـ بعدما ذكر ضعف ما روي عن سعد بن أبي وقاص في هذا قال: «وكذلك كل ما روي عن علي في هذا الباب فمنقطع لايثبت، ولا يتصل، وليس عنه =

وهومروي أيضاً عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه[١] ـ وعن ابنه عبـــدالله بـــن عمـــر بـــن الخطـــاب[٢]، وعبـــدالله بـــن

= فيه حديث متصل غير حديث عبدالله بن أبي ليلى، وهو مجهول، وزعم بعضهم أنه أخو عبدالرحمن بن أبي ليلى ولايصح حديثه، ولا أعلم في هذا الباب صاحباً صح عنه بلا اختلاف أنه قال مثل ما قال الكوفيون إلا جابر بن عبدالله وحده.

وذكر البيهقي في «القراءة خلف الإمام» ص١٨٩ أنه موقوف على علي بإسناد رواه ضعيف يكفي ذكره واختلاف الرواة فيه عن بيان ضعفه.

ثم ذكر رواياته واختلافها، وعدم صحتها ـ الآثار ٤١٤ ـ ٤٢٣.

(١) سبق تخريجه عن عمر ص٣٥٦، ٣٥٧ وأسانيده ـ والله أعلم ـ لاتثبت كما سبق بيان ذلك.

(٢) أخرجه عن ابن عمر ـ عبدالرزاق ـ الأثر ٢٨١١، وابن المنذر في «الأوسط» الأثر ١٣١٥، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٣٣٠ ـ من طريق ابن شهاب عن سالم أن ابن عمر كان يقول: «ينصت للإمام فيما يجهر به في الصلاة، ولا يقرأ معه».

ذكر ابن عبدالبر في «التمهيد» ١١: ٣٦: «أن هذا أصح ما رُوِيَ عن ابن عمر». وأخرج مالك في «الموطأ» الأثر ١٨٩، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١: ٢٢٠، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٣٩٨ ـ من طريق نافع عن ابن عمر قال: «إذا صلى أحدكم خلف الإمام فحسبه قراءة الإمام، وإذا صلى وحده فليقرأ. وكان عبدالله بن عمر لا يقرأ خلف الإمام».

قال ابن عبدالبر في «الاستذكار» ٢: ١٨٤: «وهذا الحديث عن ابن عمر يدل ظاهره على أنه كان لايقرأ خلف الإمام، ولا يرى القراءة خلفه جملة، في السر، ولا في الجهر، ولكن مالكا ـ رحمه الله ـ، أدى ما سمع من نافع كما سمعه، وبلغه عن ابن عمر: أن مذهبه كان أنه لايقرأ خلف الإمام فيما يجهر فيه، دون ما أسر، فأدخل حديثه في هذا الباب، كأنه قيده بترجمة الباب، وبما علم من المعنى فيه ثم استدل ابن عبدالبر على هذا بما أخرجه عبدالرزاق من طريق ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر ـ ثم قال: «وكل من روى عن نافع عن ابن عمر من رواية مالك وغيره من الألفاظ المجملة في هذا الحديث فإنه يفسره ويقضي عليه حديث ابن شهاب عن سالم هذا والله أعلم». وذكر نحوا من هذا في «التمهيد» ١١: ٣٦ـ٣٧، وقال البيهقي في «القراءة خلف الإمام» ص١٨٣ «ورواية سالم عن ابن عمر تدل على صحة ما حمل مالك ابن أنس ـ رحمه الله ـ عليه رواية نافع».

=

مغفـل[١]، وعبـدالله بـن مسعـود[٢]. . . . .

= قلت: كما قد يفسر حديث ابن شهاب عن سالم ما أخرجه عبدالرزاق الأثران ٢٨١٤ـ٢٨١٥ من طريق زيد بن أسلم، وابن ذكوان عن ابن عمر أنه كان ينهى عن القراءة خلف الإمام، أو لايقرأ خلف الإمام ـ إن صح هذا ـ على أن المراد به النهي عن القراءة أو تركها إذا جهر الإمام بالقراءة. لكن أخرج الطحاوي ١: ٢١٩ ـ عن ابن عمر وزيد بن ثابت وجابر أنهم قالوا: لا تقرؤوا في شيء من الصلوات. وهذا ـ إن صح عن ابن عمر ـ لايمكن حمله على ما سبق، فالله أعلم.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ١: ٣٧١، والبخاري في جزء القراءة خلف الإمام الأثر ٦١، وابن المنذر في «الأوسط» الأثر ١٣١٦، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٢٣٥ ـ عن عبدالله بن مغفل أنه كان يأمر بالصلاة التي لا يجهر فيها الإمام ـ أن يقرأ في الصلاة في الركعتين الأوليين بفاتحة الكتاب وسورة، وفي الأخريين بفاتحة الكتاب».

(٢) أخرجه عبدالرزاق ـ الأثر ٢٨٠٣، وابن أبي شيبة ١: ٣٧٦، وابن المنذر في «الأوسط» الأثر١٣١٠، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١: ٢١٩، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثران ٢٥٧، ٣٧٤، وابن عبدالبر في «التمهيد» ١١: ٣٠ ـ عن ابن مسعود بلفظ: «أنصت للقرآن فإن في الصلاة شغلا، وسيكفيك ذلك الإمام». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢: ١١١ «رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله موثوقون».

قال عبدالله بن المبارك فيما ذكره البخاري في جزء القراءة، فقرة ٢٨، ٢٩: «دل أن هذا في الجهر، وإنما يقرأ خلفه فيما سكت الإمام». وكذا قال ابن عبدالبر: «قوله» أنصت» يدل على أن ذلك في الجهر دون السر».

قلت: ويدل على هذا ما أخرجه ابن أبي شيبة ١: ٣٧٣، وابن المنذر في «الأوسط» الأثر ١٣١١، عن عبدالله بن مسعود: أنه قرأ في العصر خلف الإمام في الركعتين الأوليين بفاتحة الكتاب وسورة».

وهذا كله يُفسّر ما أخرجه البخاري في جزء القراءة ـ الأثر ٥٥ ـ عن ابن أبي مريم سمعت ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ يقرأ خلف الإمام ـ إن صح هذا ـ على أن المراد به القراءة في الصلاة السرية.

كما يُفسّر ما رُويَ عنه ـ عند عبدالرزاق ـ الأثر ٢٨٠٦، والطحاوي ١: ٢١٩ ـ أنه قال: «من قرأ مع الإمام، أو ليت الذي يقرأ مع الإمام مليء فوه تراباً» ـ إن صح هذا عنه ـ على أن المراد به القراءة مع الإمام حال جهر الإمام بالقراءة. علماً أن في إسناد عبدالرزاق شيخة داود بن قيس الصنعاني وهو مقبول كما في «التقريب» ١: ٢٣٤، وفي إسناد الطحاوي: خديج بن معاوية وهو صدوق يخطىء كما في «التقريب» ١: ١٥٦.

وعائشة[١]. وأبي سعيد الخدري، مع اختلاف عنه في ذلك[٢]، وعبيــــد الله بـــــن عبـــدالله بــــن عتبــــة[٣] والـــــزهـــــري[٤]،

---

(١) أخرجه ابن المنذر في «الأوسط» الأثر ١٣١٣ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قال: «اقرأ خلف الإمام فيما يخافت به».
والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثران ٢٢١ ـ ٢٢٢ ـ عن عائشة أنها تأمر بالقراءة خلف الإمام في الظهر والعصر في الركعتين الأوليين بفاتحة الكتاب وشيء من القرآن، وفي الأخريين بفاتحة الكتاب».
أما ما ذكره البخاري عنها في جزء القراءة، فقرة ١٣٤ بعدما أخرج عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ «لا يركع أحدكم حتى يقرأ بأم القرآن». قال البخاري: «وكانت عائشة تقول ذلك».
فإن هذا ـ إن صح ـ ليس صريحاً في أن عائشة، ولا أبا سعيد يريان القراءة خلف الإمام مطلقاً في الصلاة السرية والجهرية، إذ قد يصح حمله على القراءة في الصلاة السرية، بل لو قيل بحمله على من يصلي منفرداً لما امتنع قبول ذلك.

(٢) فقد أخرج البخاري في جزء القراءة ـ الأثر ٥٧، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» عن أبي نضره قال: سألت أبا سعيد عن القراءة خلف الإمام، فقال: «فاتحة الكتاب وفي إسنادهما العوام بن حمزة المازني: صدوق ربما وهم كما في «التقريب» ٢ :٨٩.
وأخرج البخاري ـ الأثر ١٣٣ ـ عن عبدالرحمن بن هرمز قال: قال أبو سعيد: «لايركع أحدكم حتى يقرأ بأم القرآن».
فهذان الأثران ـ إن صحا ـ عن أبي سعيد ـ قد يؤخذ منهما أنه يرى القراءة خلف الإمام مطلقاً حتى في الصلاة الجهرية. لكن أخرج ابن أبي شيبة ١ :٣٧٧ ـ عن أبي هارون قال: سألت أبا سعيد عن القراءة خلف الإمام، فقال: «يكفيك ذاك الإمام» فهذا ـ إن صح عن أبي سعيد ـ يدل على أن المراد بالأثرين السابقين القراءة في السرية.
والأمر محتمل فالله أعلم.

(٣) أخرجه عبدالرزاق ـ الأثر ٢٧٧٥، وابن أبي شيبة ١ :٣٧٣ ـ بإسناد صحيح ـ والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٢٤٥ ـ كلهم من طريق حصين بن عبدالرحمن قال: «سمعت عبيدالله بن عبدالله بن عتبة يقرأ في الظهر والعصر مع الإمام..» وليس في رواية ابن أبي شيبة والبيهقي «في الظهر والعصر». وقد ذكر هذا القول عن عبيد الله، وأنه يقرأ خلف الإمام. ابن عبدالبر في «التمهيد» ١١ :٢٨، و «الاستذكار» ٢ :١٨٦.

(٤) أخرجه عن الزهري ـ عبدالرزاق ـ الأثر ٢٧٨٤، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» =

وقتادة[١]، وسعيد بن المسيب[٢]، والحكم بن عتيبة[٣]، والقاسم ابن محمد[٤]، وعروة بن الزبير[٥]، ونافع بن جبير بن مطعم[٦]، وسالم ابن عبدالله بن عمر[٧].

وبه قال الإمام مالك وأصحابه[٨] وأحمد بن حنبل، إلا أنه قال: إن سمع في صلاة الجهر لم يقرأ، وإن لم يسمع قرأ[٩]، وذكر ابن

= الأثران ٢٧٣، ٣٣٢ ـ أنه ينهى عن القراءة فيما جهر الإمام، ويقرأ فيما لم يجهر الإمام» وذكره ابن عبدالبر في «الاستذكار» ٢: ١٨٦.

(١) أخرجه عبدالرزاق ـ الأثر ٢٧٨٥ عن قتادة أنه قال: «إذا جهر الإمام فلا تقرأ شيئاً» وذكره ابن عبدالبر في «التمهيد» ١١: ٢٨.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ١: ٣٧٤، ٣٧٧ عن سعيد قال: «يقرأ الإمام ومن خلفه في الظهر والعصر بفاتحة الكتاب»، وفي رواية قال: «أنصت للإمام»، وذكره ابن عبدالبر في «التمهيد» ١١: ٢٨، و «الاستذكار» ٢: ١٨٦.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ١: ٣٧٤ عن الحكم قال: «اقرأ خلف الإمام فيما لم يجهر في الأوليين بفاتحة الكتاب وسورة، وفي الأخريين بفاتحة الكتاب».

(٤) أخرجه عن القاسم بن محمد ـ مالك في «الموطأ» الأثر ١٨٧، وابن أبي شيبة ١: ٣٧٥، وذكره ابن عبدالبر «في التمهيد» ١١: ٥٤.

(٥) أخرجه عن عروة مالك في «الموطأ» الأثر ١٨٦، وعبدالرزاق ـ الأثر ٢٧٩١، وابن أبي شيبة ١: ٣٧٤، والبخاري في جزء القراءة ـ الأثر ٢٧٦.

(٦) أخرجه مالك في «الموطأ» الأثر ١٨٨، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٣٣٢ ـ عن نافع بن جبير بن مطعم أنه كان يقرأ خلف الإمام فيما لا يجهر فيه بالقراءة.

(٧) ذكره عن سالم ابن عبدالبر في «الاستذكار» ٢: ١٨٦، وفي «التمهيد» ١١: ٢٨، ٣٧.

(٨) انظر: «المدونة» ١: ٦٧، «الموطأ» ص٦٧ـ٦٨، «الاستذكار» ٢: ١٨٦ـ١٨٨، «التمهيد» ١١: ٢٨، ٣٤، ٣٧ـ٣٨، «الكافي في فقه أهل المدينة» ١: ١٧٠، «بداية المجتهد» ١: ١٥٤، «أحكام القرآن» لابن العربي ١: ٤، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١١٧.

(٩) انظر: «مسائل الإمام أحمد» رواية ابنه عبدالله ص٧١، ٧٩ الفقرات ٢٥٤ـ٢٥٧، ٢٨٠، و «رواية النسابوري» ١: ٥١، و «رواية أبي داود» ص٣٢، «المغني» ١: ٢٥٩، ٢٦٤، ٢٦٧ـ٢٦٨ «تنقيح التحقيق» ٢: ٨٥٧، «الشرح الكبير» ١: ٣٩٠ـ٣٩١، «مجموع =

تيمية[١] أنه لم يصح عنه غيرها.

وقال به أيضاً عبدالله بن المبارك[٢]، وإسحاق بن راهويه[٣] وهو قول الشافعي في القديم[٤]، وبه قال الأوزاعي وأبو ثور[٥] وداود[٦].

وهو اختيار جمع من المحققين أيضاً منهم:

الطبري[٧]، وأبو بكر بن العربي[٨]، وشيخ الإسلام ابن تيمية، قال: «وهو قول جمهور أهل العلم، وأعدل الأقوال»[٩].

واختاره ـ أيضاً ـ الحافظ ابن كثير[١٠]، وشيخ الإسلام محمد ابن

= الفتاوى» ٢٣: ٢٦٨ـ٢٦٩.

(١) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٢٩٥، وانظر ٢٣: ٣٨١.

(٢) انظر: «الأوسط» ٣: ١٠٦، «سنن الترمذي» ٢: ١٢١، «الاستذكار» ٢: ١٨٦، «التمهيد» ١١: ٢٨، «الاعتبار» للحازمي ص١٠٠، والمغني، ٢: ٢٥٩، «المجموع» ٣: ٣٩٥ـ٣٩٦.

(٣) انظر: «الأوسط» ٣: ١٠٦، «الاستذكار» ٢: ١٨٦، «التمهيد» ١١: ٢٨، «الاعتبار» ص١٠٠، «المغني» ٢: ٢٥٩.

(٤) انظر: «أحكام القرآن» للشافعي ص٧٧، «المهذب» ١: ٧٩، «القراءة خلف الإمام» للبيهقي ص١٠٧، ١١، «تفسير ابن كثير» ١: ٢٨.

(٥) انظر: «الاستذكار» ٢: ١٩٣.

(٦) انظر: «التمهيد» ١١: ٢٨.

(٧) في «تفسيره» ١٣: ٣٥٢.

(٨) في «أحكام القرآن» ١: ٥، قال: «والصحيح عندي وجوب قراءتها فيما يسر، وتحريمها فيما جهر إذا سمع قراءة الإمام لما عليه من فرض الإنصات والاستماع لقراءته، فإن كان عنه في مقام بعيد فهو بمنزلة صلاة السر».

(٩) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٣٢٧، ٣٣٠، وانظر ٢٩٤ـ٢٩٧.

(١٠) في «تفسيره» ١: ٢٨، ٦٣.

عبدالوهاب[١]، واللكنوي من محققي الأحناف في هذا العصر[٢].

واختاره من علمائنا المعاصرين فضيلة الشيخ شيخنا محمد بن ناصر الدين الألباني[٣]، وفضيلة الشيخ شيخنا صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان.

واختلفوا في حكم القراءة في الصلاة السرية خلف الإمام، أهي واجبة أم سنة.

فذهب مالك[٤]، وأحمد في رواية[٥] له عدها بعض أصحابه هي المشهورة عنه[٦].

واختارها بعض أصحابه كشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب[٧] إلى أن قراءة الفاتحة في الصلاة السرية خلف الإمام سنة.

وذهـب الأوزاعـي[٨] . . . .

---

(١) في «آداب المشي إلى الصلاة» ص٩٨ باب صلاة الجماعة.

(٢) كانت وفاته سنة ١٣٠٤هـ وانظر: كتابه «إمام الكلام في القراءة خلف الإمام» ص٢٢٥ـ٢٢٨ ـ وهذا الكتاب من خير ما ألف في هذه المسألة، كما سبقت الإشارة إليه.

(٣) في «صفة صلاة النبي ـ ﷺ ـ» له ص٥٥ـ٥٧.

(٤) انظر: «الاستذكار» ٢: ١٨٩ـ١٩٣، «التمهيد» ١١: ٥٣ وانظر: المراجع السابقة في ذكر قول مالك.

(٥) انظر: «مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبدالله» ص٧٢، ٧٨، فقرة ٢٥٧، ٢٧٨، «التحقيق» ١: ٣٩١.

(٦) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٦٦.

(٧) انظر: «آداب المشي إلى الصلاة» ص٩٨.

(٨) انظر: «الاستذكار» ٢: ١٩٤، «التمهيد» ١١: ٥٤.

والشافعي[١] وأبو ثور وإسحاق، وداود[٢]، وأحمد في رواية عنه[٣] إلى أن القراءة في الصلاة السرية خلف الإمام واجبة ولا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب. واختار هذا ابن العربي[٤].

واتفقوا على أنه لا يُشرع قراءة الفاتحة، ولا غيرها حال سماع المأموم لقراءة إمامه.

واختلفوا في حكم من قرأ وهو يسمع قراءة الإمام: فذهب بعضهم إلى كراهية ذلك[٥]، وذهب بعضهم إلى تحريمه[٦]، بل شذ بعضهم فقال ببطلان صلاته[٧].

أما إذا لم يسمع المأموم قراءة الإمام، أو كان للإمام سكتات.

فقال بعضهم الأفضل للمأموم أن يقرأ الفاتحة في هذه الأحوال[٨] ـ وهو الأولى ـ لكن لو لم يفعل فصلاته صحيحه عندهم[٩].

الأدلة التي استدل بها أصحاب هذا القول:

---

(١) انظر: «أحكام القرآن» للشافعي ١: ٧٧، «المهذب» ١: ٧٩.
(٢) انظر: «الاستذكار» ٢: ١٩٤، «التمهيد» ١١: ٥٤.
(٣) انظر: «مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبدالله» ص٧١ فقرة ٢٥٦، «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٦٦.
(٤) في «أحكام القرآن» ١: ٥.
(٥) انظر: «كشاف القناع» ١: ٤٦٤.
(٦) انظر: «أحكام القرآن» لابن العربي ١: ٥، «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٣٤٢.
(٧) انظر: «المبسوط» ١: ١٩٩، «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٣٣٩، «إمام الكلام في القراءة خلف الإمام» ص٧١، ٨٢، ٩٠.
(٨) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٦٦، ٣٠٩، ٣٢٩.
(٩) انظر: «المغني» ٢: ٢٦٨.

أـ استدلوا على وجوب القراءة في الصلاة السرية، أو استحبابها بالأدلة التي استدل بها أصحاب القول الأول على وجوبها أو استحبابها في الحالين وعلى أنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها كحديث عبادة بن الصامت «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**» متفق عليه[1].

وحديث أبي هريرة «**كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ـ ثلاثا، غير تمام**» رواه مسلم.

وغير ذلك من الأحاديث بهذا المعنى وقالوا: المراد بها الإمام والمنفرد، وكذا المأموم في الصلاة السرية، وكذا في الجهرية إذا لم يسمع قراءة الإمام.

ب ـ أما أدلتهم على أن المأموم لا يقرأ في الصلاة الجهرية، بل ينصت لقراءة الإمام فمنها مايأتي:

١ـ قوله ـ تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾[2].

قالوا: فهذه الآية نزلت في الأمر بالإنصات عند القراءة في الصلاة. فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنهم كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ

---

(١) انظر: «عارضة الأحوذي» ٢:١٠٨ـ١١١، وقد سبق تخريج هذا الحديث في أسماء الفاتحة في المبحث الثاني، من الفصل الأول من هذا الباب.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.

تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾[١] وقد رُوِيَ نحوه عن ابن مسعود[٢]، وابن عباس[٣]، وقتادة[٤]، والزهري[٥]، ومعاوية بن قرة[٦].

والقول بأنها في الصلاة دون ذكر سبب نزولها مروي أيضاً عن أبي هريرة[٧] وابن عباس[٨]، وابن مسعود[٩]، وعبدالله بن مغفل[١٠]، والزهري، ومجاهد، وسعيد بن المسيب، والشعبي، وإبراهيم النخعي، والحسن[١١]، وعبيد بن عمير، وعطاء بن أبي رباح،

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» الآثار ١٥٥٨٢، ١٥٥٨٦، ١٥٦٠١، والواحدي في «أسباب النزول» ص١٧١، و «البيهقي في «القراءة خلف الإمام» الآثار ٢٧٤ـ٢٧٩، وابن عبدالبر في «التمهيد» ١١: ٢٩.

(٢) أخرجه عن ابن مسعود الطبري في «تفسيره» الأثر ١٥٥٨١، وابن عبدالبر في «التمهيد» ١١: ٢٩ـ٣٠.

(٣) أخرجه عن ابن عباس ـ البيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٢٨٠.

(٤) أخرجه عن قتادة ـ الطبري في «تفسيره» الآثار ١٥٥٩٨ـ١٥٥٩٩، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٢٨٢.

(٥) أخرجه عن الزهري ـ الطبري في «تفسيره» ـ الأثر ١٥٦٠٠، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٢٨١.

(٦) أخرجه عن معاوية ـ البيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٢٨٣.

(٧) أخرجه عن أبي هريرة ابن المنذر في «الأوسط» الأثر ١٣١٨.

(٨) أخرجه عن ابن عباس الطبري في «تفسيره» الأثر ١٥٦٠٤، وابن المنذر في «الأوسط» الأثر ١٣١٧، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٢٥٨.

(٩) أخرجه عن ابن مسعود ـ الطبري في «تفسيره» الأثر ١٥٥٨٤، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الآثار ٢٥٣ـ٢٥٦.

(١٠) أخرجه عن عبدالله بن مغفل، البيهقي في «القراءة خلف الإمام» الآثار ٢٥٠ـ٢٥٢.

(١١) أخرجه عنهم الطبري في «تفسيره» الآثار ١٥٥٨٣ ـ ١٥٥٩٥، ١٥٥٩٧، ١٥٦٠٢، ١٥٦٠٥، ١٥٦٠٧، ١٥٦١١، ١٥٦١٣ـ١٥٦١٥، ١٥٦١٧، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الآثار ٢٦٠ـ٢٧٣.

والضحاك، والسدي، وعبدالرحمن بن زيد[١]، ومحمد بن كعب القرظي[٢]، واختاره الطبري[٣].

بل ذكر الإمام أحمد الإجماع على أنها نزلت في الصلاة[٤].

٢ـ وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: إن رسول الله ـ ﷺ ـ خطبنا فبين لنا سنتنا، وعلمنا صلاتنا، فقال: «**أقيموا صفوفكم، ثم ليؤمكم أحدكم، فإذا كبر فكبروا، وإذا قرأ فأنصتوا**»[٥].

---

(١) أخرجه عنهم الطبري في «تفسيره» الآثار ١٥٥٨٥، ١٥٥٩٦، ١٥٦٠٣، ١٥٦٠٦، ١٥٦١٢، ١٥٦١٨.

(٢) أخرجه عنه البيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٢٥٩.

(٣) في «تفسره» ١٣: ٣٥٢.

(٤) انظر: «مسائل الإمام أحمد» رواية أبي داود ص٣١، «المغني» ٢: ٢٦١، «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٢٣: ٢٦٩، ٣١٢. وانظر «الاستذكار» ٢: ١٨٧، «التمهيد» ١١: ٢٨، ٢٩.

(٥) أخرجه مسلم ـ في الصلاة ـ باب التشهد في الصلاة ـ الحديث ٤٠٤، وأبو داود ـ في الصلاة ـ باب التشهد ـ الحديثان ٩٧٢، ٩٧٣، وقال: «قوله: «فأنصتوا» ليس بمحفوظ فلم يجىء به إلا سليمان التيمي في هذا الحديث».
وأخرجه النسائي في الإمامة ـ باب مبادرة الإمام ـ الحديث ٨٠٠، وابن ماجه في إقامة الصلاة ـ باب إذا قرأ الإمام فأنصتوا ـ الحديث ٨٤٧، وابن المنذر في «الأوسط» الحديث ١٣٢٠، والدارقطني ١: ٣٣، وذكر تفرد سليمان التيمي بقوله «وإذا قرأ فأنصتوا» عن أصحاب قتادة الحفاظ، وأخرجه البيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأحاديث ٣٠٥ـ٣١٠ بطرقه ورواياته.
كما ذكر البخاري في جزء القراءة، فقرة ٢٦٤ نحوا من قول الدارقطني. وقد صحح هذا الحديث الإمام مسلم ـ كما سبق، وقال: لمن تكلم في هذا الحديث: «يريد أحفظ من سليمان»، كما صححه الإمام أحمد فيما ذكر ابن عبدالبر في «الاستذكار» ٢: ١٨٨، وفي «التمهيد» ١١: ٣٤، وابن تيمية في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٣٤٠، كما صححه إسحاق بن راهويه، فيما ذكر ابن تيمية في الموضع السابق.
وقال ابن تيمية في هذا الموضع «وعلله البخاري بأنه اختلف فيه، وليس ذلك بقادح =

٣ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا كبر فكبروا، وإذا قرأ فأنصتوا»[(١)].

= في صحته. وانظر: «إمام الكلام في القراءة خلف الإمام» ص١٧٠ـ١٧٣.

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة ـ باب الإمام يصلي من قعود ـ الحديثان ٦٠٣، ٦٠٤، وقال: «هذه الزيادة: «إذا قرأ فانصتوا» ليست بمحفوظة، الوهم عندنا من أبي خالد»، وأخرجه النسائي من طريق أبي خالد، ومن طريق محمد بن سعد الأنصاري ـ في الافتتاح ـ باب تأويل قوله ـ عز وجل ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الحديثان ٨٨٢، ٨٨٣، وابن ماجه في الموضع السابق ـ الحديث ٨٤٦، وابن أبي شيبة ١: ٣٧٧، وأحمد ٢: ٣٧٦، وابن المنذر في «الأوسط» الحديث ١٣١٩، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١: ٢١٧، والدارقطني ١: ٣٢٧ـ٣٢٨، كلهم من طريق أبي خالد، وقال الدارقطني: «تابعه محمد بن سعد، وأخرجه البيهقي في «السنن» ٢: ١٥٦ـ١٥٧، وروى فيها عن يحيى بن معين وأبي حاتم أن هذه الزيادة ليست بمحفوظة. كما أخرجه في «القراءة خلف الإمام» الحديث ٣١١ ـ بطرقه وذكر كلام أهل العلم في إسناده ومتنه ص١٣٢-١٣٥. وأخرجه ابن عبدالبر في «التمهيد» ١١: ٣٢ـ٣٣. وقد تكلم فيه البخاري في جزء القراءة الفقرات ٢٦٥ـ٢٦٧ بحجة أن أكثر الرواة لم يذكروا هذه الزيادة. وذكر النووي في «شرح مسلم» ٤: ١٢٢-١٢٣ ما روى أبو داود وابن معين وأبو حاتم والدارقطني من زيادة هذه اللفظة، وذكر ذلك ـ أيضاً ـ عن أبي علي النيسابوري شيخ الحاكم أبي عبدالله، ثم قال النووي: «واجتماع هؤلاء الحفّاظ على تضعيفها مقدّم على تصحيح مسلم، لا سيما ولم يروها مسندة في صحيحه». وقد صححه جمع من أهل العلم، منهم الإمام مسلم صاحب الصحيح، فقد سأله أبو بكر ابن أخت النضر عن حديث أبي هريرة هذا. «وإذا قرأ فأنصتوا» فقال: «هو عندي صحيح فقال له: لِمَ لم تضعه ههنا؟ يعني في صحيحه. فقال: ليس كل شيء عندي صحيح وضعته هاهنا، إنما وضعت ههنا ما أجمعوا عليه» «صحيح مسلم» ١: ٣٠٤.
كما صححه الإمام أحمد فيما ذكره ابن عبدالبر في «الاستذكار» ٢: ١٨٨ وفي «التمهيد» ١١: ٣٤، والقرطبي في «تفسيره» ١: ١٢١.
وصححه ابن حزم في «المحلى» ٣: ٣٠٨، والمنذري في «مختصر سنن أبي داود» ١: ٣١٣ قال المنذري ردا على قول أبي داود السابق: «وفيما قاله نظر، فإن أبا خالد هذا هو سليمان بن حيان الأحمر، وهو من الثقات الذين احتج البخاري ومسلم بحديثهم في صحيحيهما...

=

قالوا: فهذه الأدلة الثلاثة ـ الآية، وحديث أبي موسى، وحديث أبي هريرة فيها وجوب الإنصات والاستماع لقراءة الإمام إذا جهر الإمام بالقراءة، ولم يخص هذا الأمر بقراءة الفاتحة ولاغيرها[1]، بل إن هذه الأدلة هي المخصصة للأحاديث التي فيها إيجاب قراءة الفاتحة في الصلاة مطلقاً، كحديث عبادة بن الصامت في الصحيحين: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**» وغيره[2].

واستدل شيخ الإسلام ابن تيمية[3] على تخصيص عموم أحاديث وجوب قراءة الفاتحة بالآية والحديثين المذكورين بأنه قد خُصَّ من عموم تلك الأحاديث أمور، منها: أن من أدرك الإمام راكعا فكبر ودخل معه قبل رفعه من الركوع فقد أدرك الركعة بإجماع أهل العلم[4]، كما جاء في حديث أبي بكرة[5].

= ثم أشار إلى متابعة محمد بن سعد له التي أشار إليها الدارقطني والتي أخرجها النسائي في الموضع السابق، كما أشار إلى إخراج مسلم لهذه الزيادة من حديث أبي موسى الأشعري من طريق سليمان التيمي عن قتادة. . . قال المنذري: ولم يؤثر عند مسلم تفرد سليمان بذلك لثقته وحفظه، وصحح هذه الزيادة من حديث أبي هريرة وأبي موسى».

وقال الألباني «حسن صحيح»، وانظر: «إرواء الغليل» ٢: ١٢٠ـ١٢١، «إمام الكلام في القراءة خلف الإمام» ص١٧٠ـ١٧٣.

(١) انظر: «الاستذكار» ٢: ١٨٦، «التمهيد» ١١: ٢٨ـ٣٠، «أحكام القرآن» لابن العربي ١: ٥، «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٢٣: ٢٩٠ـ٣١٢.

(٢) انظر: «التمهيد» ١١: ٣١، ٣٤، «أحكام القرآن» لابن العربي ١: ٥.

(٣) في «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٩٠ـ٢٩١، ٣٢٠.

(٤) راجع ما سبق في نهاية القول الأول وانظر «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي١: ١١٨.

(٥) حديث أبي بكرة سبق ذكره وتخريجه في ذكر أدلة القول الأول.

وخُصّ منه الصلاة بإمامين، فإن الإمام الثاني يقرأ من حيث انتهى الإمام الأول، ولا يستأنف قراءة الفاتحة، كما في فعله ـ ﷺ ـ لما صلى بالناس وقد سبقه أبو بكر ببعض الصلاة قرأ من حيث انتهى أبو بكر، ولم يستأنف قراءة الفاتحة، لأنه بنى على صلاة أبي بكر، فإذا سقطت عنه الفاتحة في هذا الموضع فعن المأموم أولى.

وخُصّ منه أيضاً حال العذر كالجهل والسهو، فإذا ترك المأموم قراءة الفاتحة خلف إمامه في السرية جهلاً أو سهواً سقطت عنه، وتحلمها الإمام.

فإذا خُصّ من ذلك حال المسبوق، والصلاة بإمامين، وحال العذر بالجهل، أو السهو فكذلك خُصّ منه حال استماع المأموم لقراءة إمامه، لأن هذا عذر. فلا يقرأ في حال جهر إمامه بل يستمع، أما أمر المأموم بالانصات فلم يخص منه شيء، لا بنص خاص ولا إجماع، وإذا تعارض عمومان أحدهما محفوظ والآخر مخصوص وجب تقديم المحفوظ.

قال ابن تيمية[1]: «ولو كانت قراءة الفاتحة فرضاً على المأموم مطلقا لم تسقط بسبق ولا جهل، كما أن الأعرابي المسيء في صلاته قال له النبي ﷺ: «**ارجع فصل فإنك لم تصل**» وأمر الذي صلى خلف الصف وحده أن يعيد الصلاة».

---

(١) في «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٣٢٠.

كما استدلوا ـ أيضاً ـ:

٤ـ بما رواه ابن شهاب الزهري عن ابن أُكيمة الليثي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ انصرف من صلاة جهر فيها بالقراءة، فقال: «**هل قرأ معي أحد منكم آنفا؟ فقال رجل: نعم يارسول الله. قال: إني أقول مالي أُنازع القرآن**. فانتهى الناس عن القراءة مع رسول الله ـ ﷺ ـ فيما جهر فيه النبي ـ ﷺ ـ بالقراءة من الصلوات حين سمعوا ذلك من رسول الله ـ ﷺ ـ»[1].

---

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة ـ باب من كره القراءة بفاتحة الكتاب إذا جهر الإمام ـ الحديثان ٨٢٦، ٨٢٧، وقال: «سمعت محمد بن يحيى بن فارس قال: «قوله» فانتهى الناس... .» من كلام الزهري». وأخرجه النسائي في الافتتاح ـ باب ترك القراءة خلف الإمام فيما جهر به ـ الحديث ٨٨١، والترمذي في الصلاة ـ باب ترك القراءة خلف الإمام إذا جهر الإمام بالقراءة ـ الحديث ٣١٢ وقال: «ورَوى بعض أصحاب الزهري هذا الحديث، وذكروا هذا الحرف قال: قال الزهري: «فانتهى الناس عن القراءة»، وأخرجه ابن ماجه في إقامة الصلاة ـ باب إذا قرأ الإمام فأنصتوا ـ الحديثان ٨٤٨، ٨٤٩، ومالك في «الموطأ» الحديث ١٩٠، وعبدالرزاق ـ الحديثان ٢٧٩٥، ٢٧٩٦، وابن أبي شيبة ١:٣٧٥، والبخاري في جزء القراءة ـ الأحاديث ٩٥ـ٩٨، ٣٦٢، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأحاديث ٣١٧ـ٣٢١، وابن عبدالبر في «التمهيد» ١١: ٢٤ـ٢٧، والحازمي في «الاعتبار» ص١٠٠، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢: ١٠٠: «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح».

وقد ذكر البيهقي في «القراءة خلف الإمام» ص١٤٠ـ١٤٢، وابن عبدالبر في «التمهيد» ١١: ٢٥ـ٢٦ قول بعض أهل العلم إن قوله «فانتهى الناس. . .» وما بعده من كلام الزهري.

قلت: والحديث تكلم فيه بعض أهل العلم كالحميدي وابن خزيمة فيما ذكر البيهقي في «القراءة خلف الإمام» ص١٣٩ـ١٤٤ لأجل ابن أُكيمة، وأنه مجهول. وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى» ٢٣: ٢٧٥، ٣١٧ـ٣١٩ «رد أهل العلم على من ضعفه =

قالوا: فقوله ـ ﷺ ـ: «مالي أنازع القرآن» إنكار على من يقرأ حال جهر الإمام، سواء بأم القرآن أو غيرها[١].

وقالوا ـ أيضاً ـ قوله في الحديث: «فانتهى الناس عن القراءة مع النبي ـ ﷺ ـ فيما جهر فيه... إلى آخره. هذا من كلام الزهري كما ذكر أهل العلم. والزهري من أعلم أهل زمانه وقد قطع بأن الصحابة لم يكونوا يقرؤون خلف النبي ـ ﷺ ـ في حال الجهر. وهذا من الأحكام العامة، التي لا تخفى ويعرفها عامة الصحابة والتابعين لهم بإحسان»[٢].

٥ـ وعن عبدالله بن شداد ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «**من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة**» ورُوِيَ مسندا عن جابر بن عبدالله[٣].

= بجهالة ابن أكيمة الليثي. كما صححه الألباني، وقال في «صفة صلاة النبي ـ ﷺ ـ» ص٥٦ «صححه أبو حاتم الرازي وابن حبان وابن القيم».

(١) انظر: «التمهيد» ١١: ٢٧، ٥٣، «المغني» ٢: ٢٥٩، ٢٦٢.

(٢) انظر: «التمهيد» ١١: ٢٣، «الاستذكار» ٢: ١٨٥، «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٧٤، ٣١٧.

(٣) أخرجه عبدالرزاق في الصلاة ـ القراءة خلف الإمام ـ مرسلاً عن عبدالله بن شداد الحديث ٢٧٩٧، وابن أبي شيبة ١: ٣٧٦ـ٣٧٧ مرسلا ومسندا عن جابر، وكذا الدارقطني ١: ٣٢٣ـ٣٣١، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١: ٢١٧، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأحاديث ٣٣٤ـ٣٥٢، وأخرجه مسندا فقط ابن ماجه في إقامة الصلاة ـ باب إذا قرأ الإمام فأنصتوا ـ الحديث ٨٥٠. وقال في «الزوائد» في إسناده جابر الجعفي كذاب، والحديث مخالف لما رواه الستة من حديث عبادة». وأخرجه أيضاً مسندا الإمام أحمد ٣: ٣٣٩.

وقد ضعف أهل العلم هذا الحديث مسندا من رواية جابر بن عبدالله، وصوب أكثرهم =

= وقفه على عبدالله بن شداد.
قال البخاري في جزء القراءة خلف الإمام الفقرة ٢٢: «هذا خبر لم يثبت عند أهل العلم من أهل الحجاز، وأهل العراق وغيرهم، لإرساله، وانقطاعه، رواه ابن شداد عن النبي ـ ﷺ ـ». وقال ابن المنذر في «الأوسط» ٣:١٠٢: «لا يثبت».
وقد استوعب الدارقطني طرقه مسندا ومرسلا، ثم قال عن المرسل: «وهو الصواب».
وقال ابن عبدالبر في «التمهيد» ١١:٤٨: «وهذا حديث رواه جابر الجعفي عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ـ ﷺ ـ وجابر الجعفي ضعيف الحديث مذموم المذهب لا يحتج بمثله»، وبعد أن ذكر روايات الحفاظ له مرسلا عن عبدالله بن شداد قال: «وهو الصحيح فيه الإرسال، وليس مما يحتج به».
وقال المجد بن تيمية في «المنتقى» ٩٠١: «وقد رُوِيَ مسندا من طرق كلها ضعاف، والصحيح أنه مرسل».
وقال القرطبي في «تفسيره» ١:١٢٢: «حديث ضعيف» وصوب وقفه على جابر.
وقال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ١:٢٨: «في إسناده ضعف، ورواه مالك عن وهب ابن كيسان عن جابر من كلامه، وقد رُوِيَ هذا الحديث من طرق، ولا يصح شيء منها عن النبي ـ ﷺ ـ» وقال الحافظ ابن حجر: في «الفتح» ٢:٢٤٢: «ضعيف عند الحفاظ»، وقال في «تلخيص الحبير» ١:٢٣٢: «إنه مشهور من حديث جابر، وله طرق عن جماعة من الصحابة كلها معلولة». وقال الشوكاني في «نيل الأوطار» ٢:٢٤١ «ضعيف لا يحتج به». وقال أحمد شاكر في تعليقه على سنن الترمذي ٢:١٢٦: «ليس إسناده مما يحتج به أهل العلم بالحديث».
وممن قوى هذا المرسل ابن تيمية حيث قال في «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٧١ـ٢٧٢: «وهذا المرسل قد عضده ظاهر القرآن والسنة. . .، ومرسِله من أكبر التابعين، ومثل هذا المرسل يحتج به باتفاق الأئمة الأربعة وغيرهم». وقال ص٣٢٥: «فأما الموقوف على جابر فثابت بلا نزاع، وكذلك المرسل ثابت بلا نزاع من رواية الأئمة عن عبدالله بن شداد».
كما قواه الزيلعي في «نصب الراية» ٢:٧ «فقال بعد ما ذكر تضعيف جابر الجعفي: «ولكن له طرق أخرى، وهي وإن كانت مدخولة، ولكن يشد بعضها بعضا» ونحوا من هذا قال الألباني في «الإرواء» ١:٢٦٨ ـ بعد أن ذكر طرق هذا الحديث وكلام أهل العلم عليه قال: «ويتلخص مما سبق أنه لايصح شيء من هذه الطرق إلا طريق عبدالله

قالوا: فهذا الحديث يدل على أن المأموم لا يقرأ خلف إمامه، لا الفاتحة ولاغيرها، إذا جهر إمامه في القراءة، لأن قراءة الإمام في هذه الحال قراءة لمن خلفه. ولهذا أمر المأموم بالإنصات لقراءة الإمام[(١)] ـ كما في الآية والأحاديث السابقة.

٦ـ وعن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ «أن رسول الله ـ ﷺ ـ صلى الظهر، فجعل رجل يقرأ خلفه بسبح اسم ربك الأعلى، فلما انصرف قال: **أيكم قرأ، أو أيكم القارىء؟ فقال رجل: أنا، فقال: قد ظننت أن بعضكم خالجنيها**»[(٢)]. قال أبو داود: قال الوليد في حديثه:

= ابن شداد، ثم ذكر أن له شواهد من حديث عبدالله بن عمر، وعبدالله بن مسعود وأبي هريرة وابن عباس، وأنه جاء مرسلا عن أبي الدرداء وعلي والشعبي، وقد اعتبره الألباني بمجموع هذه الطرق كلها ـ وإن كانت لا تخلو من ضعف بأنه «حديث حسن» قال: لأن هذه الطرق بمجموعها تشهد أن للحديث أصلا قال: لأن مرسل ابن شداد صحيح الإسناد بلا خلاف، والمرسل إذا رُوِيَ موصولا من طريق أخرى اشتد عضده، وصلح للاحتجاج به، كما هو مقرر في مصطلح الحديث، فكيف وهذا المرسل قد رُوي من طرق كثيرة كما رأيت».

وقال اللكنوي في «إمام الكلام» ص٢١٧: «والحاصل أن طرق الحديث الذي نحن فيه بعضها صحيح، أو حسن، وبعضها ضعيف ينجبر ضعفه بغيرها من الطرق الكثيرة. فالقول بأنه حديث غير ثابت أو غير محتج به، ونحو ذلك غير معتد به».

وانظر في ذكر طرق هذا الحديث وشواهده وكلام أهل العلم في تضعيفها: «القراءة خلف الإمام» للبيهقي ص١٧٨ وما بعدها، «نصب الراية» ٢: ٦ـ١٤، «تنقيح التحقيق» ٣: ٨٤٢ وما بعدها، «الدارية في تخريج أحاديث الهداية» ١: ١٦٢ـ١٦٤، «إمام الكلام في القراءة خلف الإمام» ص١٩٩ـ٢١٧.

(١) انظر «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٧١، «صفة صلاة النبي ـ ﷺ » للألباني ص٥٦.

(٢) خالجنيها: أي نازعنيها. وهذا الحديث أخرجه مسلم ـ في الصلاة ـ باب نهي المأموم عن جهره بالقراءة خلف إمامه الحديث ٣٩٨، وأبو داود في الصلاة ـ باب من رأى القراءة إذا لم يجهر الإمام بقراءته ـ الحديثان ٨٧٩ـ٨٨٠، والدارقطني ١: ٣٢٦، ٤٠٥، =

«قال شعبة قلت لقتادة: كأنه كره فقال: لو كرهه لنهى عنه».

قالوا: فهذا الرجل قرأ خلف النبي ـ ﷺ ـ، ولم ينهه ولا غيره فدل على أن المأموم يقرأ خلف الإمام في الصلاة السرية[1]. وإن احتمل الحديث معنى النهي فإنما هو نهي للمأموم عن الجهر بالقراءة خلف إمامه كما بوب له مسلم ـ رحمه الله.

٧ـ وعن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: «**كانوا يقرؤون خلف النبي ـ ﷺ ـ فقال: خلطتم علي القرآن**»[2].

قالوا: فهذا يدل على أنهم كانوا يقرؤون خلف النبي ـ ﷺ ـ جهراً فيخلطون عليه القرآن، إذ لو قرؤوا سراً ما خلطوا عليه قراءته، وما كره ذلك منهم»[3].

وقال ابن عبدالبر في «التمهيد»[4] بعد إخراجه للحديث: «أي في حال الجهر»: أي أنهم يقرؤون حال جهر الإمام فيخلطون عليه قراءته.

٨ـ ما رواه أبو هريرة أن رسول الله ـ ﷺ ـ أمره أن ينادي: «**لا**

= والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأحاديث ٣٦٠ـ٣٦٤.

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٨٣.

(٢) أخرجه أحمد ١: ٤٥١ قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢: ١١ «ورجاله رجال الصحيح» وأخرجه ابن أبي شيبة ١: ٣٧٦، والبخاري في جزء القراءة الحديث ٢٥٤، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأحاديث ٣٦٥، ٣٦٧ـ٣٧٠، وابن عبدالبر في «التمهيد» ١١: ٣٢.

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٨٤، ٣٢٢، «صفة صلاة النبي ـ ﷺ ـ» للألباني ص٥٦ـ٥٧.

(٤) ١١: ٣٢.

صلاة إلا بفاتحة الكتاب فما زاد»[١].

٩ـ ما رواه أبو سعيد قال: «**أمرنا رسول الله ـ ﷺ ـ أن نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر**»[١].

قالوا: فقوله في الحديث «فما زاد»، «وما تيسر» يدل على عدم وجوب قراءة الفاتحة حال جهر الإمام لأن العلماء أجمعوا على أنه لايجوز أن يقرأ بغيرها حال جهر الإمام بل ينصت»[٢].

١٠ـ كما استدلوا بالآثار الكثيرة عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم في النهي عن القراءة خلف الإمام في الصلاة الجهرية والأمر بالقراءة خلفه في الصلاة السرية[٣].

١١ـ وقالوا: أجمع أهل العلم على أنه لم يقل أحد إن المأموم إذا لم يقرأ خلف إمامه فصلاته باطلة، وبخاصة إذا جهر الإمام بالقراءة[٤].

١٢ـ وقالوا: إن الاستماع لقراءة الإمام من المتابعة للإمام المأمور بها، ومن لم ينصت لقراءة الإمام لم يكن قد ائتم به[٥] والمستمع لقراءة الإمام كالقارىء[٦].

---

(١) سبق تخريجهما في المبحث الثاني من الفصل الأول من هذا الباب. وقد صححهما الألباني.
(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٨٨ـ٢٨٩، ٢٩٤، ٣١٢، ٣١٣.
(٣) انظر: المصدر السابق ٢٣: ٣٠٦ـ٣٠٧ وانظر تخريج ما رُوِيَ عن السلف في هذا في مقدمة هذا القول.
(٤) انظر: «المغني» ٢: ٢٦٢.
(٥) «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٢٧١ـ٢٧٣، ٢٧٩، ٢٩١، ٢٩٥.
(٦) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٣١٢.

١٣ـ وقالوا ـ أيضاً ـ: إذا لم ينصت المأموم لقراءة إمامه فما الفائدة من جهر الإمام بالقراءة إذا كان المأموم مشغولاً بالقراءة لنفسه[١].

وقال ابن تيمية[٢]: «لو كانت القراءة في الجهر واجبة على المأموم للزم أحد أمرين إما أن يقرأ مع الإمام، وإما أن يجب على الإمام أن يسكت له حتى يقرأ، ولم نعلم نزاعاً بين العلماء أنه لا يجب على الإمام أن يسكت لقراءة المأموم الفاتحة ولا غيرها، وقراءته معه منهي عنها بالكتاب والسنة فثبت أنه لا تجب عليه القراءة معه في حال الجهر. . .».

ثم ذكر أنها لو كانت قراءة المأموم حال جهر الإمام مستحبة لاستحب للإمام أن يسكت لقراءة المأموم، وجماهير العلماء على أنه لا يستحب للإمام أن يسكت ليقرأ المأموم.

وقال أيضاً[٣]: «وقد ثبت بالكتاب والسنة وبالإجماع أن إنصات المأموم لقراءة إمامه يتضمن معنى القراءة معه وزيادة».

ولأنه قد ثبت الأمر بالإنصات لقراءة القرآن، ولا يمكن الجمع بين الإنصات والقراءة، ولولا أن الإنصات يحصل به مقصود القراءة وزيادة لم يأمر الله بترك الأفضل لأجل المفضول».

---

(١) انظر: «التمهيد» ١١: ٣٨.
(٢) في «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٧٦ـ٢٧٧، وانظر ٢٩٥، ٣١٦.
(٣) ٢٣: ٢٩٠.

القول الثالث: أن المأموم لا يقرأ الفاتحة ولا غيرها.

لا في الصلاة السرية، ولا في الصلاة الجهرية.

وممن قال بهذا القول زيد بن ثابت[١]. وجابر بن عبدالله.[٢]

---

(١) أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة ـ الحديث ٥٧٧، وعبدالرزاق ـ الحديث ٢٨١٥، وابن أبي شيبة ١:٣٧٦، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١:٢١٩، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الحديث ١٤٧ ـ ١٤٨ ـ عن زيد بن ثابت قال: «لا قراءة مع الإمام في شيء». هذا لفظ مسلم والبيهقي، ولفظ الطحاوي: «لاقراءة مع الإمام في شيء من الصلوات» وصحح هذا القول عن زيد ـ البيهقي، وابن حجر في «الدارية في تخريج أحاديث الهداية» ١:١٦٤، وقد حمل ابن تيمية هذا على القراءة معه حال الجهر. انظر «مجموع الفتاوى» ٢٣:٣٢٣. لكن أخرجه ابن أبي شيبة عن زيد بلفظ «لا يُقرؤ خلف الإمام إن جهر ولا إن خافت».
وأما ما رُويَ عن زيد أنه قال: «من قرأ مع الإمام فلا صلاة له» كما أخرجه عبدالرزاق ـ الأثر ٢٨٠٢، وابن أبي شيبة ١:٣٧٦ وبعضهم يرفعه فهذا ضعيف من وجهين:
الوجه الأول: أن العلماء اتفقوا على صحة صلاة من قرأ مع الإمام، وشذ من قال ببطلانها بذلك. قال ابن عبدالبر في «الاستذكار» ٢:١٩٣ «أجمع العلماء على أن من قرأ خلف الإمام فصلاته تامة، ولا إعادة عليه».
وهو وان ارتكب امرأ منهيا محرما أو مكروها عند بعضهم إلا أن صلاته صحيحة غير باطلة.
الوجه الثاني: ضَعْف هذا المَروي عن زيد فقد قال البخاري في جزء القراءة ص٣٢، فقرة: ٤٥ «لا يعرف لهذا الإسناد سماع بعضهم من بعض، ولا يصح مثله» وقال ابن حبان في «الضعفاء والمتروكين» ١:١٦٣ «لا أصل له» وقال ابن عبدالبر في الموضع السابق: «منكر لا يصح». وأخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» ١:١٣٣، ٤٣٣. وقال ابن حجر في «الدراية» ١:١٦٥: «اتهم به أحمد بن علي بن سليمان». وضعفه الألباني في «الأحاديث الضعيفة» ٢:٤٢٠.

(٢) أخرجه عن جابر ـ الترمذي في الصلاة ـ ترك القراءة خلف الإمام إذا جهر الإمام بالقراءة، الأثر ٣١٣، ومالك في «الموطأ» الأثر ١٨٤، وعبدالرزاق الأثر ٢٧٤٥، والبخاري في جزء القراءة ـ الأثر ٢٨٥، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الآثار ـ ٢٨٥ ـ ٣٥٣، وابن عبدالبر في «التمهيد» ١١:٤٩ عن جابر «من صلى ركعة لم يقرأ =

ويُروى عن عمران بن حصين[١]، والأسود بن يزيد[٢]، وسعد بن

= فيها بأم القرآن فلم يصل إلا وراء الإمام»، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وقال البيهقي «صحيح» وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، وأخرج عبدالرزاق - الأثر ٢٨١٩ - عن عبيد الله بن مقسم قال: سألت جابر بن عبدالله أتقرأ في الظهر والعصر شيئاً؟ فقال: «لا» وفي إسناده: شيخ عبد الرزاق: داود بن قيس «مقبول» كما في «التقريب» ١ : ٢٣٤.

وأخرجه ابن أبي شيبة ١ :٣٧٦ - عن جابر قال: «لا يقرأ خلف الإمام» وفي إسناده الضحاك بن عثمان بن عبدالله «صدوق يهم» كما في «التقريب» ١ :٣٧٣.

وأخرجه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١ :٢١٩ بلفظ «لا يقرأ خلف الإمام في شيء من الصلوات».

وقد رُويَ مرفوعاً قال الدارقطني ١ :٣٢٧ «والصواب موقوف». وقال ابن عبدالبر في «الاستذكار» ٢ :١٩٢ «هو حديث لايصح إلا موقوفا على جابر كما في الموطأ».

وقد صححه موقوفاً على جابر ابن حجر في «الدراية في تخريج أحاديث الهداية» ١ :١٦٤.

وقد أخرج البيهقي في «القراءة خلف الإمام» الآثار ٢٢٥-٢٢٨، ٣٥٩ - عن جابر قال: «يقرأ الإمام ومن خلفه في الأوليين بفاتحة الكتاب وسورة، وفي الأخريين بفاتحة الكتاب» وفي رواية: «كنا نقرأ في الظهر والعصر خلف الإمام... إلى آخره».

(١) أخرجه البخاري في جزء القراءة - الأثر ٥٩ - عن عمران قال: «لا تزكو صلاة مسلم إلا بطهور وركوع وسجود وراء الإمام، وإن كان وحده بفاتحة الكتاب وآيتين وثلاث».

وقد أخرجه البيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٢٣٣ - بلفظ: «لا تزكو صلاة مسلم إلا بطهور وركوع وسجود وفاتحة الكتاب وراء الإمام، وغير الإمام». وفي إسناد كل منهما زياد الجصاص، وهو ضعيف كما في «التقريب» ١ :٢٦٧.

(٢) أخرجه عبدالرزاق - الأثر ٢٨٠٧، وابن أبي شيبة ١ :٣٧٦-٣٧٧ عن الأسود بن يزيد قال: «وددت أن الذي يقرأ خلف الإمام ملىء فوه تراباً» وإسناد كل منهما صحيح.

وقد صحح هذا عن الأسود ابن عبدالبر في «التمهيد» ١١ :٥١ وقال يحتمل أن يكون أراد الجهر دون السر، قلت: ويدل على هذا ما أخرجه ابن أبي شيبه بإسناد صحيح عن الأسود قال: «لأن أعظ على جمرة أحبّ إليّ من أن أقرأ خلف الإمام أعلم أنه يقرأ».

أبي وقاص[١]، ورُوِيَ عن أبي الدرداء على اختلاف عنه[٢]، وعلقمة ابن قيس[٣]، وابن أبي ليلى[٤]، وإبراهيم النخعي[٥]، وسويد بن غفلة، وعمرو بن ميمون، والضحاك وأبي وائل[٦] وسفيان الثوري وسفيان ابن

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» رواية محمد بن الحسن ص٦٢، وابن أبي شيبة ١:٣٧٦ - عن سعد قال: «وددت أن الذي يقرأ خلف الإمام في فيه جمرة».
قال البخاري في جزء القراءة، فقرة ٣٩: «مرسل».
وقال ابن عبدالبر في «الاستذكار» ٢:١٩٣: «حديث منقطع لا يصح، ولا نقله ثقة... وما أعلم في هذا الباب من الصحابة من صح عنه ما ذهب إليه الكوفيون فيه من غير اختلاف عنه إلا جابر بن عبدالله».

(٢) أخرجه النسائي في الافتتاح - باب اكتفاء المأموم بقراءة الإمام - الحديث ٩٢٣، والدراقطني ١:٣٣٣، والبيهقي في القراءة خلف الإمام - الأحاديث ٣٧٩-٣٨٢ عن أبي الدرداء قال: «أرى الإمام إذا أم القوم كفاهم». وقد رُوِيَ مرفوعاً إلى النبي - ﷺ - وصوب الدارقطني وقفه على أبي الدرداء، وصححه الألباني موقوفاً على أبي الدرداء.
قلت: ويحتمل أنه أراد الجهر دون السر. بل إنه رُوِيَ عنه القراءة في الحالين. فقد أخرج البيهقي - الأثر ٢٢٩، ٢٣٠ عن أبي الدرداء قال: «لاتترك قراءة فاتحة الكتاب خلف الإمام جهر أو لم يجهر» وفي لفظ «لو أدركت الإمام وهو راكع لأحببت أن أقرأ بفاتحة الكتاب».

(٣) أخرجه عبدالرزاق - الأثر ٢٨٠٨ - عن علقمة بن قيس قال: «وددت أن الذي يقرأ خلف الإمام ملىء فوه، قال: أحسبه قال: ترابا أو رضفا».
وصححه ابن عبدالبر في «التمهيد» ١١:٥١ وقال بعدما صحح قول الأسود السابق، وقول علقمة هذا: «يحتمل أن يكونا أرادا في الجهر دون السر، فإن صح عنهما أنهما أرادا السر والجهر فقط خالفهما في ذلك من هو فوقهما ومثلهما، وعند الاختلاف يجب الرد إلى كتاب الله وسنة رسوله».

(٤) ذكره البخاري عنه في جزء القراءة فقرة ٣٨، وابن عبدالبر في «الاستذكار» ٢:١٩١، و «التمهيد» ١١:٤٧ وقال البخاري: «لايصح».

(٥) أخرجه عن إبراهيم - عبدالرزاق الأثر ٢٧٧٥، وابن أبي شيبة ١:٣٧٧.

(٦) أخرجه عن سويد، وعمرو، والضحاك وأبي وائل - ابن أبي شيبة ١:٣٧٧.

عيينة[١]، والحسن بن حي[٢]، وابن شبرمة[٣].

وبه قال أبو حنيفة وأصحابه[٤] وبعض المالكية[٥].

الأدلة التي استدل بها أصحاب هذا القول:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾[٦].

وحديث أبي موسى وأبي هريرة «**وإذا قرأ فأنصتوا**»[٧].

قالوا: فالأمر للمأموم بالانصات يدل على أنه لا قراءة على المأموم، وأن قراءة الإمام له قراءة.

٢ـ حديث أبي هريرة الذي فيه قوله ـ ﷺ ـ «**مالي أنازع القرآن**»[٧]. قالوا: ففي هذا الحديث إنكار على من يقرأ خلف الإمام.

---

(١) أخرجه عن سفيان بن عيينة أبو داود ـ في الصلاة ـ الحديث ٨٢٢، وذكره عن السفيانين ـ ابن المنذر في «الأوسط» ٣: ١٠٣، وابن عبدالبر في «الاستذكار» ٢: ١٩١، والحازمي في «الاعتبار» ص١٠٠.

(٢) ذكره عن الحسن بن حي ابن عبدالبر في «التمهيد» ١١: ٤٧. وفي الاستذكار ٢: ١٩١.

(٣) ذكره عن ابن شبرمة ابن عبدالبر في التمهيد ١١: ٤٧.

(٤) انظر: «الآثار» لمحمد بن الحسن ص١٦ـ١٧، «موطأ الإمام مالك» رواية محمد بن الحسن ص٦٠ـ٦١، «شرح معاني الآثار» ١: ٢١٨، «تبين الحقائق» ١: ١٣١، «فتح القدير» ١: ٣٣٨ ـ ٣٤١، «إمام الكلام في القراءة خلف الإمام» للكنوى ص٧٥ـ٩٣.

(٥) انظر «أحكام القرآن» لابن العربي ١: ٥، «عارضة الأحوذي» ٢: ١٠٨ ـ ١١١، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١١٩.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.

(٧) سبق تخريجه ضمن أدلة القول الثاني.

٣ـ ما رُوِيَ عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «**من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة**»[١].

قالوا: فهذا الحديث يدل على أن الإمام يتحمل القراءة عن المأموم مطلقاً سواء كانت الصلاة سرية أو جهرية. وما رُوِيَ من الأحاديث في قراءة الفاتحة في الصلاة كحديث عبادة «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**» ونحوه فمحمول على المنفرد والإمام، أما المأموم فإن قراءة الإمام له قراءة[٢].

٤ـ حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: «كنا نقرأ خلف النبي ـ ﷺ ـ فقال: «**خلطتم علي القرآن**»[٣].

٥ـ حديث عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ «**صلى صلاة الظهر، فلما قضى صلاته، قال أيكم قرأ:** ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾؟ **فقال بعضهم: أنا. فقال: قد عرفت أن بعضكم خالجنيها**»[٣].

قالوا: فيفهم من هذين الحديثين ضرورة النهي عن القراءة خلف الإمام مطلقاً[٤].

---

(١) سبق تخريجه ضمن أدلة القول الثاني، وبيان أن الصحيح أنه مرسل من حديث عبدالله ابن شداد.

(٢) انظر: «الأوسط» ٣:١٠٣، «التمهيد» ١١:٤٧.

(٣) سبق تخريجه ضمن أدلة القول الثاني.

(٤) انظر: «أحكام القرآن» للجصاص ٤:٢١٦ـ٢١٨.

٦ـ واحتجوا بما رُوي عن زيد بن ثابت وجابر بن عبدالله وأبي الدرداء[١] وعبدالله بن عمر[٢]، وغيرهم من الآثار التي فيها أنهم لا يقرؤون خلف الإمام أو ينهون عن ذلك. كما سبق[٣].

كما استدلوا بأحاديث وآثار واهية ضعيفة لم أر ما يدعو إلى ذكرها، كحديث أنس. قال: قال النبي ـ ﷺ ـ: «**من قرأ خلف الإمام ملىء فوه نارا**»، وكحديث زيد بن ثابت أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**من قرأ خلف الإمام فلا صلاة له**»[٤].

كما استدلوا بتعليلات عقلية كلها ضعيفة مردودة[٥].

---

(١) سبق تخريج المروي عنهم ضمن القائلين بهذا القول.

(٢) سبق تخريج هذا عن ابن عمر ضمن القائلين بالقول الثاني.

(٣) سبق تخريج أكثر المروى عن السلف في هذا في ذكر القائلين بهذا القول.

(٤) انظر في ذكر بعض هذه الأحاديث والآثار والكلام عليها وبيان ضعفها «القراءة خلف الإمام» للبيهقي، «الدراية في تخريج أحاديث الهداية» ١:١٦٥، «اللآلي المصنوعة» للسيوطي ١:٣٩.

(٥) انظر «الاستذكار» ٢:١٩٢، «إمام الكلام في القراءة خلف الإمام» ص٢٤٢ـ٢٤٥.
قلت: العجيب أن بعض الأحناف حكى الإجماع على قولهم هذا كما في «الهداية» مع فتح القدير» ١:٣٣٨ـ٣٣٩. قال اللكنوي من علمائهم ردا على هذا» وبالجملة فالمسألة ليست بمحل إجماع، لا الإجماع السكوتي، ولا الإجماع الصريحي، ولا الإجماع الأكثري»، «إمام الكلام في القراءة خلف الإمام» ص٢٣٩ـ٢٤١، وانظر ص٢٤٥.

ذكر الاعتراضات الواردة على أدلة كل قول، وإجابة أصحابه عنها:

أـ الاعتراضات الواردة على أدلة القول الأول بأن المأموم يقرأ الفاتحة في الصلاة السرية والجهرية. والإجابه عنها:

أولاً: اعترض على استدلالهم بقوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾[١].

وبقوله ـ ﷺ ـ للمسيء في صلاته «**ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن**» بأن «ما» في الآية والحديث تفيد العموم فما الدليل على تخصيص الفاتحة في القراءة دون غيرها.

وهذا الاعتراض له وجه. لكن أصحاب هذا القول أجابوا عنه بأن الأحاديث الموجبة لقراءة الفاتحة، ومداومة الرسول ـ ﷺ ـ وخلفائه على قراءتها كل ذلك مبين ومفسر لقوله: «ما تيسر» في الآية والحديث.

ثانياً: اعترض على استدلالهم بحديث عبادة بن الصامت أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**» وما في معناه من الأحاديث.

قالوا[٢] هذا الحديث مطلق عام، قيد، وخص منه حال جهر الإمام

---

(١) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٣١٢ـ٣١٣ وانظر «المغني» ٢: ٢٦٣.

بالقراءة، فيجب الإنصات في هذه الحال لأمره تعالى بالإنصات بالآية، ولأمر رسوله ـ ﷺ ـ بذلك، كما في حديث أبي موسى وأبي هريرة. فهذا الأمر بالإنصات هو المخصص للأحاديث التي فيها وجوب قراءة الفاتحة كحديث عبادة هذا، وحديث أبي هريرة «**من صلى صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج**» عند مسلم وغيره.

وغيرها من الأحاديث وردوا القول بأن هذه الأدلة التي فيها الأمر بالإنصات مخصوصة في غير حالة قراءة الفاتحة، لما ذكره الإمام أحمد من الإجماع على أن الآية: ﴿**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾**﴾ نزلت في الصلاة.

وقد أجاب عن هذا الاعتراض أصحاب القول الأول بأننا نسلم بأن الآية المذكورة نزلت في الصلاة، لكنها هي وحديث أبي موسى وأبي هريرة مخصَّصة والمخصِّص لها أحاديث الأمر بقراءة الفاتحة، كما سبق ذكرها والدليل لنا على هذا التخصيص حديث عبادة «**لا تفعلوا إلا بأم القرآن**».

ثالثاً: اعترض على استدلالهم بحديث أبي هريرة عند مسلم وغيره، والذي فيه «**اقرأ بها في نفسك**» بأن هذا لفظ مجمل، قد يحمل على ماذهبوا إليه من الاستدلال به على القراءة مطلقاً، حتى في حال الجهر بالقراءة. وقد يحمل على القراءة حال المخافتة، أو سكوت الإمام كما روى ابن المنذر[1] عن أبي هريرة: «**اقرأ خلف الإمام فيما**

---

(١) في «الأوسط» الأثر ١٣١٣.

يخافت به».

قال ابن تيمية[١]: «ويؤيد هذا أن أبا هريرة ممن روى قوله: «**وإذا قرأ فأنصتوا**» وروى قوله «**لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب فما زاد**»، وقال «**تجزيء فاتحة الكتاب، وإذا زاد فهو خير**». ومعلوم أن هذا لم يتناول المأموم المستمع لقراءة الإمام، فإن هذا لاتكون الزيادة على الفاتحة خيرا له. فلا يجزم حينئذ بأنه أمره أن يقرأ حال استماعه لقراءة الإمام بلفظ مجمل».

وقد أجاب أصحاب القول الأول عن هذا الاعتراض بقولهم: يتبادر من قول السائل لأبي هريرة: إنا نكون وراء الإمام أنه يسأل عن قراءة الفاتحة حال جهر الإمام لأن قراءة المأموم في هذه الحال قد تستشكل، وقد أجابه أبو هريرة بقوله: «اقرأ بها في نفسك» وهذا مشتهر عن أبي هريرة أنه يرى القراءة خلف الإمام في الحالين، وأيضاً على احتمال أن أبا هريرة أراد قراءة الفاتحة في صلاة السر فقط فالحديث دليل لنا على القراءة في هذه الحال، خلافاً لمن زعم أنه لاقراءة خلف الإمام مطلقاً.

رابعاً: اعترض على استدلالهم بحديث عبادة بن الصامت، الذي فيه: «**أتقرؤون خلف إمامكم؟ قالوا: نعم. قال: لاتفعلوا إلا بأم الكتاب، فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها**» وما في معناه من الأحاديث من وجهين[٢]:

---

(١) انظر «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٣٠٠-٣٠١.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٣١٣-٣١٦.

الوجه الأول: أن بعض أهل العلم قد طعن في إسناد هذا الحديث منهم الإمام أحمد وغيره.

الوجه الثاني: على القول بصحة هذا الحديث قالوا: إنه محمول على الإمام الذي له سكتات، كما كان ﷺ له سكتتان. قالوا: فليس في الحديث دليل على أنه يقرأ الفاتحة خلف إمامه حال الجهر، وإنما فيه أن له أن يقرأها حال سكتات إمامه، لأنه نهاهم عن القراءة خلفه إذا جهر، واستثنى من النهي قراءة فاتحة الكتاب إذ يمكن أن يقرأها في سكتات الإمام.

قالوا: وقوله: «**أتقرؤون خلف إمامكم؟**» بصيغة الاستفهام يدل على أنه ـ ﷺ ـ لم يكن يعلم أنهم يقرؤون، ولو كانت القراءة واجبة حال الجهر لكان أمرهم بذلك، وتأخير البيان عن وقت الحاجة لايجوز، ولو بيَّن ذلك لهم وأمرهم به لعلمه عامتهم وفعلوه.

وقد أجاب أصحاب القول الأول عن الوجه الأول وهو طعن بعض أهل العلم في إسناد حديث عبادة المذكور بأن الحديث صحيح وقد صححه أكثر أهل العلم، كما سبق بيانه.

وأجابوا عن الوجه الثاني بأنه لا دليل على أن الحديث محمول على الإمام الذي له سكتات، فيقرأ المأموم في سكتاته بل الحديث عام. وقوله لهم: «**أتقرؤون خلف إمامكم؟ أو لعلكم تقرؤون خلف إمامكم**» يمكن حمله على أنه ـ ﷺ ـ أراد به تنبيههم، أو أن المراد به السؤال عن قراءة ما زاد على الفاتحة.

خامساً: اعترض على استدلالهم بما نقل من الآثار عن الصحابة من القراءة خلف الإمام بأن ذلك في الصلاة السرية، أو حال سكتات الإمام، أو إذا لم يسمع المأموم قراءة إمامه لبعده أو صممه، ونحو ذلك[1].

وقد أجاب أصحاب القول الأول عن هذا الاعتراض بأن ما نقل عن الصحابة منه ما يمكن حمله على الصلاة السرية، لأنه محتمل، لكن منه آثار صريحة في القراءة في الصلاة الجهرية، وهذه الآثار لم تقيد قراءة الفاتحة فيها في سكتات الإمام أو إذا لم يسمع المأموم. ونحن نقول الأولى أن يقرأ في سكتات الإمام إذا كان له سكتات، وإن لم يكن له سكتات قرأ حال قراءته.

ب ـ الاعتراضات الواردة على أدلة القول الثاني أن المأموم يقرأ في الصلاة السرية دون الجهرية:

أولاً: اعترض على استدلالهم بقوله ـ تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾[2].

وبحديث أبي موسى وأبي هريرة اللذين فيهما: **«وإذا قرأ فأنصتوا»** بأن هذه الأدلة الثلاثة ليست مخصّصة لعموم الأحاديث في وجوب قراءة الفاتحة كحديث عبادة بن الصامت **«لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»** وغيره. كما تقولون، وإنما الحق أن نصوص الأمر بالإنصات

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٣٠٦ـ٣٠٧.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.

هذه عامة، خُص منها قراءة الفاتحة بالنسبة للمأموم، فيقرأها ولو كان إمامه يقرأ، إذا لم يكن له سكتات والمخصّص لذلك هو حديث عبادة المذكور، وحديث أبي هريرة «**كل صلاة لايقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج**» ونحوهما من الأحاديث.

والدليل على هذا التخصيص حديث عبادة الآخر الذي فيه قوله ـ ﷺ ـ: «**لعلكم تقرؤون خلف إمامكم؟، قالوا: نعم. قال لاتفعلوا إلا بأم القرآن**».

وأجاب أصحاب القول الثاني بقولهم: بأن الآية وحديث أبي موسى وأبي هريرة هي المخصّصة لعموم أحاديث الأمر بقراءة الفاتحة، وليس العكس كما تقولون. وحديث «لا تفعلوا إلا بأم القرآن» طعن فيه بعض أهل العلم، وعلى القول بصحته يمكن حمله على الإمام الذي له سكتات.

ثانياً: اعترض على استدلالهم بحديث أبي هريرة، الذي فيه قوله ـ ﷺ ـ: «**مالي أنازع القرآن**» من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: أن هذا الحديث خارج من محل النزاع، لأن الكلام في قراءة المؤتم خلف إمامه سراً والمنازعة إنما تكون مع جهر المؤتم، لا مع إسراره.

الوجه الثاني: لو سلم أن المراد بالمنازعة القراءة خلف الإمام سراً لكان الإنكار الذي في الحديث عاما في جميع القرآن أو مطلقاً في

جميعه خُصِّص في حديث عبادة ونحوه، أو قيد به»[١].

الوجه الثالث: ماذكر الترمذي[٢] بعد أن أخرج حديث أبي هريرة «**مالي أنازع القرآن**» قال: «وليس في هذا الحديث ما يدخل على من رأى القراءة خلف الإمام، لأن أبا هريرة هو الذي روى عن النبي - ﷺ - هذا الحديث. ورَوى أبو هريرة عن النبي - ﷺ - أنه قال: «**من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج، فهي خداج، غير تمام**» فقال له حامل الحديث إني أكون وراء الإمام. قال: اقرأ بها في نفسك. وروي أبو عثمان النهدي عن أبي هريرة قال: «**أمرني رسول الله - ﷺ - أن أنادي أن لا صلاة إلا بقراءة فاتحة الكتاب**».

وقد أجاب أصحاب القول الثاني عن الوجه الأول بأنه لا يلزم أن تكون المنازعة مع جهر المؤتم حال قراءة الإمام، بل حتى مع إسرار المؤتم بالقراءة لكن جهره أشد منازعة حتى في حال إسرار الإمام.

وأجابوا عن الوجه الثاني بأننا لا نسلم بدعوى التخصيص بحديث عبادة، فقد طعن فيه بعض أهل العلم، وذكرنا توجيهه فيما سبق على القول بصحته[٣].

وأجابوا عن الوجه الثالث بأن قول أبي هريرة «اقرأ بها في نفسك» محمول على القراءة خلف الإمام في الصلاة السرية. وقد سبق ذكر

---

(١) انظر «نيل الأوطار» ٢: ٢٤٣.

(٢) في «سننه» ٢: ١٢١-١٢٢.

(٣) راجع الاعتراض الرابع على أدلة أصحاب القول الأول.

جواب أصحاب القول الأول عن هذين الوجهين[١].

ثالثاً: اعترض على استدلالهم بحديث: «**من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة**» من وجوه عدة:

الوجه الأول: أن هذا الحديث ضعيف لا يحتج به، فالأصح أنه مرسل من حديث عبدالله بن شداد، والعمل بالمرسل مختلف فيه بين أهل العلم، وكثير منهم لا يرى العمل به.

وقد أجاب أصحاب القول الثاني بأن الحديث مسند ضعيف لكنه ثبت وصح مرسلا من حديث عبدالله بن شداد وهو من أكبر التابعين، ومثل هذا المرسل يحتج به الأئمة الأربعة وغيرهم[٢].

الوجه الثاني: أن أبا هريرة وابن عمر ـ ممن رُوِيَ عنهم حديث «**من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة**» وقد ثبت عن أبي هريرة جواز القراءة خلف الإمام مطلقاً، أو في السرية فقط، كما ثبت عن ابن عمر القراءة خلف الإمام في الصلاة السرية.

وهذا يدل على ضعف هذا الحديث «**من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة**» لأن ظاهره لو صح يدل على أن قراءة الإمام له قراءة في حال السر والجهر.

وقد أجاب أصحاب القول الثاني بأن الحديث معناه فقراءة الإمام له قراءة: أي في الجهرية، وهذا يوافق ما ثبت عن أبي هريرة وابن عمر

---

(١) راجع الإجابة على الاعتراضين الثالث والرابع على أدلة أصحاب القول الأول.
(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٧١ـ٢٧٢.

من القراءة في الصلاة السرية ولايخالفه.

الوجه الثالث: على القول بالعمل بمثل هذا المرسل، أو أن هذا الحديث قد يرتفع برواياته وطرقه وشواهده إلى درجة الحسن فإنه مخالف للأدلة الصريحة الصحيحة الموجبة لقراءة الفاتحة مطلقاً كقوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾(١). وحديث عبادة في الصحيحين: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»، ونحوه كحديث أبي هريرة عند مسلم «**كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج**». وكذا حديث عبادة، الذي فيه: «**هل تقرؤون خلف إمامكم؟ قالوا: نعم. قال: لا تفعلوا إلا بأم القرآن**».

وقد أجاب أصحاب القول الثاني عن هذا الوجه بأن الأدلة التي ذكرتموها خاصة بالمنفرد والإمام، وكذلك تشمل المأموم أيضاً في حال عدم جهر الإمام. أما حديث عبادة: «لا تفعلوا إلا بأم القرآن» فقد ذكرنا أنه طعن فيه، وذكرنا توجيهه ـ على القول بصحته ـ فيما سبق(٢).

الوجه الرابع: على القول بصحة الاحتجاج بهذا الحديث فإنه دليل لمن منع من القراءة خلف الإمام مطلقاً في السرية والجهرية فما المخصص له في أنه في المنع من القراءة في الجهرية فقط.

أجاب أصحاب القول الثاني عن هذا الوجه بأن معنى الحديث «فقراءة الإمام له قراءة»: أي القراءة التي يسمعها تكفيه عن القراءة،

---

(١) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

(٢) راجع الاعتراض الرابع على أدلة أصحاب القول الأول.

يؤيد هذا أنه مأمور بالإنصات حال قراءة الإمام. أما القراءة التي لا يسمعها فكيف تكون له قراءة وهو لا يسمعها.

الوجه الخامس: على القول بصحة الاحتجاج بهذا الحديث ـ أيضاً ـ فإنه عام خص بحديث عبادة «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**» وما في معناه، كما خص بهذا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾[1]، وحديث أبي موسى وأبي هريرة «**وإذا قرأ فأنصتوا**».

يدل على هذا التخصيص حديث عبادة «**لا تفعلوا إلا بأم القرآن**».

فيكون معنى الحديث «**من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة فيما عدا الفاتحة**».

وأجاب أصحاب القول الثاني بأن حديث «**من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة**» ليس مخصَّصاً بحديث عبادة وما في معناه كما ذكرتم، بل هو من ضمن المخصصات لحديث عبادة وعليه يكون المعنى: لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب إلا إن كان مأموماً فتكفيه قراءة الإمام وخاصة في الصلاة الجهرية. وأما حديث «لا تفعلوا إلا بأم القرآن» فقد ذكرنا الطعن، وتوجيهه على القول بصحته.

ج ـ الاعتراضات الواردة على أدلة أصحاب القول الثالث: أن المأموم لايقرأ لا في السرية، ولا في الجهرية.

أولاً: اعترض على استدلالهم بالأدلة التي فيها الأمر بالإنصات

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.

لقراءة الإمام كآية الأعراف، وحديث أبي موسى وأبي هريرة من وجهين:

الوجه الأول: أن هذه الأدلة إن دلت على عدم القراءة حال جهر الإمام فليس فيها دلالة على عدم القراءة في حال إسرار الإمام، أو سكوته، لأن السكوت حال عدم جهر الإمام لا يسمى إنصاتاً، ولم يؤمر بترك قراءة الفاتحة ولا غيرها في هذه الحال(١).

الوجه الثاني: أن هذه الأدلة التي فيها الأمر بالإنصات مخصَّصة بالأحاديث التي فيها الأمر بقراءة الفاتحة في الصلاة. كما سبق.

وقد أجاب أصحاب القول الثالث عن الوجه الثاني بأن أدلة الأمر بالإنصات ليست مخصَّصة بأحاديث الأمر بقراءة الفاتحة في الصلاة، لأن هذه الأحاديث خاصة بالمنفرد والإمام دون المأموم.

ثانياً: اعترض على استدلالهم بحديث أبي هريرة الذي فيه قوله ـ ﷺ ـ **«مالي أنازع القرآن»**. بأن هذا محمول على الجهر خلف الإمام، وهذا لايجوز بالاتفاق أو على القراءة سراً حال جهر الإمام، وهذا لا يجوز عند كثير من أهل العلم. ولا يدل الحديث على النهي عن القراءة خلف الإمام مطلقاً، حتى ولو كانت سراً في حال إسرار الإمام، كما تقولون.

ثالثاً: اعترض على استدلالهم بالحديث: **«من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة»** من وجوه عدة:

---

(١) انظر جزء القراءة للبخاري، فقرة ٣٢.

منها: الوجه الأول والثالث والخامس من الوجوه المذكورة في الاعتراض على استدلال أصحاب القول الثاني بهذا الحديث.

ومنها: أن المراد بقوله «فقراءة الإمام له قراءة» أي في الصلاة الجهرية. إذا لم يسكت الإمام، كما يقوله أصحاب القول الثاني ـ فيما تقدم[١] ـ وله وجه.

ومنها: أنهم يستدلون بالحديث على عدم جواز القراءة خلف الإمام مطلقاً والحديث ظاهره أن قراءة الإمام تجزىء عن المأموم، لا أن القراءة لا تجوز من المأموم أو لا تستحب منه. قال ابن تيمية[٢]: «ليس في حديث «فقراءة الإمام له قراءة» دليل للكوفيين على أنه لا تستحب للمأموم القراءة، وإنما فيه الدلالة على أن له أن يجتزىء بذلك، وأن الواجب يسقط عنه بذلك، لا أنه ليس له أن يقرأ».

ومنها: أن جميع الأذكار التي يشرع للإمام أن يقولها مستحبة كانت أو واجبة يشرع للمأموم أن يقولها فكيف يتحمل الإمام عن المأموم القراءة، ولا يتحمل ما دونها من المستحبات.

رابعاً: اعترض على استدلالهم بحديث عمران بن حصين، الذي فيه: «**ظننت أن بعضكم خالجنيها**» وحديث ابن مسعود، الذي فيه «**خلطتم عليّ القرآن**».

بأن هذين الحديثين محمولان على الجهر بالقراءة خلف الإمام.

---

(١) راجع الدليل الخامس من أدلتهم ووجه استدلالهم به.
(٢) في «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٣٢٥.

والجهر بالقراءة خلف الإمام سواء أسر الإمام أو جهر أمر لا يجوز بالاتفاق. وليس فيهما الانكار على من قرأ سراً خلف الإمام.

ويمكن حمل ما جاء في حديث عمران «ظننت أن بعضكم خالجنيها» على أنه ليس فيه نهي لهم أو إنكار عليهم، لأن القارىء خلفه قرأ سراً في صلاة سرية ويؤيد هذا قول شعبة لقتادة ـ وهما من رواة الحديث: «كأنه كرهه فقال: لو كرهه لنهى عنه[1]».

خامساً: اعترض على استدلالهم ببعض الآثار عن الصحابة في ترك القراءة خلف الإمام أو النهي عنها بأن أكثر المنقول عنهم في هذا مطلقا يحتمل ترك القراءة خلف الإمام أو النهي عنها في الصلاة الجهرية فقط، ويحتمل تركها والنهي عنها في الحالين، ومع وجود الاحتمال لا يصح الجزم، وأيضاً جمهور الصحابة وعامتهم يرون القراءة خلف الإمام، لكن منهم من يرى القراءة في الصلاة السرية والجهرية معاً، ومنهم من يرى القراءة في حال الإسرار فقط. وقليل منهم من يرى ترك القراءة مطلقاً، وأيضاً الذين رُوي عنهم هذا القول من الصحابة رُوي عن أكثرهم خلافه، حتى قال ابن عبدالبر في «الاستذكار»[2] «ولا أعلم في هذا الباب صاحباً صح عنه بلا اختلاف أنه قال مثل قول الكوفيين إلا جابر بن عبدالله».

---

(١) انظر: «التمهيد» ١١: ٥٢، «الاستذكار» ٢: ١٩٢، «القراءة خلف الإمام» للبيهقي ص١٦٤ـ١٦٨، «شرح النووي على مسلم» ٤: ١٠٩.

(٢) ٢: ١٩٣.

الترجيح بين الأقوال

بعد النظر في أدلة كل فريق من أصحاب الأقوال الثلاثة، وبعد النظر في الاعتراضات الواردة على تلك الأدلة، وفي إجابات كل فريق على ماورد على أدلتهم من اعتراضات يظهر جليا أن أصحاب القول الثالث القائلين بعدم القراءة خلف الإمام مطلقاً، لا في السرية، ولا في الجهرية لم يسلم لهم دليل واحد كما رأيت، لا من أدلة الكتاب ولا من السنة، ولا من الأثر.

قال اللكنوي وهو من محققي الأحناف في كتابه «إمام الكلام في القراءة خلف الإمام»[(١)]: «الذي يظهر بالنظر الدقيق، ويقبله أصحاب التحقيق هو أن الأحاديث التي استدل بها أصحابنا ليس فيها حديث يدل على النهي عن قراءة الفاتحة خلف الإمام، فيدفع ذلك بالجمع، أو الترجيح، أو التساقط، أو النسخ، بل هي متنوعة إلى أنواع ثلاثة:-

فمنها ما يدل على وجوب الإنصات عند القراءة كالحديث الأول - يعني حديث أبي موسى وأبي هريرة: «وإذا قرأ فأنصتوا» - قال: وهو وإن كان ظاهر لفظه وعمومه يدل على الإنصات مطلقا لكن النظر الدقيق يحكم بأنه يمنع من القراءة مع قراءة الإمام في الجهرية بحيث يخل بالاستماع والتدبر، ولا يدل على وجوبه في الجهر أثناء السكتات ولا على وجوبه في السر، وكذا الآية القرآنية ، يعني: ﴿وَإِذَا قُرِئَ

---

(١) ص ٢٢٥- ٢٢٦.

﴿ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾[1]. قال: وكذا الحديث الثالث والرابع - يعني حديث عمران، الذي فيه: «قد عرفت أن بعضكم خالجنيها» وحديث ابن مسعود، الذي فيه قوله - ﷺ -: «خلطتم على القرآن» قال: وإثبات وجوب السكوت مطلقاً من هذه الأحاديث، وكذا من الآية، وإن قال به جمع من أصحابنا عند التنازع لكنه لايخلو عن تكلف وتعسف.

ومنها: ما يدل بظاهره على النهي عن مطلق القراءة... لكنها مما خدش في ثبوتها، بل ببطلان بعضها فلا يصح الاحتجاج بها، مع إمكان حملها على ما عدا الفاتحة...

ومنها: ما يدل على كفاية قراءة الإمام للمقتدي، وأنه لو لم يقرأ المقتدي صحت صلاته بقراءة إمامه... فيمكن أن يعارض ما صح منه بإطلاقه الأحاديث الواردة في إيجاب قراءة الفاتحة خلف الإمام بعمومها أو خصوصها، ويختار طريق الجمع بينهما، ولا دلالة لها على وجوب السكوت مطلقاً، بل ولا مقيدا، ولا على كراهة القراءة، أو الحرمة، وإن قال به جمع من الحنفية».

وحيث تبين ضعف هذا القول وهو أن المأموم لا يقرأ خلف الإمام مطلقاً، وأن قراءة الإمام له قراءة في الصلاة السرية والجهرية فأي القولين الباقيين أولى بالترجيح.

أهو قول من قال بوجوب قراءة الفاتحة مطلقاً في السرية

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.

والجهرية، أم قول من قال بقراءتها في بالسرية دون الجهرية إذا كان يسمع الإمام، ولم يكن للإمام سكتات.

فأصحاب القول الأول كما تقدم استدلوا بالأحاديث الموجبة لقراءة الفاتحة في الصلاة، وجعلوها مخصِّصة لعموم أدلة الأمر بالإنصات في الآية والأحاديث.

وأصحاب القول الثاني استدلوا بالأدلة معاً لكنهم جعلوا أدلة الأمر بالإنصات هي المخصِّصة لأدلة الأمر بقراءة الفاتحة، فتقرأ الفاتحة حيث لا يجب الإنصات: أي حيث لا جهر في القراءة من قبل الإمام.

وأصحاب القول الأول احترزوا من الوقوع في ترك قراءة الفاتحة، وهي في حق المأموم واجب تركه يخل بالصلاة، أو ركن تركه يبطل الصلاة.

ولم يروا وجوب الإنصات على المأموم حال قراءته للفاتحة وإن كان يسمع قراءة الإمام إذا لم يكن للإمام سكتات.

وأصحاب القول الثاني احتزوا من الوقوع في المنهي، وهو القراءة حال قراءة الإمام، وترك الإنصات، والاستماع المأمور بهما، ولم يروا أن قراءة الفاتحة واجبة بل ولا مستحبة، بل ولا جائزة حال قراءة الإمام.

وبالمقارنة بين المحترزين فإن ترك قراءة الفاتحة حال الجهر يعد إخلالا بالصلاة عند بعض أهل العلم، بل يعد مبطلاً لصحتها عند بعضهم.

أما القراءة حال جهر الإمام فهو ـ عند بعض أهل العلم ـ ارتكاب لمحذور، وهو ترك الإنصات المأمور به عند القراءة، لكن ذلك بكل حال لا يبطل الصلاة باتفاق أهل العلم.

وعلى هذا فإن من ترك قراءة الفاتحة حال جهر الإمام متعرض للقول بعدم صحة الصلاة. أما القارىء حال قراءة الإمام فهو متعرض فقط للقول بأنه ارتكب محظورا.

وبناء على هذا فإن أظهر الأقوال، وأقربها لصحة الصلاة وسلامتها من الخلل والنقص، ولبراءة الذمة، والذي تطمئن إليه النفس ـ بعد المقارنة بين هذه الأقوال وأدلتها هو القول بوجوب قراءة الفاتحة على المأموم مطلقاً في الصلاة السرية والجهرية للأدلة الصحيحة الصريحة في وجوب قراءة الفاتحة على كل مصل، إماما كان أو مأموما أو منفردا وعدم المخصِّص لها على الصحيح، ولحديث عبادة بن الصامت أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**لعلكم تقرؤون خلف إمامكم قالوا: نعم. قال: لا تفعلوا إلا بأم الكتاب، فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها**» فهذا نص صريح صحيح في وجوب قراءة الفاتحة على المأموم في الصلاة الجهرية التي هي موضع الخلاف.

والأولى أن يقرأ المأموم الفاتحة في سكتات الإمام إن أمكن ذلك، فإن لم يتمكن من قراءتها في السكتات قرأها حال قراءة الإمام لكن في قراءة الإمام ما بعد الفاتحة، فينصت لقراءة الفاتحة ثم يقرأها أثناء قراءة الإمام السورة.

وقد اختار هذا القول أكثر محققي علمائنا في العصر الحاضر منهم:

سماحة الشيخ شيخنا عبدالعزيز بن عبدالله بن باز[١] ـ حفظه الله ووفقه، وفضيلة الشيخ شيخنا عبدالله بن محمد بن حميد[٢] ـ غفر الله له ورحمه، وفضيلة الشيخ شيخنا محمد بن صالح العثيمين[٣] ـ حفظه الله ووفقه، وفضيلة الشيخ شيخنا صالح بن محمد اللحيدان[٤] ـ حفظه الله ووفقه.

وقد صدرت بترجيح هذا القول وهو وجوب قراءة الفاتحة مطلقاً الفتوى رقم ١٧٥٢ بتاريخ ١٣٩٧/١٢/٢٨هـ من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء والتي يرأسها سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز. وهذا نصها:

«تجب قراءة الفاتحة على المصلي، سواء كان إماماً أو منفرداً أو مأموماً، وسواء كانت الصلاة سرية أم جهرية، سمع المأموم فيها قراءة إمامه أم لم يسمعها في أرجح الأقوال للعلماء، لعموم حديث عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**لا صلاة لمن لم**

---

(١) سمعت ذلك من سماحته في أكثر من حلقة من حلقات نور على الدرب.

(٢) سمعت ذلك منه ـ رحمه الله ـ في فتاوى نور على الدرب.

(٣) سمعت ذلك من فضيلته في أكثر من حلقة من حلقات برنامج «نور على الدرب» وفي أكثر من لقاء وانظر قوله هذا أيضاً في كتابه «تنبيه الأفهام بشرح عمدة الأحكام» ص٣٣ـ٣٤.

(٤) سمعت ذلك منه في عدة حلقات من حلقات برنامج نور على الدرب.

يقرأ بأم القرآن» فنفى الصلاة الشرعية لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب عموماً ولم يخص منها حالا من أحوال المصلي دون حال. والنفي إذا ورد في نصوص التشريع اتجه إلى الحقيقة الشرعية لا إلى كما لها إلا بدليل ولا دليل يصرف عنها على الصحيح من أقوال العلماء. وما استدل به الحنفية على أن المأموم لا يقرأ بفاتحة الكتاب من حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «**من صلى خلف الإمام فقراءة الإمام له قراءة**» **فضعيف**.

قال ابن حجر في التلخيص: إنه مشهور في حديث جابر، وله طرق عن جماعة من الصحابة كلها معلولة، ولو صح لكان مخصَّصا لما رواه أبو داود عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ أنه صلى خلف أبي نعيم، وأبو نعيم يجهر بالقراءة، فجعل عبادة يقرأ بأم القرآن، فلما انصرفوا من الصلاة قال لعبادة بعض من سمعه يقرأ: سمعتك تقرأ بأم القرآن، وأبو نعيم يجهر، قال: أجل، «**صلى بنا رسول الله ـ ﷺ ـ بعض الصلوات التي يجهر فيها بالقراءة، قال: فالتبست عليه القراءة، فلما فرغ أقبل علينا بوجهه فقال: هل تقرؤون إذا جهرت بالقراءة؟ فقال بعضنا: نعم إنا نصنع ذلك. قال: فلا، وأنا أقول مالي أنازع القرآن، فلا تقرؤوا بشيء إذا جهرت إلا بأم القرآن**».

فهذا عبادة راوي الحديث قرأ بها جهرا خلف الإمام، لأنه فهم من كلامه ـ ﷺ ـ أنه يقرأ بها خلف الإمام جهرا والإمام يجهر بالقراءة.

وكذلك العموم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ

وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ وما ثبت من قوله ـ ﷺ ـ في الحديث الصحيح «**وإذا قرأ فأنصتوا**» يخصص بما رواه أبو داود عن عبادة بن الصامت المتقدم فإنه نص في قراءة المأموم للفاتحة في الصلاة الجهرية. والقاعدة أن الخاص إذا عارضه العام حُمل العام على الخاص وخُصّص به جمعا بين الدليلين وإعمالا لهما بدلاً من إلغاء أحدهما.

وروى مسلم وأبو داود ـ أيضاـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «**من صلى صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج فهي خداج، غير تمام**».

قال له السائب مولى هشام بن زهرة: يا أبا هريرة إني أكون أحياناً وراء الإمام فغمز ذراعه وقال: اقرأ بها يافارسي في نفسك. فدل جواب أبي هريرة للسائب راوي الحديث عنه على أنه فهم من الحديث قراءة المأموم لها في الصلاة لكنه رأى أن يكون ذلك سراً».

فائدة: في بيان المشروع من السكتات في الصلاة، وما يشرع قوله فيها:

وحيث شرع للمأموم قراءة الفاتحة في سكتات الإمام، فإن من المناسب ذكر المشروع من السكتات، وما يشرع قوله في هذه السكتات.

أولاً: بيان المشروع من السكتات في الصلاة.

اختلف أهل العلم في المشروع من السكتات في الصلاة على أقوال

عدة:

أـ جمهور أهل العلم على أن المشروع من السكتات في الصلاة سكتتـان، منهـم الشـافعـي[١]، وأحمـد[٢]، وإسحـاق[٣]، والحسـن وقتادة[٤] والأوزاعي[٥]، وأبو ثور[٦].

واستدلوا على هاتين السكتتين بما يلي:

١ـ ما رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذ كبر في الصلاة سكت هنيّة قبل أن يقرأ، فقلت: يارسول الله بأبي أنت وأمي أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟ قال أقول: «**اللهم باعد بيني وبين خطاياي، كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي، كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد**» متفق عليه[٧].

---

(١) انظر «المجموع» ٣:٣٩٥، «التبيان» ص١٠٤.

(٢) انظر «مسائل الإمام أحمد» رواية ابنه عبدالله ص٧٥ فقرة ٢٧٠، ٢٧١، «المغني» ٢:١٦٣ـ١٦٤، «مجموع الفتاوى» ٢٣:٢٧٨.

(٣) انظر: «سنن الترمذي» ٢:٣١.

(٤) انظر: «الاستذكار» ٢:١٩١.

(٥) أخرجه عن الأوزاعي البيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٢٤٧ قال: «يحق على الإمام أن يسكت سكتة بعد التكبيرة الأولى واستفتاح الصلاة، وسكتة بعد قراءة فاتحة الكتاب ليقرأ من خلفه بفاتحة الكتاب»، وانظر: «الاستذكار» ٢:١٩١، «التمهيد» ١١:٤٢.

(٦) انظر: «الاستذكار» ٢:١٩١، «التمهيد» ١١:٤٢.

(٧) أخرجه البخاري في الأذان ـ ما يقول بعد التكبير ـ الحديث ٧٤٤، ومسلم في المساجد ـ ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة الحديث ٥٩٨، وأبو داود في الصلاة ـ الحديث ٧٨١، والنسائي في الافتتاح، الحديث ٨٦٠.

٢ـ ما رواه سعيد عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب قال: «**سكتتان حفظتهما عن رسول الله ـ ﷺ ـ فأنكر ذلك عمران بن حصين، وقال حفظنا سكتة. فكتبنا إلى أبي بن كعب بالمدينة فكتب أبي أن حفظ سمرة**».

قال سعيد: فقلنا لقتادة: «ما هاتان السكتتان؟ قال: إذا دخل في صلاته، وإذا فرغ من القراءة، ثم قال بعد ذلك: وإذا قرأ ﴿ولا الضالين﴾ قال: وكان يعجبه إذا فرغ من القراءة أن يسكت حتى يتراد إليه نفسه[١]».

وفي رواية[٢] عن الحسن عن سمرة بن جندب «أنه تذاكر وعمران بن حصين، فحدث سمرة بن جندب أنه حفظ عن رسول الله ـ ﷺ ـ سكتتين، سكتة إذا كبر، وسكتة إذا فرغ من قراءة ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ فحفظ ذلك سمرة، وأنكر عليه عمران بن حصين، فكتبنا في ذلك إلى أبي بن كعب، فكان في كتابه إليهما أو في رده عليهما أنَّ سمرة قد حفظ».

وفي رواية[٣] عن الحسن عن سمرة بن جندب: «**أن رسول الله ـ**

---

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة ـ باب السكتة عند الافتتاح ـ الحديث ٧٧٩، والترمذي في الصلاة ـ ما جاء في السكتتين في الصلاة، الحديث ٢٥١، وقال: «حديث حسن»، وابن ماجه في الصلاة ـ باب في سكتتي الإمام ـ الحديث ٨٤٤. وليس عند أبي داود قوله: «وكان يعجبه إذا فرغ من القراءة أن يسكت حتى يتراد إليه نفسه».

(٢) أخرجها أبو داود ـ الحديث ٧٧٩، والدارقطني ١: ٣٣٦.

(٣) أخرجها الإمام أحمد ٥: ١٥، والبخاري في جزء القراءة ـ الحديث ٢٧٨، ٢٧٩، وابن =

ﷺ ـ كانت له سكتتان، سكتة حين يفتتح الصلاة، وسكتة إذا فرغ من السورة الثانية قبل أن يركع...».

واتفقوا على أن السكتة الأولى بعد تكبيرة الإحرام وقبل القراءة للتنصيص على مكانها في الحديثين.

واختلفوا في محل* السكتة الثانية بناء على اختلاف روايات حديث سمرة، فقال بعضهم: هي بعد انتهاء القراءة، وقبل التكبير للركوع، ورجح هذا الإمام أحمد(١) وشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمهما الله تعالى(٢) ـ.

وقيل: إنها بعد قراءة الفاتحة.

وإلى هذا القول يميل ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ فيما يظهر من كلامه في «زاد المعاد(٣)».

حيث قال بعد أن ذكر تصحيح أبي حاتم لحديث السكتتين من رواية سمرة، وأبي بن كعب، وعمران بن حصين قال: «وقد تبين بذلك أن أحد من روى حديث السكتتين سمرة بن جندب، وقال: حفظت من

= المنذر في «الأوسط» الحديث ١٣٤٠، والدارقطني ١: ٣٠٩.
قال ابن المنذر: «في إسناده مقال، يقال: إن الحسن لم يسمعه من سمرة» وقال ابن القيم في «زاد المعاد» ١: ٢٠٨: «وقد صحح حديث السكتتين من رواية سمرة وأبي بن كعب وعمران بن حصين أبو حاتم في صحيحه».

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٧٨، ٢٢: ٣٣٩.
(٢) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٣٣٨ وانظر: «زاد المعاد» ١: ٢٠٨، ٢١٦.
(٣) ١: ٢٠٨ـ٢٠٩.

رسول الله - ﷺ - سكتتين، سكتة إذا كبر، وسكتة إذا فرغ من قراءة ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾. وفي بعض طرق الحديث فإذا فرغ من القراءة سكت، وهذا كالمجمل واللفظ الأول مفسر مبين، ولهذا قال أبو سلمة بن عبدالرحمن: للإمام سكتتان فاغتنموا فيهما القراءة بفاتحة الكتاب، إذا افتتح الصلاة، وإذا قال: ﴿ولا الضالين﴾ على أن تعيين محل السكتتين إنما هو من تفسير قتادة».

وهل هذه السكتات واجبة على الإمام، أو مستحبة؟ ذهب بعض أهل العلم إلى أنها واجبة على الإمام، منهم الأوزاعي وأبو ثور وذهب أكثر أهل العلم إلى أن ذلك مستحب فقط.

ب - وذهب بعض العلماء إلى أن المشروع للإمام سكتة واحدة للاستفتاح منهم: عمران بن حصين[1]، وبه قال الإمام أبو حنيفة[2]، مستدلين بحديث أبي هريرة المتقدم «كان النبي - ﷺ - «**إذا كبر سكت هنيّة**»، أما حديث السكتتين فلم يصح عندهم.

ج - وذهب بعض أهل العلم إلى أن المشروع للإمام ثلاث سكتات منهم طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد قالوا: يستحب للإمام ثلاث سكتات، والثانية: منها بعد قراءة الإمام الفاتحة ليقرأ المأموم الفاتحة، والثالثة: بعد الانتهاء من القراءة وقبل الركوع[3].

---

(١) كما في حديث سمرة السابق.

(٢) انظر «فتح القدير» ١ :٢٨٨-٢٨٩، «إعلاء السنن» للتهانوي ٢ :٢١٤، وانظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣ :٢٧٨.

(٣) انظر: «المجموع» ٣ :٣٩٥، «الكافي» لابن قدامة ١ :١٣٤.

مستدلين بحديث أبي هريرة وحديث سمرة برواياته.

د ـ وذهب الإمام مالك إلى أنه لا سكوت في الصلاة بحال من الأحوال[(١)].

والذي عليه جمهور أهل العلم، وصححه بعض المحققين من أهل العلم أن السكتات الثابتة اثنتان فقط.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[(٢)]: «والصحيح أنه لايستحب إلا سكتتان فليس في الحديث إلا ذلك، وإحدى الروايتين غلط، وإلا كانت ثلاثا وهذا هو المنصوص عن أحمد، وأنه لايستحب إلا سكتتان، والثانية عند الفراغ من القراءة، للاستراحة والفصل بينها وبين الركوع، وأما السكوت عقيب الفاتحة فلا يستحبه أحمد[(٣)]».

وقال أيضاً[(٤)]: «ولم يقل أحد إنه كان له ثلاث سكتات، ولا أربع سكتات فمن نقل عن النبي ـ ﷺ ـ ثلاث سكتات أو أربع فقد قال قولا لم ينقله عن أحد من المسلمين».

وقال ابن القيم[(٥)]: «وكان له سكتتان، سكتة بين التكبير والقراءة، وعنها سأله أبو هريرة. واختلف في الثانية، فرُوِيَ أنها بعد الفاتحة، وقيل: إنها بعد القراءة وقبل الركوع، وقيل: هي سكتتان غير الأولى

---

(١) انظر: «المدونة» ١: ٦٢، «الاستذكار» ٢: ١٩١٢، «التمهيد» ١١: ٤٣.
(٢) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٣٣٨ـ٣٣٩.
(٣) انظر: «مسائل الإمام أحمد» رواية ابنه عبدالله ص٧٦.
(٤) ٢٣: ٢٧٧.
(٥) في «زاد المعاد» ١: ٢٠٧ وانظر: ٢١٦.

فتكون ثلاثا، والظاهر إنما هي اثنتان فقط».

لكن ابن القيم ـ رحمه الله ـ يقول توفيقا بين روايتي حديث سمرة:

«وأما الثالثة فللراحة والنفس فقط، وهي سكتة لطيفة، فمن لم يذكرها فلقصرها، ومن اعتبرها جعلها سكتة ثالثة، فلا اختلاف بين الروايتين، وهذا أظهر ما يقال في هذا الحديث. .»

قلت: وهذا مسلك جيد في التوفيق بين الروايتين إن صحت كل منهما.

ثانياً: ما الذي يشرع قوله في سكتات الإمام، وهل يشرع أن يسكت لأجل قراءة المأموم:

جمهور أهل العلم على أنه يستحب للمأموم، بل وللإمام في السكتة الأولى التي بعد التكبير، وقبل الشروع بقراءة الفاتحة قراءة دعاء الاستفتاح لما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه سأل رسول الله ـ ﷺ ـ عما يقول في هذه السكتة، فقال ـ ﷺ ـ أقول: «**اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب . . . الحديث**[1]».

ولما ثبت في الصحيح عن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه كان يكبر ويجهر بدعاء الاستفتاح يعلمه الناس[2].

---

(١) سبق تخريجه بتمامه.

(٢) أخرجه مسلم ـ في الصلاة ـ الحديث ٣٩٩.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» ٢٣:٢٩٨ ـ أن بعض أصحاب =

وأما السكتة التي بعد نهاية القراءة، وقبل التكبير للركوع، فإنها على ما ذكر أهل العلم ليست محلا للقراءة، وإنما هي سكتة لطيفة جدا، لأجل ترادِّ النفس والفصل بين القراءة والتكبير للركوع، كما قال قتادة: «وكان يعجبه إذا فرغ من القراءة أن يسكت حتى يتراد إليه نفسه»[١]. وقال ابن القيم[٢] ـ رحمه الله ـ: «وأما الثالثة فللراحة والنفس فقط وهي سكتة لطيفة...».

وأما السكتة بعد قراءة الفاتحة، فكما اختلف في ثبوتها، فقد اختلف المثبتون لها فيما يقال فيها.

فبعض أهل العلم يرى أنها سكتة يسيرة كالسكتة بين السور، وعند رؤوس الآيات لا تتسع لقراءة الفاتحة[٣].

وقيل: إنها لأجل قراءة الفاتحة.

وهـذا يُـروى عـن سعيـد بـن جبيـر[٤] وعمـر بـن عبـدالعزيـز[٥]

= الإمام أحمد يستحبون في حال سكوت الإمام أن يقرأ، ولا يستفتح، وهو اختيار ابي بكر الدينوري، وأبي الفرج بن الجوزي».

(١) سبق هذا في بعض روايات حديث سمرة في السكتتين.
وانظر: «الاستذكار» ٢: ١٩٠، «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٧٨، «زاد المعاد» ١: ٢٠٨.

(٢) في «زاد المعاد» ١: ٢٠٨.

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٧٧، ٢٧٩.

(٤) أخرجه عن سعيد ـ عبدالرزاق ـ الأثران ٢٧٨٩، ٢٧٩٤، والبخاري في جزء القراءة الأثران ٣٤، ٢٧٣.

(٥) ذكره عن عمر بن عبدالعزيز ابن المنذر في «الأوسط» ٣: ١١٧.

والأوزاعي[١] والشافعي[٢] وأبي ثور[٣]، وإسحاق بن راهويه[٤]، واختاره ابن المنذر[٥]، وبعض أصحاب الشافعي وأحمد[٦].

بل يرى بعضهم أن هذه السكتة مما يجب على الإمام، منهم الأوزاعي وأبو ثور.

وأكثر أهل العلم على أنه لا يشرع أن يسكت لأجل أن يقرأ المأموم الفاتحة، منهم أبو حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم[٧].

لكن كثيراً من أهل العلم يستحبون للمأموم أن يقرأ الفاتحة في سكتات الإمام، في السكتة الأولى إن اتسعت بعد الاستفتاح لشيء من القراءة وفي غيرها من السكتات ـ كما تقدم ـ وهو الأولى[٨].

وهـــو مـــروي عـــن عبـــدالـــرحمـــن بـــن أبـــي سلمـــة[٩]،

---

(١) ذكره ابن المنذر في «الأوسط» ٣: ١١٧، وابن عبدالبر في «الاستذكار» ٢: ١٩١.
(٢) انظر: «الاستذكار» ٢: ١٩١، «التمهيد» ١١: ٤٢، «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٧٨.
(٣) ذكره عن أبي ثور ـ ابن عبدالبر في «الاستذكار» ٢: ١٩١.
(٤) انظر «المغني» ٢: ١٦٣.
(٥) في «الأوسط» ٣: ١١٧، ١١٨.
(٦) انظر: «المغني» ٢: ١٦٣، «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٧٨، ٢٩٨، ٢٢: ٣٣٨، «زاد المعاد» ١: ٢٠٨.
(٧) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٧٦ـ٢٧٧، ٢٩٨، ٢٢: ٣٣٩، ٣٤٢.
(٨) انظر: «المغني» ٢: ٢٦٥، ٢٦٨، «نيل الأوطار» ٢: ٢٤٢.
(٩) أخرجه البخاري في جزء القراءة ـ الأثر ٢٧٤، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٢٣٩، وذكره ابن المنذر في «الأوسط» ٣: ١١٨ عن عبدالرحمن بن أبي سلمة، قال: «للإمام سكتتان فاغتنموا القراءة فيهما بفاتحة الكتاب».
وفي رواية ذكرها ابن قدامة في «المغني» ٢: ١٦٤ بزيادة إذا دخل في الصلاة، وإذا قال ﴿ولا الضالين﴾.

والحسن[١]، وقتادة[٢]، وعروة بن الزبير[٣]، وأحمد بن حنبل وعامة أصحابه[٤]، وإسحاق بن راهويه[٥] بل من أهل العلم من يوجب ذلك كالأوزاعي[٦] والشافعي[٧] وأبي ثور[٨]، كما سبقت الإشارة إلى هذا[٩].

---

(١) أخرجه ـ عبدالرزاق ـ الأثر ٢٧٩٢ عن الحسن قال: «إذا فرغ الإمام من قراءة أم القرآن فاقرأ بها أنت» وذكره ابن عبدالبر في «الاستذكار» ٢ : ١٩١.

(٢) ذكره عن قتادة ابن عبدالبر في «الاستذكار» ٢ : ١٩١.

(٣) أخرجه عن عروة ـ عبدالرزاق ـ الأثر ٢٧٩١، والبخاري في جزء القراءة ـ الأثر ٢٧٦، وذكره ابن عبدالبر في «التمهيد» ١١ : ٤٠.

(٤) انظر: «المغني» ٢ : ١٦٣ـ١٦٤.

(٥) انظر: «المغني» ٢ : ١٦٣.

(٦) أخرجه عن الأوزعي ـ البيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٢٤٧، وذكره ابن عبدالبر في «الاستذكار» ٢ : ١٩٠، و «التمهيد» ١١ : ٤١.

(٧) انظر: «الاستذكار» ٢ : ١٩١، «التمهيد» ١١ : ٤٢، «مجموع الفتاوى» ٢٣ : ٢٧٨.

(٨) انظر: «الاستذكار» ٢ : ١٩١، «التمهيد» ١١ : ٤١.

(٩) في ذكر المشروع من السكتات. والعجيب أن شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ رأى أن القراءة في سكتات الإمام بدعة حيث لم تنقل عن الصحابة. «مجموع الفتاوى» ٢٣ : ٢٧٩.

المبحث الثاني

وفيـــه مســائــــــل:

أ ـ حكم من لم يستطع قراءة الفاتحة في الصلاة.
ب ـ حكم قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة.
ج ـ حكم قراءة الفاتحة على المريض.
د ـ حكم قول «آمين» بعد قراءة الفاتحة.
هـ ـ قراءة ما زاد على الفاتحة في الصلاة.

المبحث الثاني

وفيـه مسـائـــــل:

أ ـ حكم من لم يستطع قراءة الفاتحة في الصلاة.
ب ـ حكم قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة.
ج ـ حكم قراءة الفاتحة على المريض.
دـ حكم قول «آمين» بعد قراءة الفاتحة.
هـ ـ قراءة ما زاد على الفاتحة في الصلاة.

المبحث الثاني
وفيـــه مسـائـــل

أ ـ حكم من لم يستطع قراءة الفاتحة في الصلاة:

يجب على المسلم أن يتعلم ما يقيم به الواجب من أمر دينه، من أذكار الصلاة وغيرها.

وبما أن قراءة الفاتحة في الصلاة واجبة، بل ركن من أركانها على الصحيح من أقوال أهل العلم، فيجب على المسلم بذل طاقته في تعلمها، فإن لم يستطع تعلمها ولا تعلم شيء من القرآن أجزأ عنه أن يسبح الله، ويحمده، ويهلله، ويكبره. لما رواه عبدالله بن أبي أوفى قال: «**جاء رجل إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال: إني لا أستطيع أن آخذ من القرآن شيئاً فعلمني ما يجزيني منه. قال: «قل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. قال: يارسول الله هذه لله عز وجل، فما لي؟ قال: قل اللهم ارحمني، وارزقني، واهدني، فلما قام قال: هكذا بيده. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: أما هذا فقد ملأ يده من الخير**» رواه أبو داود والنسائي[1].

---

(١) سبق تخريجه ضمن أدلة من قال بوجوب قراءة الفاتحة على المأموم مطلقاً في المبحث الأول من هذا الباب. وانظر: «المحلي» ٣: ٢٥٠ـ٢٥١، «المهذب» ١: ٨٠، «الافصاح» ١: ١٢٨، «المغني» ٢: ١٥٩ـ١٦٠، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٢٦.

قال القرطبي[١]: «فإن عجز عن إصابة شيء من هذا اللفظ فلا يدع الصلاة مع الإمام جهده فالإمام يحمل ذلك عنه إن شاء الله، وعليه أبدا أن يجهد نفسه، في تعلم فاتحة الكتاب فما زاد إلى أن يحول الموت دون ذلك وهو بحال الاجتهاد فيعذره الله».

ومن لم يتمكن من قراءتها بالعربية ترجم له الدعاء بلسانه الذي يفقه لاقامة صلاته، ولا تجزىء صلاة من قرأ بالفارسية، أو غيرها وهو يجيد العربية على الصحيح من أقوال أهل العلم[٢].

ب ـ حكم قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة:

ثبت في أكثر من حديث مشروعية قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة.

فعن طلحة بن عبد الله الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ قال: «**صليت خلف ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ على جنازة فقرأ بفاتحة الكتاب، وقال: لتعلموا أنها سنة**». رواه البخاري[٣].

وعن أبي أمامة صُدي بن عجلان الباهلي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «**السنة في الصلاة على الجنازة أن يقرأ في التكبيرة الأولى بأم القرآن مخافتة، ثم يكبر ثلاثا، والتسليم عند الآخرة**»[٤].

---

(١) في «تفسيره» ١:١٢٦.

(٢) انظر «الأم» ١:١٠٢، «الأوسط» ٣:١١٦ـ١١٧، «المحلى» ٣:٢٥٤، «المهذب» ١:٨٠، «المغني» ٢:١٥٨، «الجامع لأحكام القرآن» ١:١٢٦.

(٣) في الجنائز ـ باب قراءة فاتحة الكتاب على الجنازة ـ الحديث ١٣٣٥، وأبو داود في الجنائز ـ باب ما يقرأ على الجنازة ـ الحديث ٣١٩٨.

(٤) أخرجه النسائي ـ في الجنائز ـ باب الدعاء ٤:٧٥، الحديث ١٨٨٠، وصححه =

ولهذا ذهب جمهور أهل العلم إلى مشروعية قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة، وهذا هو الصحيح للأدلة السابقة لكنهم اختلفوا في حكم قراءتها فمنهم من استدل بهذه الأحاديث على الوجوب وهو قول كثير من أهل العلم، منهم الشافعي[١] وأحمد[٢] وإسحاق[٣] ذهبوا إلى أن قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة واجبة، بل قال بعضهم: بأنها ركن.

وذهب بعض أهل العلم إلى أنها مستحبة فقط وقالوا: الأدلة السابقة تدل على الاستحباب فقط.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[٤]: «وهذا الصواب».

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن قراءة الفاتحة لا تشرع في صلاة الجنازة منهم أبو حنيفة[٥] ومالك[٦] والثوري والأوزاعي[٧].

وقد روي هذا عن ابن عمر وأبي هريرة[٨].

= الألباني.

(١) انظر: «الأم» ١: ٢٧٠، «المهذب» ١: ١٤٠.

(٢) انظر: «مسائل الإمام أحمد» روايه ابنه عبدالله ص١٣٨ فقرة ٥١٣، «المغني» ٣: ٤١٠-٤١١، «الكافي» ١: ٢٦٠.

(٣) انظر: «المغني» ٣: ٤١١.

(٤) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٢٧٤.

(٥) انظر: «شرح معاني الآثار» ١: ٥٠١، «فتح القدير» لابن الهمام ٢: ١١٢-١١٣.

(٦) انظر: «المدونة» ١: ١٧٤.

(٧) انظر: «المغني» ٣: ٤١١.

(٨) أخرجه عنهما مالك في «الموطأ» ٥٣٥-٥٣٧.

ج ـ حكم قراءة الفاتحة على المريض:

القرآن الكريم كله شفاء لأمراض القلوب والأديان، كما أنه شفاء لعلل الأجسام والأبدان. قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾[1] وقال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾[3].

فقراءة القرآن، كما أنها شفاء لأمراض القلوب المعنوية، فهي شفاء أيضاً لأمراض الأجسام الحسية والنفسية.

وكما يشرع أن يُقرأ لعلاج أمراض القلوب المعنوية من أمراض الشبهات والشكوك والشهوات. فكذلك يُشرع أن يَقرأ المسلم القرآن على نفسه وعلى غيره، لعلاج الأمراض البدنية والجسمانية حسية كانت أو نفسية، لأن القرآن كما ذكر الله في أكثر من آية شفاء لذلك كله بإذنه تعالى.

وقد ثبت في حديث أبي سعيد الخدري أثر قراءة الفاتحة على اللديغ.

كما أخرجه الشيخان وغيرهما عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: «**كنا في مسير لنا فنزلنا، فجاءت جارية، فقالت: إن سيد القوم سليم، وإن نَفَرنا غُيَّب فهل منكم راق؟ فقام معها رجل ما كنا**

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.
(٢) سورة يونس، الآية: ٥٧.
(٣) سورة فصلت، الآية: ٤٤.

نأبنه[١] برقية، فرقاه، فبرأ، فأمر لنا بثلاثين شاة، وسقانا لبنا فلما رجع قلنا له: أكنت تحسن رقية، أو كنت ترقي؟ قال: لا، ما رقيت إلا بأم الكتاب فقلنا: لا تحدثوا شيئاً حتى نأتي، أو نسأل النبي ـ ﷺ ـ فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي ـ ﷺ ـ: فقال: «وما يدريه أنها رقيه، اقسموا واضربوا لي بسهم» متفق عليه[٢].

د ـ حكم قول «آمين» بعد قراءة الفاتحة:

يستحب أن يسكت القارىء سكتة لطيفة بعد قراءة ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝﴾ ثم يقول «آمين»، سواء كان في الصلاة أو خارجها، إماما كان أو مأموماً أو منفردا في صلاة جهرية أو سرية، عند جمهور أهل العلم[٣].

لما رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «إذا قال الإمام ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝﴾ فقولوا: آمين، فإنه من وافق قوله قول الملائكة[٤] غفر له ما تقدم من ذنبه» متفق

---

(١) نأبنه: أي ما كان نعلم أنه يرقى فنعيبه بذلك. انظر: «النهاية» مادة «أبن».

(٢) سبق تخريجه في أسماء الفاتحة في المبحث الثاني من الفصل الأول من هذا الباب.

(٣) انظر: «مسائل الإمام أحمد» رواية ابنه عبدالله ص٧٢، «الاستذكار» ٢: ١٩٧، «المهذب» ١: ٧٩، «المبسوط» ١: ٣٢، «معالم التنزيل» ١: ٤٢، «حلية العلماء» ٢: ١٠٧، أحكام القرآن لابن العربي ١: ٧، «الإفصاح» ١: ١٢٨، «التحقيق» ص٣١٤، «المغني» ١: ١٦٠ـ١٦١، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٢٧، ١٢٩ـ١٣٠، «تفسير ابن كثير» ١: ٦٠ـ٦١.

(٤) قيل: موافقة تأمين الملائكة في الإجابة، وقيل في الزمن، وقيل في الصفة من إخلاص الدعاء. انظر «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٢٧، «الاستذكار» ٢: ١٩٧.

عليه[١].

وفي لفظ للبخاري[٢]: «**إذا أمَّن الإمام فأمِّنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الإمام غفر له ما تقدم من ذنبه**».

وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ خطبنا، فقال: «**إذا صليتم فأقيموا صفوفكم، ثم ليؤمكم أحدكم، فإذا كبر فكبروا، وإذا قال: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ فقولوا: آمين يجبكم الله، فإذا كبر وركع فكبروا واركعوا فإن الإمام يركع قبلكم، ويرفع قبلكم..**» رواه مسلم[٣].

وعن وائل بن حجر ـ رضي الله عنه ـ قال: «**صليت خلف رسول الله فلما كبر رفع يديه أسفل أذنيه، فلما قرأ ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ قال: آمين، فسمعته وأنا خلفه**»، وفي رواية: «**ومد بها صوته**»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ـ في الأذان ـ باب جهر المأموم بالتأمين ـ الحديث ٧٨٢، وفي التفسير ـ الحديث ٤٤٧٥، ومسلم في الصلاة ـ باب التسميع والتحميد والتأمين ـ الحديث ٤١٠، والترمذي في الصلاة ـ ما جاء في فضل التأمين ـ الحديث ٢٥٠، وابن ماجه ـ في إقامة الصلاة ـ باب الجهر بالتأمين ـ الحديث ٨٥١ـ٨٥٢، وأحمد ٢: ٣١٢، ٤٥٩، ومالك في الموطأ الحديث ١٩١.

(٢) في الأذان ـ الحديث ٧٨٠.

(٣) أخرجه مسلم ـ في الصلاة ـ باب التشهد في الصلاة ـ الحديث ٤٠٤، والنسائي، في الإمامة ـ الحديث ٨٠٠، وابن ماجه في إقامة الصلاة الحديث ٨٤٧.

(٤) أخرجه النسائي ـ في الافتتاح ـ باب قول المأموم إذا عطس خلف الإمام ـ الحديث ٨٩٣، والترمذي ـ في الصلاة ـ باب ما جاء في التأمين ـ الحديث ٢٤٨، وقال: «حديث حسن»، وابن ماجه ـ في إقامة الصلاة ـ باب الجهر بآمين ـ الحديث ٦٩٦، =

وعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: «**سمعت رسول الله** ـ ﷺ ـ إذا قال: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾ قال: آمين»[١].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «**ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين**»[٢].

و«آمين» ليست من الفاتحة إجماعاً، ولهذا لم تُثبت في المصاحف.

كما شرع أن يسكت قليلاً بعد الفاتحة، ثم يقول: «آمين».

وهي اسم فعل بمعنى اللهم استجب.

وفيها لغتان:

«آمين» بمد الألف على وزن «فاعيل»، و «أمين» بالقصر على وزن «فعيل». والقصر هو الأصل[٣].

وأنشدوا:

= وأحمد ٤:٣١٥، ٣١٦.
والحديث صحيح، صححه الألباني وغيره.

(١) أخرجه ابن ماجه في الموضع السابق ـ الحديث ٦٩٥ وصححه الألباني.

(٢) أخرجه ابن ماجه في الموضع السابق ـ الحديث ٦٩٧ وصححه الألباني. وأخرجه الإمام أحمد مطولا ٦:١٣٥.

(٣) انظر «المدخل لعلم تفسير كتاب الله» ص١٠٠ـ١٠٤، «الاستذكار» ٢:١٩٥، «معالم التنزيل» ١:٤٢، «الكشاف» ١:١٢، «أحكام القرآن» لابن العربي ١:٦، «زاد المسير» ١:١٧ـ١٨، «المغني» ٢:١٦٣، «الجامع لأحكام القرآن» ١:١٢٨، «تفسير ابن كثير» ١:٦١.

تباعـد مني فُطحُـل إذ دعـوتـه أميـنَ فـزاد الله مـا بيننـا بعدا[(١)]

وقال الآخر[(٢)]:

يــارب لاتسلبنـــي حبهــا أبــداً ويــرحــم الله عبــداً قــال: آمينــا

وقال أبو وجزة مولى من موالي أهل المدينة يخاطب عبدالله بن الزبير[(٣)]:

ولا نقــول إذا يــومــا نُعيــتَ لنــا إلا بــآميــن ربَّ النــاس أمينــا

هـ ـ حكم قراءة ما زاد على الفاتحة في الصلاة:

يستحب عند جمهور أهل العلم أن يقرأ الإمام والمنفرد، وكذا المأموم في الصلاة السرية مع الفاتحة سورة، أو بعض الآيات في الركعتين الأوليين، ويكتفي بقراءة سورة الفاتحة في الركعتين الأخيرتين[(٤)]. وهو قول أبي بكر وعمر وعلي وابن مسعود، وابن عمر،

---

(١) البيت نسبه في «المشوف المعلم» ١:٧٩ لجبير بن الأضبط، وقد سأل فطحلا فأعرض عنه فدعا عليه.
وهو بغير نسبة في «زاد المسير» ١:١٧، وفي مادة «أمن» من «الصحاح» و«اللسان» وفي «شرح المفصل» ٤:٣٤، «الدر المصون» ١:٧٧، «شذور الذهب» ١١٧ـ١١٨، «شرح الأشموني على الألفية» ٣:١٩٧.

(٢) البيت لمجنون ليلى. انظر «ديوانه» ص٢٨٣، «شرح المفصل» ٤:٣٤، «الدر المصون» ١:٧٧، «شذور الذهب» ١١٦، وقد نسب في «اللسان» مادة «أمن» إلى عمر بن أبي ربيعة، وليس في ديوانه.

(٣) انظر «الزاهر» ١:١٦١، «العقد الفريد» ٧:١٦٧.

(٤) انظر: «حلية العلماء» ٢:١١١، «الافصاح» ١٢٨ـ١٢٩، «المغني» ٢:٢٨١ـ٢٨٢، «الجامع لأحكام القرآن» ١:١٢٤ـ١٢٥، «زاد المعاد» ١:٢٤٦ـ٢٤٧، «نيل الأوطار» =

وأبي الدرداء وعبدالله بن مغفل وعائشة ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك ومغيرة بن عبدالرحمن وعطاء والشعبي والحسن وابن سيرين[(١)] وغيرهم.

ولما رواه أبو قتادة ـ رضي الله عنه ـ قال: «**كان النبي ـ ﷺ ـ يقرأ في الركعتين الأوليين من صلاة الظهر بفاتحة الكتاب وسورتين يطول في الأولى، ويقصر في الثانية، ويسمع الآية أحيانا، وكان يقرأ في العصر بفاتحة الكتاب وسورتين، وكان يطول في الركعة الأولى في صلاة الصبح، ويقصر في الثانية**». وفي رواية «**ويقرأ في الركعتين الأخريين بفاتحة الكتاب**» متفق عليه[(٢)].

وما رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «**في كل صلاة يقرأ، فما أسمعنا رسول الله ـ ﷺ ـ أسمعناكم، وما أخفى عنا أخفينا عنكم، وإن لم تزد على أم القرآن أجزأت، وإن زدت فهو خير**» متفق عليه[(٣)].

وإن قرأ مع الفاتحة في الركعتين الأخيرتين من الرباعية، أو الركعة الثالثة من المغرب أحيانا جاز[(٤)]، بل استحب بعض أهل العلم هذا

= ٢: ٢٣٩. وانظر: «صحيح ابن خزيمة» ١: ٢٥٧ـ٢٥٨.

(١) أخرجه عنهم ابن أبي شيبة في الصلاة ١: ٣٧٠ـ٣٧٢.

(٢) أخرجه البخاري في الأذان ـ القراءة في الظهر ـ الحديث ٧٥٩، ومسلم في الصلاة ـ القراءة في الظهر والعصر ـ الحديث ٤٥١، وأبو داود ـ الحديثان ٧٩٨ـ٨٠٠، والنسائي ـ الأحاديث ٩٣٠ـ٩٣٥، وابن ماجه الحديث ٨٢٩، وأحمد ٥: ٢٩٥ـ٢٩٧.

(٣) سبق تخريجه ضمن أدلة من قال: إن على المأموم قراءة الفاتحة خلف الإمام مطلقا في المبحث الأول من هذا الفصل.

(٤) انظر: «المحلي» ٤: ١٠١، «المذهب» ١: ٨٠ـ٨١، «الإفصاح» ١: ١٢٩، «صحيح ابن =

كالشافعي[١]. لحديث أبي سعيد الخدري: «أن النبي - ﷺ - كان يقرأ في صلاة الظهر في الركعتين الأوليين في كل ركعة قدر ثلاثين آية، وفي الأخريين قدر خمس عشرة آية، أو قال: نصف ذلك، وفي العصر مثل ذلك[٢].

وذهب بعض العلماء إلى وجوب قراءة سورة مع الفاتحة، أو شيء من القرآن، وهو مروي عن عمران بن حصين وعبدالله بن عمر وأبي سعيد الخدري وجابر بن عبدالله وابن عباس وأبي وائل[٣] وغيرهم[٤]. قال أبو حنيفة تجب القراءة بعد الفاتحة في الركعتين الأوليين من الرباعية والثلاثية وفي جميع الثنائية[٥].

= خزيمة» ١: ٢٥٦.

(١) انظر: «الأم» ١: ١٠٧، «مختصر المزني» مع الأم ٧: ٢٠٧.

(٢) أخرجه مسلم في الصلاة باب القراءة في الظهر والعصر الحديث ١٥٧.

(٣) أخرجه عنهم ابن أبي شيبة ١: ٣٦٠-٣٦١.

(٤) انظر: «القراءة خلف الإمام» للبيهقي ص٩٢ وما بعدها، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٢٥، «نيل الأوطار» ٢: ٢٣٩.

(٥) انظر: «تحفة الفقهاء» ٢: ٩٦، «بدائع الصنائع» ١: ١٦٠، «البحر الرائق» ١: ٣١٣.

الخـــاتمــة

الحمد لله الذي بفضله وكرمه تتم الصالحات، أحمده ـ سبحانه وتعالى ـ أن وفقني أولاً للشروع في هذا البحث، ووفقني ثانياً لإنهائه واستكماله. فكل ذلك بتوفيقه وتيسيره، فله الحمد في البداية والنهاية، وعند الشروع والتمام، وله الحمد على الدوام ـ كما قال تعالى: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ﴾[١].

والصلاة والسلام على خاتم رسله سيدنا ونبينا محمد خير الأنام وعلى آله وصحبه نجوم الهدى ومصابيح الظلام، ومن سار على نهجهم واستقام إلى يوم الدين . . . وبعد:

فقد ظهر من خلال هذا البحث في تفسير الاستعاذة والبسملة وفاتحة الكتاب، وبيان ما اشتمل عليه كل منها من المعاني والفوائد والأحكام مايلي:

أولاً: بيان الصيغ الصحيحة للاستعاذة، لأن على المسلم أن يتعبد لله بما شرع الله.

ثانياً: معنى الاستعاذة والبسلمة وأن معنى الاستعاذة هو الالتجاء إلى الله والاعتصام به من الشيطان ونزغاته ووساوسه، وجميع شروره. وأن معنى البسملة هي الاستعانة بسم الله والتبرك والتيمن بالبداءة به.

---

(١) سورة القصص، آية: ٧٠

ثالثاً: أن الاستعاذة ليست من القرآن الكريم، وإنما جاء الأمر بها في القرآن الكريم. وأن البسملة بعض آية من سورة النمل بالإجماع. وآية مستقلة في القرآن الكريم ـ على الصحيح ـ تفتتح بها جميع السور سوى براءة. وأن السبب في عدم ذكرها مع هذه السورة أنها لم تنزل من عند الله مع هذه السورة.

رابعاً: أن كلاً من الاستعاذة والبسملة تستحب ـ على الصحيح ـ في أول القراءة أولا الاستعاذة، ثم البسملة، سواء في الصلاة أو خارجها.

خامساً: جواز الإسرار بهما والجهر في غير الصلاة، واستحباب الإسرار بهما في الصلاة.

سادساً: المواضع التي تشرع فيها كل من الاستعاذة والبسملة.

سابعاً: كما ظهر من خلال هذا البحث فضل سورة الفاتحة، وما اشتملت عليه من المعاني، التي جمعها القرآن، وتضمنتها هذه السورة على إيجازها وما اشتملت عليه من الفوائد والأحكام.

كما ظهر أيضاً من خلال هذا البحث الأحكام التي تتعلق بهذه السورة العظمية من وجوب قراءتها في الصلاة على كل مصل إماما أو مأموماً أو منفرداً، على الراجح من أقوال أهل العلم.

كما ظهر أيضاً حكم من لم يستطع قراءتها في الصلاة، وحكم قراءتها في صلاة الجنازة وحكم قراءتها على المريض، وحكم التأمين بعدها. وحكم قراءة ما زاد عليها في الصلاة.

وقد اجتهدت وسعي لإخراج هذا البحث في أحسن صورة وأصح عبارة فإن كنت قد وفقت فمن الله، وإن كانت الثانية فمني ومن الشيطان وأسأل الله العفو والمغفرة.

وختاماً أسأل الله بمنِّه وكرمه أن يوفقني وجميع إخواني المسلمين للعلم النافع والعمل الصالح وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل فهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحث

الفهـــارس

أ ـ ثبت المصادر والمراجع:

ـ القرآن الكريم.

ـ الإتقان: للسيوطي، م٩١١م، الطبعة الثالثة ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م.

ـ الإجماع: لأبي بكر بن محمد بن المنذرم ٣١٨هـ تحقيق أبي حماد صغير أحمد ـ الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

ـ أحكام الإمامة والائتمام في الصلاة، عبدالمحسن بن محمد المنيف، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

ـ أحكام القرآن: للجصاص، م٣٧٠هـ، دار الكتاب العربي ١٣٣٥هـ.

ـ أحكام القرآن: للشافعي، م٢٠٤هـ، جمعه أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي م٤٥٨هـ، دار الكتب العلمية ١٤٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

ـ أحكام القرآن: لابن العربي، م٥٤٣هـ، تحقيق علي محمد البجاوي مطبعة عيسى الحلبي وشركاه.

ـ اختلاف العلماء: لأبي عبدالله محمد بن نصر المروزي، م٢٩٤، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

ـ أسباب النزول: للواحدي م٤٦٨هـ، طبعة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

ـ الاستذكار: لابن عبدالبر، م٤٦٣، تحقيق علي النجدي ناصف ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

ـ الإشراف على مسائل الخلاف: لابن نصر، م٤٣٣ ـ مطبعة الإرادة.

ـ إصلاح المنطق: لابن السكيت تحقيق أحمد شاكر وعبدالسلام هارون ـ القاهرة ١٣٦٨هـ.

ـ الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار ـ للحازمي، م٥٨٤هـ حمص، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

ـ إعجاز القرآن: للباقلاني، م٤٠٣هـ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

ـ إعلاء السنن للتهانوي م١٣٥٤هـ، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ـ باكستان.

ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين: لابن القيم، م٧٥١هـ، دار الجيل ١٩٧٣م.

ـ إغاثة اللهفان: لابن القيم م٧٥١هـ الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

ـ الإفصاح: لابن هبيرة، م٥٦٠هـ، المؤسسة السعيدية في الرياض.

ـ الإقناع في القراءات السبع: لابن الباذش، م٥٤٠هـ، الطبعة الأولى.

ـ الأم: للشافعي، م٢٠٤هـ، دار المعرفة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٥م.

- إمام الكلام فيما يتعلق بالقراءة خلف الإمام - محمد بن عبدالحي اللكنوي م١٣٠٤هـ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: للبيضاوي، م٧٩١هـ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- الأوسط لابن المنذر م٣١٨هـ.
- إيضاح الحق في دخول الجني في الإنسي، والرد على من أنكر ذلك - لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - ملحق بكتاب «الصحيح البرهان».
- البحر المحيط: أبوحيان الأندلسي، م٧٥٤هـ، مكتبة ومطابع النصر الحديثة بالرياض.
- بداية المجتهد: لابن رشد، م٥٩٥هـ، دار الفكر.
- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، م٧٩٤هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - الطبعة الثانية.
- التبصرة في القراءات السبع. مكي بن أبي طالب م٤٣٧هـ الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٠م.
- التباين في آداب حملة القرآن: للنووي، م٦٧٦هـ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- تبيين الحقائق: عثمان بن علي الزيلعي، م٧٤٣هـ، دار المعرفة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.
- التحقيق في اختلاف الحديث: لابن الجوزي، م٥٩٧هـ، الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
- التسهيل لعلوم التنزيل: لابن جزي الكلبي، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- تفسير ابن أبي حاتم: م٣٢٧هـ، مخطوط في المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة تحت رقم ٤٩ تفسير.
- تفسير القرآن الجليل: للنسفي، م٧٠١هـ، المكتبة الأموية، دمشق.
- تفسير أسماء الله الحسنى: للزجاج، م٣١١هـ.
- تفسير القرآن العظيم: للحافظ ابن كثير، م٧٧٤هـ، تحقيق الوادعي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- التفسير القيم: لابن القيم، م٧٥١هـ، جمعه محمد بن إدريس الندوي، وحققه محمد الفقي، لجنة التراث العربي.
- التفسير الكبير: للرازي، م٦٠٦هـ، الطبعة الثانية، طهران.
- التمهيد لابن عبدالبر النمري، م٤٦٣هـ.
- تنقيح التحقيق: لابن عبدالهادي، م٧٤٤هـ، تحقيق عامر حسن صبر، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- تهذيب اللغة للأزهري، م ٣٧٠هـ، تحقيق عبدالسلام هارون.
- تيسير العزيز الحميد - للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب م١٢٣٣هـ الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ المكتب الإسلامي ١٩٦٦م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري، م٣١٠هـ، تحقيق محمود شاكر، دار المعارف.
- الجامع الصحيح: للترمذي، م٢٧٩هـ، تحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبدالباقي وإبراهيم عطوة - المكتبة الإسلامية.

- الجامع الصغير للسيوطي م٩١١هـ - دار الفكر - الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- الجدول في إعراب القرآن وصرفه لمحمود صافي - الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء للقفال م٥٠٧هـ تحقيق ياسين دراكه، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.
- خير الكلام في القراءة خلف الإمام - للبخاري م ٢٥٩هـ تحقيق سعد زغلول، دار الحديث - مصر.
- الدرّ المصون: للسمين الحلبي، م٧٥٦هـ، تحقيق الدكتور أحمد الخراط - الطبعة الأولى.
- ديوان الأعشى: تحقيق د. محمد محمد حسين - بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ديوان أمية بن أبي الصلت: تحقيق د. عبد الحفيظ السطلي - دمشق ١٩٧٤م.
- ديوان جرير: دار بيروت للطباعة والنشر.
- ديوان عنترة: تحقيق محمد سعيد مولوي - بيروت.
- ديوان القطامي.
- ديوان المتنبي - شرح أبي العلاء المعري: تحقيق د. عبدالمجيد دياب القاهرة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ديوان النابغة الذبياني - جمع وتحقيق محمد عاشور - الجزائر، جانفي ١٩٧٦م.
- ذيل ديوان الطرماح: تحقيق د. عزة حسن، دمشق ١٣٨٨هـ.
- الرد على من أبى الحق وادعى أن الجهر بالبسملة من سنة سيد الخلق: للزبيدي، م ١٢٠٥هـ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- روح البيان: إسماعيل حقي، م ١١٣٧هـ، طبعة عثمانية.
- زاد المسير في علم التفسير: لابن الجوزي: م٥٩٧هـ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر.
- زد المعاد لابن القيم ٧٥١هـ - المكتب الإسلامي ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- زيادات ديوان النابغة الذبياني.
- سلسة الأحاديث الضعيفة - للألباني - الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.
- سنن الدارقطني: م٣٠٦هـ ومعه التعليق المغني على الدارقطني، تحقيق عبدالله هاشم المدني، طبعة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
- سنن الدارمي، م٢٥٥هـ، دار إحياء السنة المحمدية.
- سنن أبي داود: م ٢٧٥هـ، تحقيق عزت الدعاس، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.
- السنن الكبرى: للبيهقي، م٤٥٨هـ، دار الفكر - بيروت.
- سنن ابن ماجه، م ٢٧٥، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م، دار إحياء الكتب العربية، لعيسى البابي الحلبي وشركاه.

- سنن النسائي م٣٠٣هـ، دار إحياء التراث العربي.
- شرح إسماعيل بن غنيم الجوهري على البسملة، مخطوط صورة منه بمكتة جامعة الإمام المركزية برقم / ١٥٨٩ خ، ف.
- شرح البسملة والحمدلة لأحمد بن عبدالحق المتوفى سنة ٩٩٥هـ ـ مخطوط بالمكتبة المركزية بجامعة الإمام تحت رقم ١٢٣٦.
- شرح البسملة والحمدلة لأبي زكريا الأنصاري م٩٢٦هـ، مخطوط صورة منه بالمكتبة المركزية بجامعة الإمام برقم ٣٤٨٦/ ف.
- شرح البسملة والحمدلة للصبان لمحمد بن محمد السنباوي م١٢٣٢هـ مخطوط صورة منه بمكتبة جامعة الإمام رقم الحفظ ٩٧٢.
- شرح القصائد السبع لابن الأنباري، تحقيق عبدالسلام هارون ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- شرح معاني الآثار للطحاوي م٣٢١هـ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
- الصحاح: لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطا، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
- الصحيح البرهان فيما يطرد الشيطان: لعلي بن محمد القرني، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته: للألباني، المكتب الإسلامي الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
- صحيح ابن خيزمة: م٣١١هـ، تحقيق محمد الأعظمي ـ المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
- صحيح سنن أبي داود: للألباني، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
- صحيح سنن ابن ماجه: للألباني، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
- صحيح سنن النسائي: للألباني، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.
- صحيح مسلم، م٢٦١هـ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
- صفة صلاة النبي ﷺ للألباني ـ الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ.
- صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم ـ للشيخ عبدالرحمن الدوسري الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
- ضعيف سنن الترمذي: للألباني، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
- ضعيف سنن أبي داود: للألباني، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.
- ضعيف سنن ابن ماجه: للألباني، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
- ضعيف سنن النسائي، للألباني، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.
- عالم الجن والشياطين: لعمر الأشقر.
- العنوان في القراءات السبع: لأبي طاهر إسماعيل الأنصاري، م ٤٥٥هـ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان: للنيسابوري، ٧٢٨هـ، الطبعة الأولى ـ ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢م.

ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري: لابن حجر، م ٨٥٢هـ، تصحيح وإشراف سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء.

ـ فتح القدير: لابن الهمام، م٦٨١هـ، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

ـ فضائل القرآن: لأبي عبيد، م٢٢٤هـ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

ـ القاموس المحيط: للفيروزآبادي، م ٨١٧هـ، مؤسسة الحلبي وشركاه.

ـ القطع والائتناف: للنحاس، م ٣٣٨هـ، مطبعة العاني، بغداد ١٣٨٨هـ ـ ١٩٧٨م.

ـ الكافي في فقه أهل المدينة: لابن عبدالبر، م٤٦٣هـ، طبعة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

ـ كتاب البسملة الصغير: لأبي شامة، م٦٦٥هـ، مخطوط صورة منه بفرع جامعة الإمام برقم ٣٥٠٢/ ف.

ـ الكتاب: لسيبويه، م ١٨٠هـ، تحقيق عبدالسلام هارون ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

ـ الكشاف: للزمخشري، م ٥٣٨هـ، دار المعرفة ـ بيروت، لبنان.

ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي، م ٤٣٧هـ.

ـ لباب التأويل في معاني التنزيل: للخازن، م ٧٤١هـ، دار المعرفة للطباعة والنظر، لبنان.

ـ لباب النقول في أسباب النزول: للسيوطي، م ٩١١هـ، دار إحياء العلوم، الطبعة الثانية ١٩٧٩م.

ـ لسان العرب: لابن منظور، م ٧٢١هـ، دار صادر ـ بيروت.

ـ المبسوط: للسرخسي، م ٤٨٣هـ، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة.

ـ مجاز القرآن: لأبي عبيدة، م٢١٠هـ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨١م.

ـ مجمع البيان للطبرسي، م٥٤٨هـ طبعة ١٣٧٩هـ.

ـ مجمع الزوائد، للهيثمي، م٨٠٧هـ، دار الكتب، بيروت، الطبعة الثانية ـ ١٩٦٧م.

ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: م٧٢٨هـ، جمع وترتيب عبدالرحمن ابن قاسم، الطبعة الأولى.

ـ المجموع: للنووي، م٦٧٦هـ، نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية، م٥٤٦هـ، تحقيق المجلس العلمي بفاس.

ـ المحلى: لابن حزم، م ٤٥٦هـ، تحقيق أحمد شاكر، دار التراث.

ـ المدرسة العقلية الحديثة في ضوء العقيدة الإسلامية د. ناصر العقل ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

ـ المدونة الكبرى: للإمام مالك، م١٧٩هـ، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى.

ـ مسائل الإمام أحمد رواية النيسابوري، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ ـ ١٤٠٠هـ.

ـ المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين: أبويعلى، م٤٥٨هـ، تحقيق د. عبدالكريم بن محمد اللاحم، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

ـ المستدرك على الصحيحين ـ للحاكم مع تلخيص الذهبي، دار الفكر، بيروت ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
ـ المسند: للإمام أحمد بن حنبل، م٢٤١هـ، المكتب الإسلامي ـ بيروت ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م. تحقيق أحمد شاكر ـ دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م.
ـ المصنف: لابن أبي شيبة، م ٢٣٠هـ، الدار السلفية.
ـ المصنف: عبدالرزاق، م٢١١هـ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.
ـ معالم التنزيل: للبغوي، م٥١٦، دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
ـ معاني القرآن، للفراء، م ٢٠٧هـ، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٠م.
ـ معاني القرآن وإعرابه للزجاج م ٣١١ تحقيق د. عبدالجليل شلبي ـ بيروت.
ـ المغني: لابن قدامة، م٦٢٠هـ، تحقيق د. عبدالله التركي، د. الحلو الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
ـ المفردات في «غريب القرآن» للراغب الأصفهاني، م ٥٠٢هـ، تحقيق محمد كيلاني، دار المعرفة ـ بيروت.
ـ المفضليات، للمفضل الضبي، تحقيق أحمد شاكر، وعبدالسلام هارون الطبعة السادسة، بيروت.
ـ مقاييس اللغة: لابن فارس، م ٣٩٥هـ.
ـ المهذب: للشيرازي، م٤٧٦هـ، الطبعة الثانية ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م.
ـ المهذب في القراءات العشر ـ د. محمد سالم محسن الطبعة الثانية ١٣٨٩ـ١٩٦٨م.
ـ الناسخ والمنسوخ: لأبي جعفر النحاس، م ٣٣٨هـ، الطبعة الأولى بتحقيقنا ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م مؤسسة الرسالة.
ـ النشر في القراءات العشر: لابن الجزري، م ٨٣٣هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
ـ نصب الراية: للزيلعي، م ٧٦٢هـ، المجلس العلمي بالهند، الطبعة الثانية.
ـ النكت والعيون: للماوردي، م ٤٥٠هـ ـ الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
ـ النهاية في غريبا الحديث والأثر لابن الأثير، م ٦٠٦هـ، تحقيق محمود الطناحي، دار إحياء التراث ـ بيروت.
ـ نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار: للشوكاني، م ١٢٥٠هـ، تحقيق محمود الطناحي، دار إحياء التراث ـ بيروت.
ـ نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار: للشوكاني، م ١٢٥٠هـ، الطبعة الأخيرة.
ـ الوقف والابتداء لابن الأنباري، م ٣٢٨هـ.

ب ـ فهرس الموضوعات